رسائل
الشعائر الحسينيّة
رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني
ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين
والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

رسائل
الشعائر الحسينيّة

رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني
ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين
والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

تأليف
مجموعة من العلماء
جمعها وحقّقها وعلّق عليها
الشيخ محمّد الحسّون

الجزء الثاني

رسائل الشعائر الحسينيّة (الجزء الثاني)

الشيخ محمّد الحسّون

منشورات دليل ما

الطبعة الأولى: ١٤٤١ هـ. ق - ٢٠١٩ م

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

المطبعة: نگارش

شابك (ج٢) : ٣ - ١١٣ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨

شابك (الدورة) : ٩ - ١١١ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨

الهاتف و الفكس: ٣٧٧٤٤٩٨٨ - ٣٧٧٣٣٤١٣ (٩٨٢٥+)

العنوان: ايران، قم، شارع معلم، بناية الناشرين، الطابق السادس، رقم ٦١٢ و ٦١٣

(للتواصل معنا) Info@dalilema.ir | www.dalilema.ir

المعارض

قم . شارع معلم . بناية الناشرين . الطابق B . رقم ٤٤ | الهاتف ٣٧٨٤٢٤٦٦

قم . شارع صفائية . مقابل زقاق . رقم ٣٨ | الهاتف ٣٧٧٣٧٠٠١ - ٣٧٧٣٧٠١١

طهران . شارع انقلاب . شارع الفخر الرازي . رقم ٦١ | الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١

مشهد . شارع الشهداء . شمالي حديقة نادري . زقاق خوراكيان . بناية گنجينه كتاب . الطابق الأول | الهاتف ٥-٣٢٢٣٧١١٣

النجف الأشرف . سوق الحويش . مقابل جامع الهندي . مكتبة الإمام باقر العلوم عليه السلام | الهاتف ٠٧٨٠١٢٦٣٥٧٩

كربلاء المقدسة . شارع قبلة الإمام الحسين عليه السلام . مكتبة ابن فهد الحلي قدس سره | الهاتف ٠٧٨٠١٥٨٨٧٠٧ - ٠٧٨٠١٥٥٨٩٤٢

سرشناسه : الحسون، محمد، ١٣٣٨ -

عنوان و پديدآور : رسائل الشعائر الحسينية : رسالة الصولة للسيد مهدي القزويني، و رسالة التنزية للسيد محسن الامين، والرسائل المويدة والمعارضة لهما / تاليف مجموعة من العلماء؛ جمعها وحققها و علق عليها محمدالحسون.

مشخصات نشر : تهران : دليل ما، ١٣٩٧.

مشخصات ظاهرى : ١٠ ج.

شابک : دوره: 9 - 111 - 442 - 600 - 978 ؛ ج ٢: 3 - 113 - 442 - 600 - 978

وضعيت فهرستنويسى : فيپا

يادداشت : عربى.

يادداشت : كتابنامه.

موضوع : حسين بن على(ع)، امام سوم، ۴ - ۶۱ق. -- سوگوارى ها

موضوع : Hosayn ibn'Ali, Imam III, 625 - 680 -- Laments

موضوع : سوگواريها -- آداب و رسوم

موضوع : Mourning etiquette

موضوع : شعاير و مراسم مذهبى

موضوع : Rites and ceremonies

رده بندى كنگره : BP۲۶۰ / ۳ / ح ۴۷۶ ر ۵ ۱۳۹۷

رده بندى ديويى : ۲۹۷/ ۷۴

شماره كتابشناسى ملى : ۵۴۵۰۰۱۳

منشورات دليل ما

www.dalilema.ir

دليل الكتاب

(١) تكملة قراءة في رسائل الشعائر الحسينيّة: «الصولة» للسيّد مهدي القزويني و«التزيه» للسيّد محسن الأمين، والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما، الشيخ محمّد الحسّون.

(٢) جريدة الأوقات العراقية، العدد ١٦٦١، الصادر في البصرة، في الأوّل من شهر محرّم سنة ١٣٤٥هـ.

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل، للسيّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ).

(٤) رسالة في حكم إقامة الشبيه، للسيّد محمّد شريف التقوي الشيرازيّ الونكيّ (ت١٣٥٢هـ)، فارسية.

(٥) المواكب الحسينية، للشيخ عبدالله المامقاني (ت١٣٥١هـ).

(٦) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء، للشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمّي (ت١٣٩٨هـ).

(٧) كلمة حول التذكار الحسينيّ، للشيخ محمّد جواد الحچامي (ت١٣٧٦هـ).

(٨) نصرة المظلوم، للشيخ حسن ابن الشيخ عبدالمهدي المظفّر (ت١٣٨٨هـ).

تكملة

قراءة في رسائل الشعائر الحسينيّة

«الصولة» للسيّد مهدي القزويني

و «التنزيه» للسيّد محسن الأمين

والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

تأليف

الشيخ محمّد الحسّون

حمام الهُدى «حمام الرسائل»

من الإشكالات التي أثارها السيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ) في رسالته «التنزيه» على خُطباء المنبر الحسينيّ، أنّهم ينقلون الأحاديث والوقائع «المعلوم كذبها، وعدم وجودها في خبر ولا نقلها في كتاب» [(١)]، وذكر عدّة شواهد، منها: «حديث مجيء الطيور التي تمرّغت بدم الحسين عليه السلام إلى المدينة، ومعرفة فاطمة الصغرى بقتل أبيها من تلك الطيور» [(٢)]

علماً بأنّ هذه القضية ذكرها السيّد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ) في «مدينة المعاجز» ٤:٧٢، وجعلها من معاجز وكرامات الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده.

---

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١٣:٥

(٢) المصدر السابق: ٥١:٥

وذكرها أيضاً الشيخ عبدالله البحراني (ت القرن الثاني عشر الهجري) في «عوالم العلوم» ١٧:٤٩٣.

وحكاها عنهما الشيخ محمّد باقر البهبهاني في «الدمعة الساكبة» ٥: ٣ ـ ٥، ونصّ الحديث هو:

«روي من طرق أهل البيت عليهم السلام: أنّه لمّا استشهد الحسين عليه السلام بقي في كربلاء طريحاً ودمه على الأرض مسفوحاً، وإذا بطائر أبيض قد أتى وتلطّخ بدمه...، فمن القضاء والقدر أنّ طيراً من هذه الطيور قصد مدينة الرسول... إلى آخره».

وروى في «العوالم» ١٧: ٤٩٠ ـ أيضاً ـ عن علي بن أحمد العاصمي، عن إسماعيل بن أحمد البيهقي، عن أبيه، عن أبي عبد الله الحافظ، عن يحيى بن محمّد العلوي، عن الحسين بن محمّد العلوي، عن أبي علي الطرسوسي، عن الحسن بن علي الحلواني، عن علي بن يعمر، عن إسحاق بن عبّاد، عن المفضّل بن عمر الجعفي، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن علي بن الحسين عليه السلام قال:

«لمّا قُتل الحسين عليه السلام جاء غراب فوقع في دمه، ثمّ تمرّغ ثمّ طار فوقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام وهي الصغرى، فرفعت رأسها فنظرت إليه، فبكت بكاءً شديداً، وأنشأت تقول:

نَعـــبُ الغُـــرابُ فَقُلْـــتُ مَـــنْ ... تَنعـــاهُ ويلـــك يـــا غُـــراب؟

قـــال الإمـــام فقُلـــتُ مـــن؟ ... قـــال الموفّـــق للصـــوابِ

إنّ الحُسـين بكـربلاءَ   بـين الأسـنّة والضـرابِ
فـأبكي الحُسـين بعبـرة   ترجـي الإلـه مـع الثـوابِ
قُلـتُ الحُسـين فقـال لـي   حقّـاً لقـد سـكن التُـراب
ثـمّ اسـتقلّ بـه الجنـاح   فلـم يطـق ردّ الجـوابِ
فَبَكيـتُ ممّـا حـلّ بـي   بعـد الـدُعاء المُسـتجابِ

قال محمّد بن علي: فَنَعَتْهُ لأهل المدينة، فقالوا: قد جاءتنا بسحر عبد المطّلب، فما كان بأسرع أن جاءهم الخبر بقتل الحسين بن علي عليه السلام.

وأخرج هذا الحديث أيضاً الخوارزمي في «مقتل الإمام الحسين عليه السلام» ٢: ١٠٥، والقاضي السيّد نور الله الحسيني التستري (الشهيد سنة ١٠١٩هـ) في «إحقاق الحقّ» ٢: ٩٣، والعلاّمة المجلسي في «بحار الأنوار» ٤٥: ١٧١ ـ ١٧٢، وحكاه عنهم الشيخ محمّد باقر البهبهاني في «الدمعة الساكبة» ٤: ٣٨٠.

والإشكال الذي يرد على هذه الأحاديث: أنّه كيف يمكن للطائر أن يقطع هذه المسافة الطويلة من كربلاء إلى المدينة المنوّرة؟ وكيف اهتدى إلى بيت فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين عليه السلام؟

ويمكن الجواب عنه: «بأنّ نوعاً من الطيور في العراق تمعن في الطيران إلى أبعد من المدينة تسمّى «حمام الهدى» أو «حمام الرسائل»، ويؤخذ من قول شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله المعمّري في كتاب «التعريف» أنّ أصل هذه الطيور من الموصل. وقد اعتنى بها الملوك الفاطميون إلى الغاية، وكانت الرسائل تعلّق بأرجلها وترسل فتطير للمكان الذي اعتادته مهما بعدُ،

فإذا اُخذ الكتاب منها عادت إلى المحل الذي جاءت منه مزوّدة بكتاب أيضاً أو غير مزوّدة».

معجزة فتح باب الصحن العلوي

في ليلة العاشر من شهر محرّم سنة ١٣٥٧هـ عندما كان ياسين الهاشميّ رئيساً لوزراء الحكومة العراقيّة ـ الذي عُرف عنه تعصّبه المذهبيّ الطائفي ـ قرّر منع كافّة المواكب العزائيّة، وأوعز إلى شرطة مدينة النجف الأشرف بغلق أبواب الصحن العلوي المبارك، من أجل منع توافد الزوّار إلى المرقد الشريف.

لكن العناية الإلهيّة شملت المؤمنين، وبكرامة سيّدنا ومولانا أميرالمؤمنين، وبحول الله وقوّته ومشيئته، فُتحت أبواب الصحن المبارك، وخرجت المواكب الحسينيّة من كل أطراف النجف الأشرف، ودخل المؤمنون إلى الحرم الشريف العلوي، شاكرين الباري عزّوجلّ على لطفه وعنايته بعباده.

ونحن ننقل هذه الحادثة المهمّة، والكرامة العلوّية الميمونة، من عدّة مصادر موثوقة، ومن أناسٍ شهدوها وعاشوا لحظاتها المباركة:

يقول الشهيد العلاّمة السيّد عبدالحسين دستغيب (ت ١٤٠١هـ) في كتابه «داستانهاى شگفت» ص ٣٦:

«في الأيام التي كنتُ ساكناً في مدينة النجف الأشرف، وفي شهر محرّم سنة ١٣٥٧هـ قامت الحكومة العراقيّة بمنع المواكب الحسينيّة: التطبير، واللطم على الصدور، وخروج المواكب في الشوارع والطرقات.

وحتّى لايجتمع الناس في ليلة العاشر من محرّم ويُقيموا مواكب العزاء، لذلك قامت الحكومة بغلق أبواب الصحن الشريف، وآخر باب قامت بغلقه الشرطة هي باب القبلة، وقبل إغلاق الباب كاملاً، دخل الناس إلى داخل الصحن وتجمّعوا في الإيوان، وأخذوا يلطمون على الإمام الحسين عليه السلام.

وعند ذلك هجم رئيس الشرطة ـ ومعه مجموعة من الشرطة ـ على المعزّين، وأخذوا بضربهم ومحاولة إخراجهم من الصحن، وحصلت تصادمات بين الناس والشرطة أدت إلى جرح بعض أهل المواكب، وفي تلك اللحظات أخذ الناس يصرخون بصوت عالٍ: يا عليّ فك الباب.

وفي لحظة واحدة، وبمشيئة الله تعالى، فإنّ كافة الأبواب المغلقة قد فُتحت، ودخلت الجماهير إلى داخل الصحن، وأخذوا يلطمون على الحسين عليه السلام.

عند ذلك وصل خبر هذه المعجزة إلى النجفيين، فتوافدوا إلى داخل الصحن، وأقاموا عزاء الإمام الحسين بشكل كبير، وانسحبت قوات الشرطة من الصحن، وقد نظم الشعراء هذه المعجزة في عدة أبيات شعرية».

وفي موقع السيّد هاشم الهاشمي، يتعرّض لهذه الحادثة ويوثّقها قائلاً:

«توثيق تفاصيل هذه الكرامة من ثلاثة مصادر:

المصدر الأول: العلاّمة الشيخ فرج العمران القطيفيقدس سره المتوفّى سنة ١٣٩٨هـ في رسالة «الرحلة النجفيّة» المدونة في كتاب مجموعة مؤلّفات الشيخ فرج العمران ج ٣ ص ٣٥ الطبعة الأولى ١٤٣١هـ دار الخط.

وهو شاهد على هذه الكرامة، وكان حاضراً في النجف عند تحققّها، وشاهد آثارها بنفسه كما سيتبيّن عند نقل عبارته.

والعلاّمة الشيخ فرج العمران قدس سره له مقام رفيع من حيث ثقة المراجع به، ومن حيث علمه وورعه وتقواه، حتّى أنّه خرج من الدنيا عن سبعة ريالات ودار سكناه ومكتبته.

المصدر الثاني: كتاب «كرامات المرقد العلوي» لرسول كاظم عبدالحسين ص ٩٥ الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ دار المتقين ـ بيروت، ضمن الكرامة رقم ٢٥، وهو متوافر في هذه الوصلة:

http://www.noor_almahdi.net/showthread.php?T=٥٣٤٢٠

وهو يتضمن أشعاراً للسيد مهدي الأعرجي المعاصر للكرامة، وقد توفّي السيّد الأعرجي سنة ١٣٥٩هجرية.

المصدر الثالث: شفاهي ومسموع من المرحوم السيّد محمّد رضا شبر، وهو الأخ الأكبر غير الشقيق لسماحة السيّد صباح شبر إمام مسجد المزيدي في الكويت، وترتيبه الرابع من الأخوة غير الأشقاء.

وكان السيّد محمّد رضا حاضراً لهذه الحادثة في صغر سنّه في النجف الأشرف، والسيّد محمّد رضا رجل ولائيّ غيور، كان لسنوات طويلة في

الكويت، ثمّ انتقل بعد الغزو الصدامي للكويت إلى جوار السيّدة زينبعليها السلام، وكان صاحب حسينية وموكب تطبير فيها، وقد تعرّفت عليه هناك، حيث كُنت أسافر لزيارة السيدة زينبعليها السلام كلّ عام تقريباً، وتوثّقت علاقتي به.

وكُنت ازداد إعجاباً به مع مرور الوقت، لما أرى فيه من همّة عالية في إحياء أمر أهل البيتعليهم السلام وصلابة لا نظير لها في مواجهة المضلّين رغم محاولاتهم المتكررة لثنيه عبر المغريات، ولقد استطاع بتلك الهمة وذلك الصدق أن يربّي مجموعة من الشباب الحسينيين السوريين والعراقيين الذين لا زالوا يشهدون بأفضاله عليهم.

وبعد سنوات مديدة من البقاء بجوار فخر المخدراتعليها السلام قاده المرض للرجوع إلى الكويت عند أبنائه، حيث أجريت له عملية جراحية استوجبت بتر ساقيه، وبالرغم من ذلك إلّا أنّني كنت أرى فيه الرجل الواثق من إيمانه والراضي بما كتب له ربه، ولم ألمس فيه أي تغيّر في روحيّته عما كان عليه قبل العملية الجراحية، وهذه صفة قلما تجدها في الرجال.

ولاأنسى قدومه إلى الحسينيّة في شهر محرّم وصفر مع صعوبة الحال لكي يشارك عزاء سيّد الشهداءعليه السلام، فكان يلطم كما يلطم أحد الشباب وهو في العربة التي يسوقها أحد أبنائه.

وكنت في تواصل مستمر معه خلال فترة وجوده في الكويت إلى أن توفّاه الله عزّوجلّ عام ٢٠٠٩م عن ٨١ عاماً، إذ أبلغني أحد أبنائه الأفاضل أنّه من مواليد ١٩٢٨م (١٣٤٧هـ ق).

قصة الكرامة:

هذه الحادثة والكرامة العلويّة وقعت ليلة الأحد، ليلة العاشر من شهر محرم الحرام سنة ١٣٥٧هـ كما أرّخها الشيخ فرج العمرانقدس سره، (وقد يكون هناك التباس في تحديد السنة، غير أنه لا يضرّ بقبول الواقعة مع نقلها من مثل الشيخ فرج العمرانقدس سره).

وهذه الكرامة ليس مناماً، بل كرامة علنيّة شهدها أهل النجف طرّاً.

يقول السيّد محمّد رضا شبر رحمه الله:

«هذه الحادثة وقعت أيام حكومة ياسين الهاشمي (أثناء رئاسته للوزراء للمرة الثانية ١٩٣٥ـ ١٩٣٦م)، وكان ناصبياً عدواً للشيعة وشعائرهم، وأوّل خطوة اتخذها في هذا المجال، قرار منع مواكب العزاء التي يقيمها الشيعة في شتى المدن العراقية، وكانت أول المناسبات التي تلت هذا القرار منع موكب أهالي كربلاء السنوي الذي كان يقصد التعزية بشهادة الإمام الكاظمعليه السلام في ٧ صفر.

وكان الشيخ فخري كمونة من رجال الدين المعروفين في كربلاء، فطلب منه أهالي كربلاء أن يتوسّط عند الحكومة لرفع هذا القرار، فتوجّه إلى بغداد مع أخيه محمّد علي كمونة من وجهاء كربلاء أيضاً.

وعندما التقى الشيخ فخري كمونة بياسين الهاشمي ردّ عليه الثاني بعبارة في منتهى الجسارة للإمام الكاظمعليه السلام وتكشف عن رسوخ النصب في نفسه، إذ قال له:«مع الأسف أن تأتيني متشفعاً لعزاء ابن العبدة» في إشارة إلى أمّ الإمام الكاظمعليه السلام.

غضب الشيخ فخري كمونة من هذه الإساءة، فخرج من عند ياسين الهاشمي من دون أي وداع أو استئذان، فأوعز ياسين الهاشمي لاغتيال الشيخ فخري كمونة بدسّ السمّ في الطعام عبر أحد أصدقاء الشيخ كمونة من ضعاف النفوس في منطقة المسيّب جنوب بغداد، ممن كان الشيخ كمونة ينزل عندهم في طريقه إلى كربلاء، فقضى نحبه رحمه الله (عام١٣٥٧هـ).

الخطوة الثانية مرتبطة بالكرامة العلويّة، فقد أصدر ياسين الهاشمي قراراً بمنع مواكب العزاء (السلاسل والدمام) وشدّد أكثر ما شدّد على مواكب التطبير، وأنّ الرصاص سيطلق على كلّ مَن يخالف قراره من المطبّرين.

أوجب هذا القرار اضطراباً في النجف، واحتار المؤمنون فيما سيفعلون، فبادر ياسين الهاشمي بخطوة استباقية وقام في اليوم السابع من المحرم بالهجوم على الحسينيّات التي تخرج منها مواكب التطبير، واعتقل أصحابها ورؤساء المواكب وزجهم في السجون.

وفي عصر اليوم التاسع أمر بإغلاق أبواب الحرم العلوي الشريف، والإبقاء على كبار خدّام الروضة الحيدريّة بما فيهم الكليدار داخل الصحن الشريف، ثمّ جاء بمفرزة من قوات الشرطة من غير الشيعة ومن غير العرب من أهالي شمال العراق، لكي ينفذوا الأوامر بإطلاق الرصاص في حال المخالفة ولاتأخذهم أي عاطفة في هذا الباب، ورابطت هذه القوة داخل الصحن الشريف، وتناقلت الأوساط في النجف الأشرف بأنّهم من أصحاب الديانة اليزيدية».

يقول الشيخ فرج العمران وتحت عنوان (كرامة علوية):

«في ليلة الأحد، العاشرة منه (أي المحرّم) صدرت كرامة باهرة من المرقد العلوي لساكنه المجد والشرف، يعجبني ذكرها، فاستمع لما أقول ولاتكن من الغافلين:

لم تزل ولاتزال العناية الربانيّة ناظرة بعين الرحمة لهذه الفئة القليلة الشيعة، ومادة رواق اللطف والرأفة على رؤوس هذه الفرقة الناجية الجعفرية، فتبرز لمن ناواها من مكنون الغيب إلى عالم الشهادة الأمور العجيبة،والخوارق لنواميس الطبيعة، فتطفئ عنها ثائرة الفتن، وتكشف عنها غياهب المحن.

نعم، لابدّ لبروز هذه الخارقات وسطوع شموس هذه الآيات البيّنات من أسباب وحكم ومقتضيات وعلل حسب ما اقتضته الحكمة البالغة والعناية الأزلية.

كان المشهد المرتضوي ـ لذكر صاحبه الشرف ـ لا تغلق أبوابه ليلة العاشوراء، بل تبقى مفتوحة حتّى الصباح، ولايغرب عنك سبب ذلك، إنّ السبب في ذلك إجتماع الجم الغفير للعزاء واللطم على سيّد الشهداء ـ أرواحنا فداه ـ وكانت طائفة من أهالي النجف يضربون بالقامة يوم العاشر فتسيل دماؤهم موافقة لدماء الشهداء الكرام، وفي هذا العام منعت الحكومة عن ضرب القامة، كما منعت عن ضرب السلاسل والدمام في المواكب الحسينيّة، لكن تلك الطائفة أصرّت على عاداتها في قبال الحكومة جازمة على أي نكال يجريه عليها القانون الملكي، وأنت جداً خبير بأنّ الحكومة عالمة بضمير الرعية

فكيف بظاهرها؟ ولا ترضى بأن تقف الرعيّة في قبالها، فأعدت لها عدّة من الشرطة تقابلها وتكسر شوكتها إذا أظهرت ما أضمرت، ولو بسفك الدماء وإتلاف النفوس». (مجموعة مؤلّفات الشيخ فرج العمران ج ٣ ص ٣٥).

يقول السيّد محمّد رضا شبر رحمه الله:

«بعد الاعتقالات والإجراءات السابقة قرّر أهالي النجف من المطبّرين اللجوء إلى مقبرة وادي السلام وأن يُقيموا عزاءهم هناك، فلبسوا الأكفان، وربط كلّ واحد منهم على عضده قطعة من القماش كتب عليها: «روحي فداء للحسين».

كان الوضع في غاية التوتر، وما كنت ترى في الطرقات إلّا النساء، وما كانت إحداهن تخرج إلّا ومعها سلاح أخيها أو زوجها يخفينه تحت عباءتهن، واستمرت الأجواء في التوتّر كلمّا قربت الساعة المرتقبة لموعد التطبير، وقد انتشرت قوات الأمن حتّى وكأن الأحكام العرفيّة قد فرضت، وأن حكومة عسكرية تسلمت زمام الأمور».

يقول الشيخ فرج العمران قدس سره:

«فحصل الإرجاف بين الأهالي وجعلوا يرتقبون وقوع الفتنة، وحذر كثير من الناس أهله ومن دخل تحت سيطرته عن المثول يوم العاشر في الصحن الشريف».(مجموعة مؤلّفات الشيخ فرج العمران ج ٣ ص ٣٦).

يقول السيّد محمّد رضا شبر رحمه الله:

«وفي مساء ليلة العاشر جاءت عربة عسكرية متوسطة تحمل مدفعاً رشاشاً واستقرّت عل قمة جبل المشراق المشرف على وادي السلام.

كانت هذه القوات تحسب أن بقاءها منتظرة سيجعلها في موقع دفاعي يفقدها زمام المبادرة، ويعرضها لتطوّرات غير مدروسة، ومن هنا حدّدت ساعة الصفر لتكون قبيل الفجر، فالتطبير لايكون عادة إلّا بعد أداء صلاة الفجر. وفعلاً فوجئ المطبّرون بإطلاق القوة العسكريّة لعدد كبير من القنابل التنويرية فوق النجف وبشكل مركّز فوق وادي السلام، فحدّدت مواقع المطبّرين استعداداً للهجوم عليهم واعتقالهم.

لمّا علم المجتمعون في وادي السلام ذلك وأن وجوههم بانت وأن العدو رصدهم قررّوا الخروج، فقاموا وطبّروا وخرجوا من الوادي، وهم يركضون ويصيحون: «حيدر حيدر»، فلمّا رأى الجنود المرابطون وراء المدفع الرشاش منظر المطبّرين والدماء تسيل على وجوههم وأكفانهم وهم في حالة العدو، هالهم المنظر وملأهم الرعب، ففروا تاركين أسلحتهم بما في ذلك العربة والمدفع الرشاش، فقام الأهالي بدفع العربة حتّى أوصلوها إلى قرب مبنى مركز البريد الواقع في آخر السوق الكبير.

وتوجّه المطبّرون بعد ذلك نحو الحرم الشريف وهم يطبّرون ويهتفون، ويتقدّمهم شخص يقال له (عبج الأعمى) وهو حامل البرزان (البوق).

ووفقاً للأعراف المعهودة في التطبير، فإنّه يبدأ رسمياً بالنفخ في البرزان، فلما بلغ المطبّرون مسافة ١٠٠ متر من الباب المتصل بالسوق الكبير، توقّف

الجميع وحانت لحظة صمت، وانطلق البرزان بسلام تحية لأميرالمؤمنين عليه السلام كاستئذان في بدء المراسم.

لم تمض ثوان معدودة على ضرب البرزان حتّى فوجئ الجميع بصوت فرقعة شديدة أقرب إلى الانفجار، دوّى وسط ذهول عارم، لقد دكّت أبواب الصحن الشريف كلّها دفعة واحدة وانفتحت أمام المعزّين، وكأنّ أميرالمؤمنين عليه السلام يفتح ذراعيه ويقول لهم: تفضلوا، أنا في استقبالكم في عزائكم على ولدي سيّد الشهداء عليه السلام.

وكان انفتاح الأبواب تمّ بفعل فرقعة قويّة وبكيفيّة تشبه الإنفجار، ولكنّه انفجار من نوع غريب، ما سبّب حريقاً، ولا خلّف ضرراً على أحد، ولا آذى أشخاصاً كانوا ملتصقين بالباب وممسكين بعضادته ومتعلّقين بعروته! مع أنّه كان من القوة بحيث أن بقايا أخشاب الأبواب ما كانت تزيد في حجمها سمكاً وطولاً عن أعواد الكبريت!!

والأعجب أنّه أنفجار دون أي أثر للمتفجرات أو حتّى للدخان والعطبة!!

حتّى أن وفداً خاصاً جاء من مصر في اليوم الخامس من هذه الواقعة بعد انتشار خبرها خصيصاً للتأكّد من الحادثة وضبطها وتسجيلها، وكان خبراء الوفد يقلبون الأعواد ويفحصون الموقع ويسجّلون إفادات الشهود، وهم في منتهى الاستغراب والتأثّر، خصوصاً لما علموا أن أبواب الحرم الشريف كانت مغلقة بواسطة سلاسل من الفضة مربوطة ومعقودة بأقفال عثمانية من الطراز القديم، الذي كان يعرف بأنه من المستحيل فتحه أو كسره، وكان مفتاح هذه

الأقفال يحتاج للدوران عدة مرات ينتقل فيها إلى مراحل متعاقبة حتّى يمكن فتحه.

أما الأبواب فكان سمكها يتجاوز الشبر، ناهيك عما رصَع عليها وأضيف.... كل هذا انكسر وتفتت في ثوان معدودة، وبشكل متزامن عمّ جميع الأبواب في لحظة واحدة!».

يقول الشيخ فرج العمران: «خرجت يوم العاشر وإذا أرى الابتهاج والارتياح في الوجوه، فسألت عن ذلك متعجّباً، فقيل: إنّ الأمير عليه السلام فتح أبواب الروضة....فمضيت بنفسي ورأيت بعيني من أبواب الروضة ثلاثة أبواب، باب إيوان الذهب ومحاذييه والأقفال مع الحلق في محالها من الرزّات، ثمّ من الحلق ما هو مسلول من أصله، ومنها ما هو مكسور على أشكال مختلفة، والباب الأيمن من بابي الروضة المحاذيين لباب إيوان الذهب قد انكسرت رزته الدخلانية، فبهرني ذلك وعراني من الابتهاج والسرور والغرو والارتياح ما لا أستطيع له بيانا» (مجموعة مؤلّفات الشيخ فرج العمران ج ٣ ص ٣٦).

أما ما جرى بعد ذلك فيقول السيّد محمّد رضا شبر رحمه الله:

«دخل المطبّرون الحرم الشريف، واقتلعوا ألواحاً خشبية غليظة كانت منصوبة فوق بئر في الصحن الشريف قرب قبر السيّد محمّد سعيد الحبوبي رحمه الله، وهووا على أفراد الشرطة اليزيديين، الذي فرّوا وخرجوا من الصحن الشريف، ولم يبق إلّا مأمور مركز النجف، وهو ضابط متعجرف من أهالي الموصل يدعى (نامق) طالما عانى أهالي النجف من ظلمه وجبروته، وكان واقفاً بحذائه

المعروف إذ كان يلبس حذاء ذا عنق طويلة تبلغ ركبتيه، وقد اشتهر بين أهالي النجف بحذائه هذا، فلما ظفر به الأهالي حملوه وألقوه على أم رأسه، ثمّ داسوه وسحقوه بأقدامهم حتّى هلك.

عندها ارتجلت الهوسات الحماسية والردّات الحسينيّة، واستقرّت الجموع على صيحة وهتاف واحد: «يا داحي البوب قبل طرَ الفجر»، والبوب باللغة العراقيّة بمعنى الأبواب، وطرّ الفجر أي طلوعه.

صار المطبّرون يطبّرون على وقع هذا الهتاف، ثمّ طافوا بالصحن الشريف مرّتين، وخرجوا إلى بيوتهم.

ومنذ تلك السنة التزم أهالي النجف الأشرف هذا الهتاف في المستهلات التي يخرجون بها للعزاء، وصارت من التقاليد والمراسم السنويّة المتبعة في صبيحة كلّ عاشوراء مع بدء التطبير، واستمروا على ذلك حتّى جاء الطاغية صدام التكريتي ومنع التطبير».

أما ياسين الهاشمي فقد لحقته النقمة الإلهية، إذ لم تدم حكومته السنتين، فقد فرّ إلى سوريا حيث هلك بعد شهرين فقط من فراره، ودفن عند قبر صلاح الدين الأيوبي!! في الجامع الأموي بدمشق.

يقول الشيخ فرج العمران قدس سره:

«وبعد صدور هذه الكرامة الباهرة والمنقبة الزاهرة علت كلمة الشيعة، وابتهجت قلوبهم وأشرقت وجوههم فرحاً وسروراً، ولم يمتنعوا من ضرب القامة ذلك اليوم، وانتقض ما عزم عليه الشرطة من إثارة الفتنة.

كل ذلك كرامة لأميرالمؤمنين عليه السلام وعلى أولاده الطاهرين.

وقد قال السيّد مهدي الأعرجي في شأن هذه الكرامة هذه الأبيات الرائعة مؤرخاً، ونعم ما قال:

مـن لـم يُقـرّ بمعجـزات المرتضـى　　　صـنو النبـيّ فلـيس ذاك بمسـلم
فتحـتَ لنـا الأبـوابَ راحـةُ كفّـه　　　أكـرم بتلـكَ الـراحتين وأنعـم
لمـا أرادوا منـع أربـاب العـزا　　　بوقـوع مـا يجـري الـدما بمحـرّم
فـإذا الوصـيّ براحتيـه أرخـوا　　　أومـأ ففـك البـاب حفظـاً للـدم

(مجموعة مؤلّفات الشيخ فرج العمران ج ٣ ص ٣٦).

جواز الهلع على الحسين عليه السلام

من المعلوم أنّ كلّ الشعائر الحسينيّة غير المنصوصة، تعتمد على عموم أحاديث جواز الجزع على الإمام الحسين عليه السلام.

ففي رواية معاوية بن وهب عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كلّ الجزع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين»[1]

وفي خبر مسمع بن عبدالملك البصري، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال له ـ يعني الصادق ـ: «أما تذكر ما صُنع به»؟ يعني الحسين عليه السلام.

قلت: بلى.

قال: «فتجزع»؟

قلت: إي والله، وأستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فأمتنع من الطعام والشراب حتّى يستبين ذلك في وجهي.

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١٦٢:١، كامل الزيارات: ٢٠٢ حديث ١٠٥، انظر وسائل الشيعة ٥٠٥:١٤ حديث ١٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه«باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام...».

قال: «رحم الله دمعتك، أمّا إنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والّذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمنا»[١].

وعرّف الإمام الباقر عليه السلام معنى الجزع، في رواية أخرجها الكليني في الكافي بسنده عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: ما الجزع؟

قال: «أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزُّ الشعر من النواصي، ومَن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذ في غير طريقه»[٢]

وذهب بعض الأعلام إلى جواز الهلع على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، مستدلّين ببعض الروايات، نذكر كلام بعضهم كشاهد:

(١) قال الشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم»:

قلت: الظاهر من الأخبار جواز الهلع أيضاً، وهو ـ على ما ذكروا ـ أفحش الجزع[٣]، ويظهر من الخبر الصحيح الذي تدلّ مضامينه على صحّته المروي في «الكامل» عن قدامة بن زائدة عن السجاد عليه السلام، أنّه قد صدر منه الهلع لو استطاعه[٤].

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠٣ حديث ٧.

(٢) الكافي ٣: ٢٢٢ حديث ١.

(٣) قاله الجوهري في الصحاح ٣: ١٣٠٨ «هلع».

(٤) لم أعثر على هذا الحديث في متن «كامل الزيارات» من الطبعة المتوفّرة لدينا، والظاهر أنّ النسخ الخطيّة مختلفة في وجوده في المتن، لذلك أورده محقّق النسخة المتوفّرة لدينا في الهامش ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥، قائلاً: زيادة في النسخ نقلناها كما وجدناها:

⇦

⇨

للحسين بن أحمد بن المغيرة فيه حديث رواه شيخه أبو القاسم رحمه الله مصنّف هذا الكتاب، ونقل عنه، وهو عن زائدة، عن مولانا علي بن الحسين عليه السلام، ذهب على شيخنا رحمه الله أن يضمّنه كتابه هذا، وهو ممّا يليق بهذا الباب، ويشتمل أيضاً على معان شتى حسن تامّ الألفاظ، أحببت إدخاله، وجعلته أوّل الباب.

وجميع أحاديث هذا الباب وغيرها ممّا يجري مجراها يستدلّ بها على صحّة قبر مولانا الحسين عليه السلام بكربلاء؛ لأنّ كثيراً من المخالفين ينكرون أنّ قبره بكربلاء، كما ينكرون أنّ قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالغري بظهر الكوفة

وقد كنت استفدتُ هذا الحديث بمصر عن شيخي أبي القاسم علي بن محمّد بن عبدوس الكوفي رحمه الله، ممّا نقله عن مزاحم بن عبد الوارث البصري، بإسناده عن قدّامة بن زائدة، عن أبيه زائدة، عن علي بن الحسين عليه السلام، وقد ذاكرتُ شيخنا ابن قولويه بهذا الحديث بعد فراغه من تصنيف هذا الكتاب ليدخله فيه، فما قضى ذلك، وعاجلته منيّته رضي الله عنه وألحقه بمواليه عليهم السلام.

وهذا الحديث داخل في ما أجاز لي شيخي رحمه الله، وقد جمعت بين الروايتين بالألفاظ الزائدة والنقصان والتقديم والتأخير فيهما، حتّى صحّ بجميعه عمّن حدّثني به أولاً ثمّ الآن، وذلك أنّي ما قرأته على شيخي رحمه الله ولا قرأه عليّ، غير أنّي أرويه عمّن حدّثني به عنه وهو أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن عياش، قال: حدّثني أبو القاسم جعفر ابن محمّد بن قولويه، قال: حدّثني أبو عيسى عبيد الله بن الفضل بن محمّد بن هلال الطائي البصري رحمه الله، قال: حدّثني أبو عثمان سعيد بن محمّد، قال: حدّثنا محمّد بن سلام بن يسار (سيار خ ل) الكوفي، قال: حدّثني أحمد بن محمّد الواسطي، قال حدّثني عيسى ابن أبي شيبة القاضي، قال حدّثني نوح بن درّاج، قال: حدّثني قدامة بن زائدة، عن أبيه، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «بلغني يا زائدة أنّك تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحياناً»؟!

فقلت: إنّ ذلك لكما بلغك.

فقال لي: «فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبّتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمّة من حقّنا»؟

⇦

وروى المجلسي أعلى الله مقامه[١] والسيّد عبدالله شبر رفع الله درجته في كتاب جلاء العيون، إنّ زين العابدين عليه السلام كان إذا أخذ إناء ليشرب يبكي

⇨
فقلت: والله ما أريد بذلك إلّا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه

فقال: «والله إنّ ذلك لكذلك».

فقلت: والله إنّ ذلك لكذلك ـ يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً ـ .

فقال: «أبشر ثمّ أبشر ثمّ أبشر، فلأخبرنّك بخبر كان عندي في النخب المخزون.

فإنّه لمّا أصابنا بالطفّ ما أصابنا وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحُملت حرمه ونساؤه على الأقتابِ يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واش تدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبيّنت ذلك منّي عمّتي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدي وأبي وإخوتي؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مضرّجين بدمائهم، مرمّلين بالعرى، مسلّبين، لا يُكفّنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر؟

فقالت: لا يجزعنّك ما ترى، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأُمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمُة، وهم معروفون في أهل السماوات، إنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلّا ظهوراً، وأمره إلّا علوّاً».

(١) في بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨ ـ ١٠٩: «وقيل: إنّه ـ أي الإمام زين العابدين عليه السلام ـ إنّه بكى حتّى خيف على عينيه، وكان إذا أخذ إناء يشرب ماء بكى حتّى يملأها دمعاً، فقيل له في ذلك فقال: «وكيف لا أبكي؟! وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع
⇦

حتّى يملأه دماً [(١)].

وهذا بظاهره من غرائب الأخبار، فإنّ العيون لاتسيل دموعها دماً، ولذلك كنت أحتمل وقوع التحريف فيه، وأنّ الصحيح (دمعاً) بدل (دماً)، لكنّي وجدت المخطوط والمطبوع من الجلاء وغيره كما هو مرويّ فيه.

وعليه فأقرب توجيهاته أن يقال: إنّ العيون وإن لم تبك دماً، لكنّها لكثرة البكاء والاحتراق تتقرّح أجفانها، فإذا اشتدّ البكاء تنفجر القروح دماً يمتزج بالدموع، فهو إذا سال في الإناء يسيل كأنّه دم، ويصدق حينئذ أن يقال: يملأ الإناء دماً.

وإذا ساغ للسجادعليه السلام أن يسيل الدم باختياره من عضو من أعضائه ببكاء الدم أو بتقريح الجفن جزعاً وهلعاً على رزيّة الحسينعليه السلام، فما هو إذاً شأن ما يصدر من الشيعة من ضرب السلاسل والقامات؟!

وهل سيلان دمّ السجّاد في الإناء أهون من انتشار قطرات من دم رأس الجريح على ثيابه حزناً على تلك الفادحة العظيمة؟!

⇦

والوحوش». وقيل له: إنّك لتبكي دهرك فلو قتلت نفسك، لما زدت على هذا؟ فقال: «نفسي قتلتها وعليها أبكي».

(١) في جلاء العيون ٣: ١٥ عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «إنّ علي بن الحسينعليه السلام بكى على أبيه عشرين سنة ـ وفي رواية أربعين سنة ـ وما وضع بين يديه طعاماً إلّا بكى، وما أوتي بشراب إلّا بكى حتّى يتضاعف ذلك الماء، حتّى قال له مولىً له: جعلت فداك يابن رسول الله، إنّي أخاف أن تكون من الهالكين...».

ثمّ أقول: بهذا الاعتبار أيضاً ـ مضافاً إلى ما سلف من قوله عليه السلام: «على مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»(١) ـ يرفع الاستبعاد عمّا روي في الكتب من أنّ عقيلة آل محمّد صلى الله عليه وآله في موارد عديدة لطمت وجهها وشقّت جيبها وصاحت ودعت بالويل والثبور(٢).

---

(١) التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث١٩٩.

(٢) في وقعة الطفّ لأبي مخنف الغامدي الأسدي: ٢٢٩ ـ ٢٣٠ وعنه في تأريخ الطبري ٥: ٤٢٠:

عن علي بن الحسين بن علي عليه السلام قال: «إنّي جالس في تلك العشية التي قُتل أبي صبيحتها، وعمّتي زينب عندي تمرّضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده حُويّ مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهر أفّ لك من خليل — كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل — والدّهر لا يقنع بالبديل

وإنّما الأمر إلى الجليل — وكلّ حيّ سالك سبيلي

فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، وعلمت أنّ البلاء قد نزل، فأمّا عمّتي فإنها سمعت ما سمعت، وهي إمرأة، وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها ـ وأنّها لحاسرة ـ حتّى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أُمّي، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمال الباقي. فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: أُخيّة! لا يذهبن بحلمك الشيطان، قالت: بأبي أنت وأُمّي يا أبا عبد الله! استقتلت؟ نفسي فداك، فردّ غصّته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام، قالت: يا ويلتي! أتغصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي! ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقّته وخرّت مغشياً عليها، فقام إليها الحسين عليه السلام فصبّ على وجهها الماء، وقال لها: ⇦

فإنّه لاحامل لها على شقّ الجيب إلّا الجزع في مصاب حقّ أن تشقّ له القلوب لا الجيوب، كما صرّح بذلك سيّدنا العلاّمة السيّد إسماعيل الصدر قدّس سرّه في بعض حواشيه.

وكيف لاتفعل ذلك في مصاب جزع له وبكى إبراهيم خليل الرحمن وموسى كليمه، كما في الخبر[1]؟!

⇨

يا أُخيّة، اتّقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأُمّي خير منّي، وأخي خير منّي ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أُسوة».

وانظر: أيضاً الملهوف على قتلى الطفوف للسيّد ابن طاووس: ١٤٠ ـ ١٤٢.

وفي وقعة الطفّ لأبي مخنف الغامدي الأسدي: ٢٩٥ ـ وعنه في تأريخ الطبري ٤٥٥ ـ ٤٥٦ ـ: «قال قرّة بن قيس التميمي: لا أنسى زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين عليه السلام صريعاً وهي تقول: يا محمّداه! يا محمّداه! صلّى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مرَمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمّداه! وبناتك سبايا، وذريّتك مقتلة تسفي عليها الصبا»!

(١) روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ٢: ١٨٧ حديث١ والخصال: ٥٨ حديث٧٩ بسنده عن الفضيل، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟

⇦

وفي آخر: إنّ فاطمةعليها السلام لمّا أخبرها النبيصلى الله عليه وآله بقتل الحسين جزعت وشقّ عليها[1].

⇨
فقال: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّدصلى الله عليه وآله.

فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟

قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي.

قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟

قال: بل ولده.

قال: فذبح ولده ظلماً على يدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟

قال: يا ربّ، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أُمّة محمّدصلى الله عليه وآله ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيمعليه السلام لذلك وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب ؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾.

(١) قال العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٤٤: **٢٩٢ ـ ٢٩٣**، حديث٣٧: رأيت في بعض تأليفات بعض الثقات من المعاصرين: روي أنّه لمّا أخبر النبيّصلى الله عليه وآله ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاءً شديداً، وقالت: يا أبت، متى يكون ذلك؟

قال: في زمان خال منّي ومنك ومن علي، فاشتدّ بكاؤها، وقالت: يا أبت، فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم باقامة العزاء له؟

فقال النبيّ: يا فاطمة إنّ نساء أُمّتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل، في كلّ سنة، فإذا كان القيامة تشفعين أنت
⇦

وفي خبر آخر: إنّها تنظر كلّ يوم إلى مصرع الحسين عليه السلام فتشهق شهقة تضطرب لها الموجودات(١).

⇨

للنساء وأنا أشفع للرّجال، وكلّ من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنّة، يا فاطمة، كلّ عين باكية يوم القيامة، إلّا عين بكت على مصاب الحسين فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنّة.

(١) روى الشيخ ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ١٦٩ ـ ١٧١ حديث ٢٢٠ بسنده عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله أحدّثه، فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضمّه وقبّله وقال: حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممّن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء، ثمّ بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أُتي إلى أبيهم وإليهم،يا أبا بصير، إنّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنّم زفرة لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض، فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتّى يسكن صوت فاطمة الزهراء، وأنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلّا بها ملك موكّل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ ثورانها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها، ويدعون الله ويتضرّعون إليه، ويتضرّع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أنّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض، وتقطّعت الجبال، وزلزلت الأرض بأهلها.

قلت: جعلت فداك، إنّ هذا الأمر عظيم، قال: غيره أعظم منه مالم تسمعه.

ثمّ قال: يا أبا بصير، أمّا تحبّ أن تكون فيمن يُسعد فاطمة عليها السلام؟

⇦

وفي غيره قال: سمعت أبا ذر وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلى الربذة، فقال الناس: يا أباذر، أبشر فهذا قليل في الله.

فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي قتلاً؟! أو قال: ذبح ذبحاً، وإنّ الله سيسل سيفه على هذه الأمّة لا يغمده أبداً، ويبعث ناقماً من ذريّته فينتقم من الناس، وإنّكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار وسكان الجبال في الفيافي والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم واللّه حتّى تزهق أنفسكم(١).

⇨

فبكيت حين قالها، فما قدرت على النطق وما قدر على كلامي من البكاء.

ثمّ قام إلى المصلّى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام، وما جاءني النوم، وأصبحت صائماً وجلاً حتّى أتيته، فلمّا رأيته قد سكن سكنت وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة.

(١) روى ابن قولويه في كامل الزيارات: ١٥٣ ـ ١٥٤ حديث ١٩٠ بسنده عن عروة بن الزبير قال: سمعت أبا ذر وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلى الرّبذة، فقال له الناس: يا أبا ذر، أبشر فهذا قليل في الله، فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي قتلاً، أو قال: ذبح ذبحاً، والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه، وإنّ الله سيسل سيفه على هذه الأُمّة لا يغمده أبداً، ويبعث ناقماً [قائماً] من ذرّيته فينتقم من الناس، وإنكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار، وسكّان الجبال في الغياض والآكام، وأهل السماء من قتله، لبكيتم والله حتّى تزهق أنفسكم، وما من سماء يمرّ به روح الحسين عليه السلام إلّا فزع له سبعون ألف ملك، يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة، وما من سحابة تمرّ وترعد وتبرق إلّا لعنت قاتله، وما من يوم إلّا وتعرض روحه على رسول الله فيلتقيان.

ومن الأدلّة على ذلك ـ مضافاً إلى ما سلف وإن كان فيه غنىً وكفاية ـ ما دلّ على إدماء الله كثيراً من أنبيائه لأجل أن يحصل لهم الفوز بدرجة المواساة للحسين عليه السلام.

فمن ذلك المروي في البحار والأنوار أنّ آدم عليه السلام لمّا انتهى في طوافه في الأرض إلى كربلاء، عثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتّى سال الدم من رجله[1].

وكذلك إبراهيم عليه السلام لمّا مرّ بها عثر فرسه فسقط وشجّ رأسه وسال دمه[2].

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٢ حديث٣٧، الأنوار النعمانية ١: ٢٢٩: وروي مرسلاً: أنّ آدم لمّا هبط إلى الأرض لم يرَ حوّاء، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، حتّى سال الدّم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإنّي طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض فأوحى الله إليه: يا آدم، ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً، فسال دمك موافقة لدمه فقال آدم: يا ربّ أيكون الحسين نبيّاً؟

قال: لا، ولكنّه سبط النبيّ محمّد.

فقال: ومن القاتل له؟

قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض.

فقال آدم: فأيّ شيء أصنع يا جبرئيل؟

فقال: العنه يا آدم، فلعنه أربع مرّات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّاء هناك.

(٢) في بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ حديث ٣٩: وروي أنّ إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلا، وهو راكب فرساً، فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار، وقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟

⇦

وكذلك موسى عليه السلام حين جاء كربلاء انخرق نعله وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجليه وسال دمه[١].

وكلّ هؤلاء لمّا ذعروا من ذلك وخشوا أن يكون ذلك لذنب حدث منهم، أوحى اللّه إلى كلّ واحد منهم أن لا ذنب لك، ولكنّ يقتل في هذه الأرض الحسين بن علي عليه السلام، وقد سال دمك موافقة لدمه.

⇨
فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه، قال: يا جبرئيل، ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السّماوات والأرضين، والقلم جرى على اللّوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنك استحققت الثناء بهذا اللعن.

فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً، وأمّن فرسه بلسان فصيح، فقال إبراهيم لفرسه: أيّ شيء عرفت حتّى تؤمّن على دعائي؟

فقال: يا إبراهيم، أنا أفتخر بركوبك علي، فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى.

(١) في بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٤ حديث٤١: وروي أنّ موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع ابن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجليه، وسال دمه، فقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟

فأوحى إليه: أنّ هنا يقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه.

فقال: ربّ ومن الحسين؟

فقيل له: هو سبط محمّد المصطفى، وابن علي المرتضى.

فقال: ومن يكون قاتله؟

فقيل: هو لعين السّمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء.

فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمّن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه.

فإنّ في هذا الإعثار والإدماء من الله لا عن ذنب، والتعليل بكونه موافقة لدم الحسين عليه السلام، دلالة جليّة على جواز إدماء الإنسان نفسه مواساة له، لأنّ سيلان دمائهم مع كونه غير مقصود لهم إذا كان محبوباً لمجرّد الموافقة في السيلان، فالمقصود إسالته مواساة لهم أولى بالمحبوبيّة.

إنّ التأسّي بالحسين عليه السلام مندوب إليه، وقد رغّب فيه الغلام الزكي يحيى ابن زكريا والصادق الوعد إسماعيل، كما في الخبر عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ إسماعيل الذي قال الله عزّوجلّ في كتابه: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ...**﴾[1] لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبيّاً من الأنبياء بعثه الله عزّوجلّ إلى قومه فاخذوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إنّ الله جلّ جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت.

فقال: لي بما يصنع بالحسين عليه السلام أسوة[2].

---

(١) مريم (١٩): ٥٤.

(٢) روى ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ١٣٧ حديث ١٦١ بسنده عن محمّد بن سنان، عمّن ذكره عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: إنّ إسماعيل الذي قال اللّه تعالى في كتابه: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا** ﴾ لم يكن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، بل كان نبيّاً من الأنبياء، بعثه اللّه إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك عن اللّه تبارك وتعالى فقال: إنّ اللّه بعثني إليك فمرني بما شئت.

⇦

بل روي أنّ غنمه التي كانت ترعى في شاطي الفرات، لمّا امتنعت من ورود الماء وسألها عن سبب الامتناع، قالت: هذه المشرعة يقتل عليها الحسين عليه السلام، فنحن لانشرب منها مواساة له[1].

وقد روي امتناع بعض الأئمّة من شرب الماء يوم عاشوراء مواساة للحسين عليه السلام[2].

وورد في صومه: «لاتجعله صوم يوم كامل، ولكن أفطر بعد الزوال بساعة على شربة ماء، فعندها تجلّت الهيجاء عن آل الرسول»[3].

⇨

فقال: لي أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام.

(١) في بحارالأنوار ٤٤: ٢٤٣ ـ ٢٤٤ حديث ٤٠: وروي أنّ إسماعيل كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات، فأخبره الراعي أنّها لاتشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربّه عن سبب ذلك، فنزل جبرئيل وقال: يا إسماعيل، سل غنمك فانّها تجيبك عن سبب ذلك.

فقال لها: لم لا تشربين من هذا الماء؟

فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط محمّد يقتل هنا عطشاناً، فنحن لانشرب من هذه المشرعة حزناً عليه، فسألها عن قاتله، فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين، فقال إسماعيل: اللّهمّ العن قاتل الحسين عليه السلام .

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ١٤١: وكثير منهم لايشرب الماء ليلتذّ موافقة للحسين لأنّه قتل عطشاناً.

(٣) وهي رواية عبدالله بن سنان، أخرجها الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد: ٧٢٤، وعنه في وسائل الشيعة ١٠: ٤٥٨ ـ ٤٥٩ حديث٧، باب٢١ من أبواب الصوم المندوب «عدم جواز

⇦

وكان موسى بن جعفر عليه السلام: «إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان يوم مصيبته وحزنه وبكائه»[١].

فهذه الرموز تشير إلى استحباب مواساة الحسين بتحمّل العطش، وبإدماء الرأس، وبكلّ ما يكون مصداقاً لها سوى القتل. وإنّما خصّ الرأس بالإدماء؛ لأنّ المواساة لا تصدق الآن عرفاً إلّا بإدماء غيره»[٢]

(٢) ذكر ذلك أيضاً وبعبارات قريبة ممّا مرّ آنفاً الشيخ عبدالحسين قاسم الحلّي (ت١٣٧٥هـ) في رسالته «النقد النزيه لرسالة التنزيه»[٣].

⇦

صوم التاسع والعاشر من المحرّم على وجه التبرك»، وفيها: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام يوم عاشوراء ودموعه تنحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: ممّ بكاؤك؟

فقال: أفي غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم؟!

فقلت: ما قولك في صومه؟

فقال لي: صمه من غير تبييت وافطره من غير تشميت، ولاتجعله صوم يوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ١١١ حديث ٢، وعنه في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٤ ـ ٥٠٥ حديث ٨ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «استحباب البكاء لقتل الحسين...».

(٢) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢ :٤٠٠-٤٠٩.

(٣) النقد النزيه لرسالة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٦:٢١٣.

تاريخ تمثيل واقعة الطفّ وحكمه الشرعيّ

تمثيل واقعة الطفّ، الذي يُعبّر عنه بـ (الشبيه) أو (التشبيه) أو (الدائرة): هو أن يقوم بعض الأشخاص بتمثيل أحداث العاشر من محرّم سنة ٦١ هـ، وما جرى على الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه الكرام، من مآس وويلات، وما قدّموه من بطولات رائعة وصمود منقطع النظير، في سبيل الدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف.

وهدف الجميع ـ الذين يمثّلون الواقعة، والذين يساهمون في إقامتها، أو يشاهدونها ـ هو الأجر والثواب، والحصول على شفاعة الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

والذي يطالع تاريخ المسرح في العالم العربي والإسلامي، يشاهد أنّ أوّل عمل مسرحي أقيم، هو المسرح الحسينيّ الذي مثّل أحداث واقعة الطفّ.

«ولهذا نستطيع أن نقول: إنّ «مسرح عاشوراء» يمكن أن يشكّل أوّل عمل مسرحي في العالم العربي، الذي لم يعرف المسرح الملحمي والدرامي، كما هو معروف في المسرح الكلاسيكي في اليونان، وبحسب المنوذج الكلاسيكي، الذي وضع أسسه أرسطو».

ويصرّح الأعلام الذين ألّفوا الرسائل المطبوعة في هذه المجموعة، أنّ تاريخ تمثيل واقعة الطفّ يعود إلى أيام الدولة الصفوّية، خصوصاً أيام العلّامة المجلسي (ت١١١١هـ)، الذي اعتبره بعضهم هو المؤسّس لهذه الشعيرة الحسينيّة.

وقبل أن نورد ما ذكره الأعلام من تاريخ تمثيل واقعة الطفّ وحكمه الشرعي، ننقل كلام السيّد إبراهيم الحيدري في كتابه «تراجيديا كربلاء»، الذي قارن فيه بين المسرح الحديث وتمثيل واقعة الطفّ، من الناحية الفنيّة:

مسرح عاشوراء(التشابيه)وفلسفته الدينيّة
وخصائصه الفولكلوريّة

«لقد ولّدت مراسيم العزاء الحسيني، التي تعود في أصولها إلى مقتل الإمام الحسين في كربلاء، تلك المأساة الدامية التي تعتبر أول تراجيديا في الإسلام، ظاهرة مسرحية شعبية تُدعى «الشبيه» أو «التشابيه». وهي ظاهرة مسرحية قائمة بذاتها، كانت قد تشكّلت تاريخياً وبتساوق مع المعطيات والمؤثّرات الدينية والاجتماعية السياسية، ومن دون مؤثرات المسرح الكلاسيكي والحديث.

ومن الممكن تصوّر الطريقة التي نشأت وتطوّرات بموجبها هذه الظاهرة الفريدة، التي بدأت على شكل مرثية تنشد على مجموعة من الناس؛ لتصوير ما جرى في واقعة الطفّ بكربلاء من أحداث مؤلمة.

فمن المحتمل أن قام الخطيب أو الشاعر أو أي شخص آخر، بأداء دور بسيط، يشرح فيه شيئاً من أحداث يوم عاشوراء؛ ليكون مشهداً بسيطاً صامتاً،

يعبّر فيه عن أحزانه بحركات وإيماءات محدّدة، كأن يحمل سيفاً ويلوح به في الفضاء.

وربما حدث تبادل في الأدوار، بين المنشد والمستمعين، وكذلك ردود فعل ظهرت في أصواتهم وحركاتهم، ممّا شجّع على تكرار ذلك المشهد مرّة أخرى.

وربما كان ظهور أحد الأطفال وهو يطلب جرعة ماء، إشارة إلى طفل الحسين الرضيع الذي قُتل عطشاناً، قد أثار عواطف المشاهدين وحماسهم. وهو ما شجع على إعادة وتكرار ذلك المشهد مرّة بعد أخرى، وسنة بعد أخرى، ليس في مجالس النياحة والعزاء فحسب، بل وسط مجموعة من المشاهدين الذين يكوّنون «دائرة» يقام في وسطها «الشبيه»، ومن هنا جاءت تسمية تلك المشاهد التمثيلية بـ«الدائرة».

إنّ استذكار بعض مشاهد عاشوراء في مسرحيّات شعبيّة وإعادتها كلّ عام، كانت تهدف إلى إبراز الآلام العميقة التي حلّت بالإمام الحسين وأهل بيته وصحبه، وكذلك المبادئ السامية التي نادى بها للاقتداء بها، وكذلك إبراز أهدافها الأخلاقية والتربوية والوعظية.

ومع تطور «الشبيه» وانتشاره، فإنّه ما زال يحتفظ بكثير من خصائصه الموروثة، ونكهته الشعبية، وأبعاده التاريخية والفولكلورية، من دون تغيير كبير في أساليبه وأدواته، وكذلك في مضامينه العامة، مع أنّها مضامين دينيّة بالدرجة الأولى، وإجتماعية سياسية وإنسانية عامة بالدرجة الثانية، يمكن تطويرها إلى ما هو أفضل.

إنّ مسرح «الشبيه» في عاشوراء، في مادته وخصوصياته وآفاقه، يمكن أن يكون محاولة جريئة لخلق مسرح شعبيّ متطوّر، يثير أفكاراً وأساليب وصراعاً، ويضيف إلى المسرح الحديث خبرات وتجارب عملية وعفوية جديدة، تنطلق من تاريخنا وحضارتنا، وكذلك واقعنا الاجتماعي، في الوقت نفسه تستشرف مستقبلنا.

ومع صعوبة خروج العاملين فيه على ما هو تقليدي وموروث؛ لكونه أسير تقليد ثابت ومحاكاة خاصة، تنسجم مع الأفق الفكري الشعبي، والديني التقليدي، الذي يعرض فيه أفكاره ومعتقداته وطموحاته، فإنّه من الممكن أن تجري له عملية تطوير وتغيير وإنسجام، حتّى لو كانت بطيئة، كما حدث «للشبيه» في العراق، في بداية النصف الثاني من هذا القرن على وجه الخصوص، حيث تطوّرت وازدهرت ودخلت إليها بعض العناصر الجديدة، بتأثير السينما والمسرح الحديث، ولو بشكل محدود وزهيد.

لقد أطلقنا على «الشبيه»: مسرح عاشوراء، الذي هو مسرح شعبي شعائري يختصّ بتمثيل مأساة كربلاء، ويعرضها في مشاهد ذات طابع إخباري، وتربوي وعظي، وفي حبكة مبسطة ولغة سهلة الفهم والاستيعاب، الهدف منها تعريف المُشاهد بما جرى في كربلاء من ظلم ومآسٍ مروعة، ليس للمواساة فحسب، بل لأخذ دروس وعبر منها، بشكل ملحمي درامي بسيط.

ولهذا نستطيع القول، بأنّ «مسرح عاشوراء» يمكن أن يشكّل أوّل عمل مسرحي في العالم العربي، الذي لم يعرف المسرح الملحمي والدرامي، كما

هو معروف في المسرح الكلاسيكي في اليونان، وبحسب النموذج الكلاسيكي الذي وضع أسسه أرسطو. فالمسرحيّة يجب أن يكون لها بداية ووسط ونهاية، وكذلك ذروة يجب أن يصل إليها.

وبمقارنة «مسرحيّة عاشوراء» نجد أنّ مقتل الإمام الحسين وأهل بيته يمثّل ملحمة تراجيدية، تجسّد الحقّ والبطولة والرفض والثبات على المبدأ، مثلما تمثّل الصراع بين الخير والشر.[(١)]

في مسرح عاشوراء تكون البداية قدوم مسلم بن عقيل، رسول الإمام الحسين إلى الكوفة ومقتله. وتمثّل معركة الطف بكربلاء، بجميع أحداثها، وسط المسرحية، التي تصل إلى ذروتها حين يتقدّم أنصار الحسين وأهل بيتهم للقتال واحداً بعد الآخر، لتصل الملحمة البطولية إلى ذروتها حين يقع الإمام الحسين صريعاً مضرجاً بدمائه الزاكية.

أما النهاية فتكون عند هجوم بني أميّة على مخيم أهل البيت وحرقه، وسبي النساء والأطفال وأخذهم سبايا إلى الشام.

خصائص مسرح عاشوراء:

من خصائص مسرح عاشوراء، كظاهرة مسرحية ذات ملاح عربية إسلامية:

أوّلاً: إنّه مسرح هواة وليس مسرح محترفين، يعبّر عن ذكاء وقابليات فطرية ومهارات شعبية فولكلورية، تطرح بشكل عفوي، وليس مكتسباً أو عن

---

(١) هادي المهدي، قراءة في مشروع تأسيس مسرح عربي إسلامي، مجلة النور، ص ٦.

طريق معرفة أكاديمية منظمة، وإنّما عن طريق إرث تقليدي ينتقل إلى العاملين فيه، إضافة إلى الخبرة والتجارب والمعايشة المستمرة.

لذا نجد أن جميع الممثّلين والمنشدين والمنظّمين (المخرجين)، وكلّ المشاركين في إنتاج وإخراج وتمثيل هذه المسرحية، هم من غير المحترفين، ويقومون بهذه الفعاليات من أجل «خدمة» الإمام الحسين، والتقرّب منه ومواساته، ولايرجون من ذلك سوى طلب الشفاعة من جدّه، حتّى لو حصل البعض منهم، في أحيان قليلة، على مكافآت نقدية وهدايا عينية.

في المسرح الطقوسي يتقمّص «الممثّلون» أدوارهم عن طريق محاكاتهم للوقائع التاريخية، واندماجهم فيها روحياً ووجدانياً، وبذلك يستطيعون عكس مشاعرهم بشكل عفوي، ممّا يساعد على خلق أجواء تاريخية بالأزياء العربية وركوب الخيل وحمل الرماح والسيوف، وغالباً ما يكون الممثّلون أصدقاء أو من محلة واحدة في أغلب الأحيان.

أمّا المنظّم (المخرج)، فغالباً ما يكون رئيس الموكب أو شاعره أو خطيبه، يقوم بتوزيع الأدوار وتدريب الممثّلين على أداء أدوارهم، وعلى إلقاء الخطب وركوب الخيل والمبارزة، وكذلك ارتداء الأزياء والمكياج، وغيرها.

فهو الذي يحدّد متطلبات المكان والزمان، وكذلك عدد الممثّلين وأزياءهم، و«الديكورات» بكلّ تفاصيلها، وكذلك حركات الممّثلين وحواراتهم، التي تجّسد المشاهد الدرامية على المسرح، ولذلك تصبح من خصوصيّات هذا المسرح العفويّة التي تعطي للممثّل شيئاً من حرّية الحركة والتعبير.

ومن المعتاد أيضاً أن يقوم المخرج «المنظّم الشعبي» بافتتاح المسرحيّة، بتقديم موجز لواقعة الطفّ، قبل قيام الممثّلين بأدوارهم. كما يقوم أحياناً بإلقاء قصيدة شعرية أو مرثية حزينة تصاحب أداء الممثلين لأدوارهم، وربّما تكون هذه المرثية الحزينة بديلاً للموسيقى التصويرية التي تصاحب المسرحيّة الحديثة.

إنّ هذه الطريقة التي يقدّمها المسرح الشعبي في عاشوراء، لانجد مثيلاً لها في تاريخ المسرح الكلاسيكي، ولا في تاريخ المسرح الحديث.

أمّا مكان المسرح، فغالباً ما يكون في صحن إحدى العتبات المقدّسة كما في الكاظمية والنجف، أو في «الخيمكة» وهو الموقع الذي جرت فيه واقعة الطفّ بكربلاء، أو في إحدى الساحات العامّة، أو في حسينيّة، أو أي مكان آخر.

أمّا الزمان، فهو في الحقيقة تجريد لزمان آخر مضى، لكنّه بقي في المخيال الشعبي حيّاً ومتحرّكاً ومرتبطاً بشهر محرّم من كلّ عام، وبخاصة يوم عاشوراء.

ثانياً: إنّه مسرح شعائري، درامي تراجيدي، إن صح التعبير، ويعرض بشكل ملحمي وقائع وقصص وأساطير من واقعة الطفّ، ويستمدّ محتوياته من كُتب المقاتل التي وصفت وشرحت أوّل تراجيديا دامية عرفها التاريخ الإسلامي.

هذه الملحمة البطولية تعرض بشكل جادّ وقائع تاريخية ذات أبعاد دينية، واجتماعية سياسية، مثلما تعرض بطولات فذة بقيمها العليا ومبادئها السامية، عن طريق تقمص الممثّل لشخصية البطل ومبادئه.

وغالباً ما يصاحب هذا العرض حوار وإنشاد أشعار ومراثٍ وخطب، تعكس مفاهيم الإيمان والتضحية في سبيل المبدأ والعقيدة، مثلما تعكس مفاهيم القوّة والشجاعة والقدرة على تحمل الصبر وتخطي الصعاب، وهي بهذا تجسيد لمفهوم الخير الذي ينتصر دوماً على الشر، كفلسفة اجتماعية، هي الهدف الرئيسي لهذه المسرحية.

وأبعد من ذلك، فإنّه يجعل من هذا الهدف غاية أبعد، هي توليد الصراع الاجتماعي، في ربطه بين المبادئ والقيم العليا التي أعلنتها ثورة الإمام الحسين في كربلاء وبين النظام الاجتماعي الاستبدادي المرفوض الذي يتحكّم في مصير الناس ويتخطّى حقوقهم في الواقع الاجتماعي المعيشي.

إنّ هذا الجدل الاجتماعي الدرامي يخلق في الوقت ذاته جوّاً من التعاطف والتلاحم من جهة، وجوّاً من الرفض ونفي الآخر من جهة أخرى، وبهذا فهو يكشف عن الذات إزاء الآخر وينقدها، مثلما يطرح موقفاً ثابتاً ضدّ الاستعباد والتسلّط الفردي والدونية، وهو إبراز وتجسيد للصراع بين الجلّاد والضحية. وبهذا تستقطب مسرحية عاشوراء هموم العرب والمسلمين، ممّا يؤكّد عصريتها وعناصر بقائها واستمرارها.

إنّ مسرح عاشوراء ينطلق دوماً من تراث ثقافي، يعبّر عن قيم ومعايير أخلاقيّة عالية، في طرحه القدرة على التضحية بالحياة في سبيل المبدأ ومن أجل الآخرين، مقابل الشهادة، بوصفها الحياة الأكثر أصالة والأكثر غنىً، والأكثر سموّاً وتعالياً.

ولتجسيد الأحداث والشخصيّات، فإنّ ثمّة واقعاً عاطفياً قوياً يبرز أسمى الصفات الإنسانية ويطبعها بطابعه، حيث تجسّد شخصيّة الإمام الحسين كلّ قيم الخير والحقّ والرفض والشجاعة، أمّا شخصية الشمر، فتجسّد كلّ قيم البؤس والشرّ والنذالة. ومن هنا تبرز خاصية أساسية في مسرح عاشوراء ، هي إسقاط الأحداث التاريخية الماضية، على الزمن الحاضر المعاش، بحيث تصبح وكأنّها انعكاس لأحداث تجري اليوم.

وفي الواقع، فإنّ مسرح عاشوراء لا يركّز على مصداقية تاريخية، بقدر ما يركّز على الخيال الشعبي لتلك الوقائع وتأثيرها العاطفي، فقد تُعرض بعض الحوادث بشكل قد يتعارض مع حقائق التاريخ، وأحياناً تتعارض مع المبادئ التي قامت من أجلها ثورة الإمام الحسين، لذا نرى تشابك الأحداث التاريخية وامتزاجها بقصص وأساطير ليس لها أساس تاريخي، كحراسة جسد الإمام الحسين من قبل الأسود، بعد أن وقع صريعاً على أرض كربلاء، وغيرها من الأساطير.

مسرح عاشوراء لا يعرض لنا تسلسلاً تاريخياً بقدر ما يعرض لنا أحداثاً تاريخية محدّدة ومعروفة ومتداولة بين الناس، وقد سمعها الكلّ أكثر من مرّة

من كتب التاريخ الإسلامي أو كتب المقاتل وقرّاء المجالس الحسينيّة، وعرف تفاصيلها وحفظ بعض مقاطعها عن ظهر قلب.

المهم هو أنّه يعرض تلك الأحداث على شكل مبادئ ورموز وقيم ويجسدها تجسيداً حسياً، فهي ليست مجرّد حوادث تاريخية وقصص مسلية وأساطير خيالية تأخذك بسحرها وأحلامها وأمانيها، وإنّما هي تجسيد لها بمشاركة وجدانية، كلّ واحد طرف فيها، الممّثل والمشاهد يكونان هنا وحدة جدلية، فليس هناك اغتراب مسرحي، بالمعنى الذي قصده الأديب المسرحي الألماني بارتولد برشت في مسرحه[١].

ومن هنا فإنّ مسرح عاشوراء يبقى مسرحاً شعبياً، لايندرج في إطار مذهب كلاسيكي أو مذهب حديث، وهو مسرح واقعي أكثر منه خيالي؛ لأنّه يستمد أحداثه من التاريخ الإجتماعي العربي الإسلامي، مسرح بسيط وغير مزيّف، إلى درجة أن المرء يندمج مع أحداثه، فلا يستطيع التمييز بين ما هو تاريخي وغير تاريخي، محتمل وغيرمحتمل.

ثالثاً: إنّه مسرح حياة أكثر منه مسرح لغة وتخاطب، يتعايش فيه الجمهور المشاهد مع الحدث المأسوي، ويشارك فيه مع الممثّلين، وينفعل معهم انفعالاً شديداً إلى درجة البكاء والنحيب وانهمار الدموع الحارة، بل وأكثر من ذلك، حيث يأخذ البعض بالضرب على صدورهم أو رؤوسهم أو جباههم، وهم يصرخون:«يا حسين.. يا مظلوم».

---

(١) J.willett, the theatre of Brelolt Brecht, London،1967,p. 165.

ويظهر التجاوب في شكلين:

الأوّل: في مشاركة الجمهور في العمل المسرحي مشاركة مباشرة أحياناً، وغير مباشرة في أحيان أخرى، فالجمهور هو هنا مشاهد ومشارك معاً، يستمع وينشد ويندمج مع الممثّلين وبولع شديد، وبدون عناء أو ملل، بحيث يصبح جزءاً منهم، إلى درجة أنّه ينسى نفسه بكونه مشاهداً، فيأخذه الانفعال والتوتّر الوجداني بحيث تتولّد علاقة جدليّة وحيّة بين الممثل والمشاهد، ويأخذ هذا الأخير دوراً مضافاً ويصبح جزءاً من مسرح الحياة.

أما الشكل الثاني من التجاوب، فيظهر في الانفعال الشديد الذي يشدّ المشاهد المشارك إلى العمل المسرحي، وإنّ ثنائية الانفعال المأسوي، التي تربط الممثّل بالمشاهد ارتباطاً جدلياً، تكوّن صدى للانفعال والتواصل بينهما.

يصبح مسرح عاشوراء إذن عملاً جمعياً، ومن نتاج المجموعة كلّها، ولذلك أطلقنا عليه «مسرح حياة» أكثر منه مسرح لغة وتخاطب وحوار جامد. فالمشاهد والممّثل، كلاهما يتعايشان مع المأساة،وكلاهما يعلنان انفعالهما وجدانياً.

هذه المشاهد الانفعالية الوجدانية تكوّن بمجموعها «أوپيرا العزاء»، كما أطلق عليها أحد الرحّالة المستشرقين(١)، تلك الأوپيرا الحزينة التي تتضمّن، إلى

---

(١) wirth, Andrzej, Semiological Aspects of the Ta'ziyeh in Chelekowiski, Ta'ziyeh, 1979, p 165.

جانب مضامينها الدينية السياسية، خطاباً ذا حسّ اجتماعي فلسفي، يعكس ببساطة معتقدات وتصوّرات الإنسان البسيط، رجل الشارع المحاصر من كلّ مكان، في مضمون أخلاقي ومقولات جماليّة بسيطة.

إلى ذلك يعرض مسرح عاشوراء أشكالاً من السلوك الديني الاجتماعي، مثلما يعكس طرائق التنظيمات الشعبية وأساليب التفكير والانفعال والشعور، وكذلك العلاقات الاجتماعية غيرالرسمية، بالمفهوم السوسيولوجي من جهة، والوقائع التاريخية السياسية بحسب التصورات الشعبية التي يعبر عنها بالخطب والقصائد والمرائي والحكم والأمثال، التي تبيّن ما جرى لأهل البيت في كربلاء من ظلم واغتصاب لحقهم المشروع، من جهة أخرى، إضافة إلى أنّه يفتح منفذاً للتعبير عن واقع مؤلم وحزين، وباباً للإعلان والاتصال، وصماماً للأمان والتنفيس عن بعض ما هو غير مباح ومكبوت، ولتوطيد ما يعتقد به المرء من مبادئ وقيم من جهة ثالثة.

علينا إذن أن نقيم تقييماً ومفارقة، مثلما يقول شتاينبيك[١]، بين المسرح الشعبي والمسارح الأخرى، وبين من يمّثل وبين الشخصيات التي يقومون بتمثيل أدوارها، وكذلك بين الجمهور المشاهد الذي ينفعل ويتواصل بين هذا وذاك.

الممثّل في مسرح عاشوراء لايقوم بأداء دور محدّد ومرسوم له مسبقاً لشخصية معيّنة فحسب، بل إنّه، وفي الوقت نفسه، يشارك المشاهدين فينفعل ويتعاطف معهم، وبذلك فهو يلعب دوراً مزدوجاً كممّثل ومشاهد معاً.

---

(١) المصدر السابق.

بهذا الخصوص يمكننا استخدام مفهوم «دولة الكلام»، وهو مصطلح متداول في اللسانيات، وله ارتباط بمفهوم «التواصل».فالمتكلم والسامع، الممّثل والمشاهد، يتواجدان معاً على مسرح الحياة، ومن خلال ظروف وشروط عملية، وكذلك عوامل جمعية وفردية، وفي وضعيات خاصة، كما هي في «الشبيه».

إنّ مفهوم «دولة الكلام» هو مفهوم رمزي لسيرورة تواصلية، تفاعلية تأخذ مكانها في الخطاب والحوار. هنا يكون وصف الوقائع «التمثيل» نوعاً من الفعل، وليس تمثيلاً للفعل نفسه، وإنّ نوع واتجاه هذا الفعل يكون نسقاً فوقياً لمسرح شعبي فولكلوري، حتّى في أبسط أشكاله.

الكلام والحوار والمبارزة لاتجري فقط على المسرح، بل في المكان الأوسع، في مسرح الحياة في ساحة أو صحن أو أي مكان آخر. المهم هو أن يكون هناك جمهور حاشد يتواصل بعضه مع البعض الآخر، ومع الممثّلين بشكل عفوي، عن طريق المشاركة الوجدانية العملية التي تصل إلى حد البكاء واللطم، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه.

وقد يصل الانفعال أحياناً إلى درجة أنّ المشاهدين يعبّرون عن حماسهم وانفعالهم برمي الحجارة على مَن يمثّل دور الشمر بن ذي الجوشن، قاتل الحسين، أو عمر بن سعد، أو ابن زياد قائد جند الأمويين، أو أي جندي آخر في معسكر بني أميّة، أو توجيه كلمات لعن وشتم إليهم.

وقد يصل الأمر، أحياناً إلى ضربهم باليد أو أي شيء يجدونه أمامهم، وكأنّ الممثّل هو فعلاً الشمر أو ابن زياد، وعلى الممثّل أن يصبر ويتحمّل

الضربات والشتائم، بل ويسعى إلى ذلك، تقرباً إلى الإمام الحسين، والحصول على الشفاعة يوم القيامة. ومن جهة أخرى، فالشمر هو هنا ليس ممثّلاً فحسب، وإنّما هو تجسيد للقاتل المجرم والكافر الملعون، رمز للشيطان الرجيم.

وإذا كان الإنسان الشعبيّ البسيط، الذي لايدرك أبعاد التاريخ الاجتماعي ومضامينه، وبصورة خاصة التاريخ المشوّه أو المنسي أحياناً، فإنّه يلمس أبعاده العملية وفلسفته الاجتماعية حين تعرض على المسرح الشعبي بعفوية، ويدركها عاطفياً ووجدانياً، وهذا هو مصدر الإثارة والتأثير .وبذلك يصبح مسرح عاشوراء مسرحاً أخلاقياً وتعليمياً لبعض الفئات الشعبية، ويشكل وباستمرار أحد المنابر الاحتجاجية ضدّ الظلم والاستبداد، مثلما يعكس الاتصال والتلاحم والتواصل الجدلي بين الممثلين والمشاهدين، والاستمرار على هذه الوحدة والتلاحم»[1].

(١) تراجيديا كربلاء: ٣٩٧ـ٤٠٤.

أقوال الأعلام في هذه المجموعة من الرسائل

(١) قال السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ) في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل»:

«فأقول: يا ذوي المعرفة والبصيرة، وأهل الشرف والشهامة والغيرة، مَن منكم يرضى بأن تُشبّه محجّباته ـ كأُمّه وبنته وخالته وزوجته وغيرهنّ من نسوته ـ بالنسوة غير المحجّبات اللائي لا شرف لهن ولا حيثية[١] تحوطهن؟ فيُجعلن على الجمال في المحامل[٢] وغيرها، ويشهرنَ بين الفسقة وغيرهم من الملل الخارجة، وقد ضُربت الطبول[٣]

---

(١) أي لاقيمة لهنّ ولا اعتبار بين الناس.

(٢) المحامل، جمع مِحْمَل: وهوالذي يُركب عليه، قال ابن سيدة: المِحْمَل:شِقّان على البعير يُحمل فيهما بالعديلان.لسان العرب ١١:١٧٨ «حمل».

(٣) الطبول، جمع طَبْل: وهو اسم يشمل الطبول المحرّمة وغيرها؛ إذ ليس كافّة الطبول محرّمة في الشريعة، والمحرّم منها ما يستعمله المخنّثون وأهل اللهو والطرب، وهو الذي يُسمى باللغة «كُوبة».

قال الجوهري في الصحاح ١: ٢١٥ «كوبة»: الكُوبة: الطبل الصغير المُخَصّر.

وانظر: المصباح المنير: ٥٤٣، والقاموس المحيط ١: ١٣١ «كُوبة».

والطوس[١]، وصدحت[٢] الأبواق[٣] أمامهنّ وخلفهنّ، والخلق حولهنّ من كلّ صنف وشاكلة، ما بين وقوف وجلوس، يتفرّجون عليهنّ: بعض بالاستهزاء، وبعض بالشماتة[٤] وآخر راث[٥] لهذه الهيئة. وهنّ يُسار بهنّ في الطرق والأزقة على هذه الهيئة الشنيعة[٦] البشعة، والناس يشيرون إليهنّ بأيديهم، يسمّونهنّ بأسمائهن، وقد سخر الآخرون من هذه الحماقات، فتراهم يزدرون[٧] طوراً، وطوراً يضحكون من سخافات المسلمين التي ليست من الإسلام في شيء، وما يدرون بأنّ هذه المضحكات من مبتدعات الطَغَام[٨] غير الملتزمين بدين

---

(١) الطوس، كلمة عراقيّة، وهي الصَّنْجُ، وجمعها صُنُوج، وهو اسم يشمل الصنوج المحرّمة وغيرها.

قال الجوهري في الصحاح ١: ٣٢٥ «صنج»: الصّنج الذي تعرفه العرب: هو الذي يُتّخذ من صُفرٍ، يُضرب أحدهما بالآخر، وأمّا الصّنج ذو الأوتار فيختصّ به العجم، وهما معرّبان.

وانظر: القاموس المحيط ١: ٢٠٤ ومجمع البحرين ٢: ٣٠٣ «صنج».

(٢) في الصحاح: ١: ٣٨١ «صدح»: صدح الديك والغراب صدحاً: أي صاح.

(٣) الأبواق، جمع بوق: وهو الآلة المستعملة في المواكب العزائيّة، ويُسمّى بلسان العامة في عرف العراقيين «البوري» أو «البرزان»، وهو غير المزمار المنهيّ عنه.

(٤) الشَماتَةُ: الفرح بِبَلِيَّةِ العدوّ، يقال: شَمِتَ به يَشْمَتُ شماتَةً. الصحاح ١: ٢٥٥ «شمت».

(٥) أي متألّم، يبكي على ما وصل إليه بعض الناس في أساليب التعزية من طرق غير صحيحة. وفي الصحاح ٦: ٢٢٥٢ «رثي»: ورثيت الميّت مرثيّةً: إذا بكيته.

(٦) الشناعة: الفظاعة. وقد شَنُعَ الشيء فهو شنيع وأشنع، والاسم الشُنعة. الصحاح٣: ١٢٣٩ «شنع».

(٧) ازْدَرَيْتُهُ: أي حَقَرته. الصحاح ٦: ٢٣٦٨ «زري».

(٨) الطَغَامُ: أوغاد الناس. الصحاح ٥: ١٩٧٥ «طغم».

المسلمين، المنزّه عن مثل هذه المنكرات، التي تنفر منها القلوب،وتشمئز[١] منها النفوس.

فأيّ عاقل يرضى بهذه السيرة السخيفة الفظيعة في حقّ محارمه، بل لن يرضى ولو بدون هذه الهيئة في حقّهنّ؟!

ونحن نقول لمن جعل هذه الهيئات ديناً للّه يعبده بها: تجعل نسوة الناس غير المحجّبات شبيهات لبنات الرسولصلى الله عليه وآله ـ وعلى عترته ـ وقرّة عين البتول، ولم تجعل محجّباتك شبيهات بهنّ؟ فإن كان التشبّه على هذه الهيئة المعلومة ديناً حسناً عندك، فاختر الدّين الحسن لنفسك، فما وجه جعله لغيرك؟!

فهل الدّين عندك ملعبة تلعب بها؟!

وهل عيالك في النجابة والشرف والحذر مثل بنات البضعة البتول؟! حاشا للّه حاشا!

فإن كُنتَ صادقاً في محبّة أهل البيت، فما بالك لا تشهر بناتك أو غيرهنّ من عائلتك ومحجّباتك بهنّ، فتخرجهنّ على هذه الهيئة الشنيعة؟! ومن المحال صدور ذلك منك، ومن هنا إنّك تلعب بالدّين، نسأل اللّه التفضّل عليك برفض هذه الديانة الخبيثة، والرجوع إلى ديانة الحقّ الشريفة.

فيا أيّها المُبتدع في الدّين هذه السخافات، المحفوفة بجملة من المحرّمات، لِمَ لَمْ تسأل مَن تعتمد عليه وتركن في دينك إليه، عن هذه الهيئات

---

(١) اشْمَأَزَّ الرجل اشمِئزَازاً: انقبض، وقال أبو زيد: ذُعر من الشيء وهو المذعور الصحاح ٣: ٨٨١ «شمز».

السخيفة الموجبة للسخرية بالشريعة الشريفة، زاعمين بأنّها عند المسلمين من أجزاء الديانة؟ فليت شعري هل ورد عن الرسول وآله ولو خبر ضعيف في شرعيّتها، حتّى تصول به على المتشرّعين؟

أما علمتَ أنّ متابعة الهوى وخيمة العاقبة؟!

إذاً فما هذه الحماقة تتظاهر بها بين الخلق، هاتكاً عقائل الرسالة ومحجّبات النبوّة، وتُسمّي ذلك تعزية؟!

أما دريتَ معنى التعزية المندوب إليها المثاب عليها ما هي؟

بلى والله العظيم لقد عرفتَ ذلك حقّ المعرفة، ولكن قد حالت متابعة الهوى والشيطان بينك وبين الحقائق، والله جلّ ذكره يقول: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ**﴾[1].

فالنصيحة النصيحة في رفض هذه الخرافات الموجبة لسخرية الملل الخارجة بشريعة خير البريّات، وفي لزوم طريقة عباد الله المتّقين في مسائل التعزية لسيّد المرسلين وعترته الطاهرين صلّى الله عليه وعلى عترته، فإنّ في الجري عليها شرف الدّين والدنيا».[2]

(٢) قال السيّد محمّد شريف النقوي الشيرازي الونكي (ت ١٣٥٢هـ) في رسالته الفارسية «حكم إقامة الشبيه» ما ترجمته:

---

(١) الجاثية (٤٥): ٢٣.

(٢) صولة الحق على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢ :١٧٣-١٧٧.

«ومن جملة هذه البُدع، أفعال الشبيه والهيئات، التي معناها الاختراع، والبدعة التي لم يكن لها وجود قبل العهد الصفوي، وقد نشرها ملوك الصفوّية على هذا النحو الخاصّ؛ لكي يبكوا بها الناس ويُحرّكوا مشاعرهم، ومع سكوت بعض العلماء وعدم جرأتهم على التصريح بالحرمة؛ لأنّ الأمر يتعلّق بعزاء سيّد الشهداء عليه السلام.

ولكنّي ـ الحقير الفقير الذي أنحدر من سلالة هذا الجليل ـ اُحرّم ذلك بكمال الجرأة، مَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر[1]، وأنا على يقين بأنّ جدّي الجليل الحسين عليه السلام وجميع أجدادي الأطهار راضون بذلك...»[2] وبدأ ببيان أدلّته على حرمة هذا العمل.

وممّا قاله في هذا الأمر، مستدلّاً به على حرمة تمثيل واقعة الطفّ:

«فلو مثّل أحد الناس وشبّه بنتك بولدٍ، ثمّ قال: هذه بنت فلان، ثمّ أخرجها أمام الملأ ونصْبَ أنظار الشباب العزّاب، ثمّ مثّل دور العروس والعريس، فماذا يحلّ بك حينها؟ وكيف تنفعل؟ فلماذا لا تستحي ـ أيّها المسكين ـ من النبيّ صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام؟»[3]

(٣) قال الشيخ عبدالله المامقاني (ت١٣٥١هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة»:

---

(١) ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)

(٢) رسالة في حكم إقامة الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٢:١٩٤.

(٣) رسالة في حكم إقامة الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

«وأوّل مَن أسّس أساس تشبيه وقعة الطفّ، العلاّمة المجلسي [ت١١١١هـ] رحمه الله، الذي هو أطلع العلماء بالأخبار والآثار وكلمات الفقهاء الأبرار، وكلّ مَن أتى بعده من علماء البلاد أمضى قوله وفعله، ولم ينكر ذلك عليه، ولا على المرتكبين له.

فبان أنّ المنع من التشبيه ممّا لا دليل عليه، وأنّ مقتضى الأصل جوازه، ومَن منع منه مُطالب بإقامة دليل عليه مُخرّج عن الأصل، ودون ذلك خرط القتاد[1]؛ لأنّ غاية ما يتصوّر تمسّكه به ـ تمّسك الغريق بالحشيش ـ أمور وهميّة...»[2] ثمّ بدأ ببيان هذه الأمور.

(٤) قال الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي (ت١٣٩٨هـ) في رسالته «نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء»:

«وأنّى للموهّمين أن يقضوا على عادة يمتدّ بها التاريخ منذ عهد البويّهيين إلى اليوم؟! أي: منذ عشرة قرون تقريباً، كما يرشدك إلى ذلك ابن الأثير في ما ذكره من حوادث بعض السنين[3] على عهد ملوك آل بويه في المائة الرابعة»[4].

وقال أيضاً في موضع آخر من هذه الرسالة: «إنّ التمثيل وما يتّصل به كان متداولاً عند الشيعة منذ عصر البويّهيين، أي: منذ عشرة قرون تقريباً»[5].

---

(١)خرطتُ العود وأخرطه خرطاً: قشّرته.وخرطتُ الورق: حتته، وهو أن تقبض على أعلاه ثـمّ تمرّ يدك إلى أسفله.وفي المثل: «دونه خرط القتاد».الصحاح ٣:١١٢٢.
والقتاد: شجر له شوك.الصحاح ٢:٥٢١ «قتد»

(٢)المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٠٩ .

(٣) انظر: الكامل في التاريخ ٨:٥٤٩ حوادث سنة ٣٥٢.

(٤) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٦٥.

(٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٧٩.

(٥) قال الشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم»:

«إنّ الذين أدخلوا التمثيل في التذكارات الحسينيّة، لاشكّ أنّهم من كبراء رجال الدين المفكّرين، وأرباب السلطة المتّبعة من الشيعة.

ولذلك يظنّ البعض أنّه انتشر في بلدان الشيعة من قبل سياسة السلاطين الصفويّة، الذين هم أوّل سلسلة استولت على السلطة بقوّة المذهب، ثمّ أيّده رؤساء الشيعة الروحانيون شيئاً فشيئاً وأجازوه.

وبما أنّ حكماء الهند أقدم من الصفويّة في استعماله، استنبط منه أنّ هؤلاء أخذوه من أولئك وألبسوه لباس المذهب؛ لما رأوا من فوائده المذهبيّة»[١].

وقال في موضع آخر من رسالته هذه:

«إنّ ذلك التمثيل المقرح للأكباد إذا سخر منه أغرار[٢] الأجانب، فإنّ العقلاء المفكّرين ربما يدعوهم ذلك إلى الفحص عمّن تتمثّل فاجعته لدى العموم وتحقيق مصائبه، وأسباب حدوثها، ومن ذا أحدثها، ومن مهّد ذلك؟

وتلك نكتة أخرى لرجحان التمثيل، قد تدعو البعض إلى الفحص عن دين الإسلام أو التمذهب بالمذهب الجعفري، ولهذه النكتة بعينها سرى أمر الشيعة إلى غير المسلمين من الفرق في الهند والصين، وكثر ببركته ـ في تلك الأماكن الشاسعة[٣] عن مراكز الشيعة ـ مذهب التشيّع والولاء لأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٣٥٠.

(٢) رجل غِرّ ـ بالكسر ـ وغَرير: أي غير مُجرّب، والجمع أغرار. الصحاح ٢: ٧٦٨ «غرر».

(٣) الشاسع: البعيد. الصحاح ٣: ١٢٣٧ «شسع».

وقد ذكر فلاسفة التاريخ الحادث والمتعمّقين في أسرار الحوادث من الأجانب، أنّ السبب الوحيد لذلك هو جعل الجعفريّة طريق إقامة العزاء مشابهاً لمراسم إقامة العزاء في الهند، وهو التمثيل والتشبيه.

ومن المضحك المبكي، أنّ الأجانب يدركون ويذيعون أسرار إقامة المآتم والتشبيهات المتداولة عند الشيعة، وهي على عرفاء الشيعة حقائق مخفّية!!»[(١)]

وقال في موضع ثالث من رسالته هذه:

«حتّى إذا تسنّم عرش الملك ملوك الصفويّة، وهم علويّون موسويّون، تفنّنوا بإظهار ضروب الحزن على جدّهم الأعلى الحسين بن علي عليهما السلام، فأحدثوا تمثيل فاجعته لعيون الملأ في يوم عاشوراء، بأمر وإثارة وبتقرير وإمضاء من العلاّمة الفاضل المجلسي [ت١١١١هـ] صاحب كتاب «بحار الأنوار» أعلى الله درجته، وذلك بعد الألف من الهجرة في أواسط المائة الحادية عشرة زمن السلطان الحسين بن سليمان الصفوّي.

والتمثيل يومئذٍ في دور نشأته، حتّى بلغ إلى ما هو عليه الآن، وقد أتى عليه إلى هذه الأيام[(٢)] نحو ثلاث مائة سنة، وهو يقام في بلدان الشيعة بمرأى علمائهم ومسمع، من دون إنكار منهم»[(٣)].

---

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٣٥٩.

(٢) أي سنة ١٣٤٥هـ وهو تاريخ تأليف هذه الرسالة.

(٣) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة):٢:٤٢٩.

وقال في موضع رابع من هذه الرسالة:

«تمتاز النجف ـ وهي مغرس علماء الشيعة ـ بعمل الشبيه عن جميع البلدان العراقيّة، وذلك أنّه كان في النجف ميدان واسع طولاً وعرضاً، لو اجتمع فيه أهل البلدة جميعاً يومئذٍ لوسعهم، وقد أكلته العمارة اليوم ولم يبق منه إلّا خطّ طوليّ وهو شارع محدود.

كان هذا الميدان ـ من أزمنة قديمة ـ محلاً لإقامة الشبيه في عشرة أيام من شهر المحرّم، ويقوم بتمثيل واقعة الطفّ جماعة كثيرة من أهل المعرفة، فيمثّلون كلّ يومٍ نبذة ممتعة من تلك الواقعة، إلى اليوم العاشر.

ودام هذا إلى أيام المحقّق الشيخ مرتضى الأنصاري [ت١٢٨١هـ] والسيّد علي آل بحرالعلوم [ت ١٢٩٨هـ] وسائر السلف الصالح من آل كاشف الغطاء وصاحب الجواهر، حتّى أوائل أيام الرئاسة الكبرى للميرزا محمد حسن الشيرازي [ت ١٣١٢هـ] نزيل سامراء.

ثمّ ترك هذا التمثيل لتعمير الحكومة قسماً كبيراً من ذلك الميدان، ولغير ذلك، صار التمثيل ما هو الجاري الآن في أيامنا هذه»[(١)]

(٦) قال الميرزا محمّد حسين الغرويّ النائينيّ (ت١٣٥٥هـ) في رسالته التي وجّهها إلى أهل البصرة سنة ١٣٤٥هـ كما حكاه عنه الشيخ حسن المظفّر (ت ١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم»ـ:

---

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢: ٤٣٣-٤٣٤.

«الظاهر عدم الإشكال في جواز التشبيهات والتمثيلات التي جرت عادة الشيعة الإماميّة باتخاذها لإقامة العزاء والبكاء والإبكاء منذ قرون وإن تضمّنت لبس الرجال ملابس النساء على الأقوى.

فإنّا وإنّ كنّا مستشكلين سابقاً في جوازه، وقيّدنا جواز التشبيه ـ في الفتوى الصادرة عنّا قبل أربع سنوات ـ بخلوّه عن ذلك، لكنّا راجعنا المسألة ثانياً، وأتّضح عندنا أنّ المحرّم من تشبيه الرجل بالمرأة هو ما كان خروجاً عن زيّ الرجل رأساً وأخذاً بزيّ النساء، دون ما إذا تلبّس بملابسها مقدراً من الزمان بلا تبديل لزيّه، كما هو الحال في هذه التشبيهات، وقد استدركنا ذلك أخيراً في حواشينا على العروة الوثقى»(١).

(٧) قال الميرزا محمّد علي الغروي الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ) في رسالته «الكلمات التّامات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداء عليه السلام» في معرض حديثه عن فتاوى العلماء بجواز تمثيل واقعة الطفّ:

«فمنهم: العلاّمة كاشف الغطاء، فنفى البأس عنه وعن أمثاله من المظاهرات ـ إن لوحظ فيها الرجحانيّة من جهة العموم، لا بقصد الخصوصيّة والورود(٢)، كما قدّمناه ـ.

ويروى عنه، وعن آية الله بحر العلوم قدس سره: أنّهما كانا يمدّان مقيمي التمثيل بالمساعدة، ويعضدانهم بالحضور والمشاهدة.

---

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٤٤٥.

(٢) كشف الغطاء: ٥٤، قال: وجميع ما ذكر وما يشابهه إن قصد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإن لوحظ فيه الرجحانيّة من جهة العموم فلا بأس به.

وأمّـا الإمـام المحقّـق القمّـي؛ فقـد صـرّح بإباحـة جميـع أقسـامها ـ بـل واستحبابها ـ في غير مورد من «جامع الشتات»[(١)].

وذكر شيخ الطائفة العلاّمة الأنصاريّ ـ في رسالة له تسمّى «سرور العباد» ـ: أنّها مباحة ما لم تستلزم محرّماً آخر؛ كالغناء، والضرب بالدفوف والمزامير[(٢)].

وكذلك المولى الفاضـل، الحبـر البحـر، المحقّـق الدربنـديّ فـي «أسـرار الشهادة»[(٣)].

وأمّا مجدّد مذهب الشيعة ورئاستها في القرن الرابع عشـر، الميـرزا محمّـد حسن الشيرازيّ؛ فقد أقرّ أستاذَه على هذه الفتوى في الهامش.

وكان في «سامرّاء» تخرج من داره الجماهير ـ من الطلبة وغيـرهم ـ عـراة الصدور، مكشوفي الرؤوس، ومن خلفهم العلماء من تلمذته، والتبن ينثـر علـى رؤوسهم، ومعهم التشبيهات؛ من نعشٍ محمول، وخيل مكلّلـة بالنبـال، وأعـلام، وغيرها.

وفي يوم عاشوراء يخـرج الشـبيه مـن داره إلـى الأزقّـة والفجـاج، وكـان ذلك سنّة متّبعة منه حتّى بعد وفاته، فكان يقيمه خلفه آية الله الميرزا علـيّ آغـا، والميرزا محمّد تقيّ الشيرازيّ، فكانـت الهيئـة تخـرج كمـا كانـت، وفيهـا أنفـار يضربون بالسلاسل، ومع المواكب نعش مجلّل بالسواد، وحولـه الأعـلام السـود

---

(١) انظر جامع الشتات ٢: ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٢) سرور العباد: ٦١.

(٣) أسرار الشهادة ١: ١٩٣.

والخضر والحمر، وأمامه فرس مجلّلة بالسواد، وعليه سيف ودَرَقة، وفرس مكلّلة بالنبال بأجمعها.

هذا، ونفس الآغا يمشي ـ هو ومن لاث به؛ من المشايخ، والصدور ـ بلا عباءة، وربّما كان يمضي معهم آية الله الميرزا محمّد تقيّ إذا لم يمنعه ضعف مزاجه.

وإنّ سيّدنا «الصائل»(١) ممّن شهد تلك المشاهد، وأحاط خُبراً بخبر تلك المجتمعات، ثمّ بعد لأْي من عمره أخذته الغِرّة، وساعدته الفترة.

وممّن أقرّ الشيخَ الأنصاريّ قدس سره على فتواه المقدّمة ـ من المحشّين ـ العلاّمة الشهير، والزعيم الخطير، المولى محمّد كاظم الخراسانيّ.

وقد نصّ على مثل ذلك شيخ الفقهاء، الشيخ زين العابدين المازندرانيّ الحائريّ؛ في «ذخيرة المعاد»(٢).

وكان العلاّمة حجّة الدين الشيخ محمّد طه نجف قدس سره يقيم في داره ـ أيّام عاشوراء ـ مأتماً حافلاً بالعلماء وغيرهم، ويؤتى فيه ـ بعض أيّامه ـ شطر من الشبيه ـ بعلمه وإيعازه ـ وكذلك في مأتم العلاّمة الفقيه السيّد محمّد بحر العلوم.

وعدّ العلاّمة البحّاثة الميرزا أبو الفضل ابن المحقّق الميرزا أبو القاسم ـ صاحب تقرير بحث أستاذه آية الله الأنصاريّ ـ في «شفاء الصدور» ـ ممّا يقع

---

(١) يعني السيّد مهديّ الكاظمي القزويني المعروف بالكيشوان، صاحب مقالة: «صولة الحقّ على جولة الباطل» وهي مطبوعة ضمن هذه المجموعة ٢:١٦٥ .

(٢) ذخيرة المعاد: ٣٦٨.

يوم عاشوراء في بلاد الشيعة ـ: التشبيه، وتمثيل وقائع ذلك اليوم، وتمثيل الضريح المقدّس في بعض البلاد الهنديّة، قال: إن كلّها مشروع راجح في الشريعة المطهّرة، ثمّ طفق يبرهن على مدّعاه بكلّ سداد[١].

ونقل الفاضل الدربنديّ عن الآغا عبد الحسين ابن الوحيد البهبهاني: أنّه حضر ـ بهمدان ـ مأتماً جيءَ فيه بشبيه القاسم بن الحسن عليهما السلام وعرسه، وفيه شيءٌ من الضرب بالطنابير والمزامير، فارتفع الضجيج والعويل، وكان الآغا ممّن كثر منه البكاء والنحيب، فقام عند انفضاض المجلس وعيناه متورّمتان، ولم يَنْهَ عن شيءٍ من ذلك[٢].

على أنّ تلك الواقعة ممّا لا نقطع بوقوعه، بل صرّح بعض بتفنيدها[٣].

وفي «الدعاة الحسينيّة»[٤] تفاصيل تتعلّق بالمقام، لم يبارح فيها الخطّة التي سلكناها[٥].

(٨) قال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة»:

---

(١) شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور ٢: ٣٠٧ ـ ٣٠٩.

(٢) أسرار الشهادة ١: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٣) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٦: ١٠١، الرقم ١١٤.

(٤) في الذريعة ٨: ١٩٨، الرقم ٧٧٦ «الدعاة الحسينيّة» في حكم بعض أنواع التعزية، للمولى محمّد علي بن خداداد النخجواني النجفي، المتوفّى بالحائر ١٣٣٤، وقد طبع على الحجر في ١٣٣١.

(٥) الكلمات التامات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداء عليه السلام (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٣: ٣٩-٤٣.

«لاريب أنّ تلك المواكب المحزنة وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية، من أعظم شعائر الفرقة الجعفريّة شيّد الله أركانها.

ونحن إذا لم نقل باستحبابها ورجحانها؛ لتوفّر الأدلّة من الأخبار والأحاديث المتظافرة المشعرة بمحبوبيّة تلك المظاهرات لأهل البيت عليهم السلام، فلا أقل من القول بالجواز والإباحة»[1].

وقال في موضع آخر من هذه الرسالة:

«أمّا الشبيه، فلا ريب أنّ أصل تشبّه شخص بآخر مباح جائز، كيف وقد ألقى الله سبحانه شبه عيسى عليه السلام على أبغض خلقه وهو يهوذا الإسخربوطي، الذي نّم على عيسى عليه السلام عند اليهود وحرّضهم على قتله، كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم ﴾[2]، ثمّ أتى بعدّة أدلّة على مشروعيّة التشبيه»[3].

وقال ـ في هذه الرسالة أيضاً مخاطباً أهالي البصرة ـ مشيراً إلى تمثيل واقعة الطفّ، وغيرها من الشعائر الحسينيّة:

«سألتم ـ أعزّكم الله ـ في عدّة برقيّات وردت إلينا منكم ومراسلات تتابعت لدينا عنكم، عن المواكب الحسينيّة زاد الله شرفها، وعمّا يجري فيها من ضرب الرؤوس والصدور بالسلاسل والسيوف والإدماء، وقرع الطوس والطبول والشبيه، أو الخروج في الشوارع والأزقّة بالهيئات المتعارفة والكيفيّات المتداولة،

---

(١) المواكب الحسينيّة المطبوعة ضن الآيات البينات (في هذه المجموعة) ٣:١٣٢-١٣٣.

(٢) النساء (٤): ١٥٧.

(٣) المواكب الحسينيّة المطبوعة ضمن الآيات البيّنات (في هذه المجموعة) ٣:١٣٧.

في أكثر بلاد الشيعة نصرها الله، سيّما في العتبات المقدّسة دام شرفها.

ولعمري، ما كنتُ أحسبُ أنّ هذا الموضوع يُعرض على مطرقة النقد والتشكيك، أو يُطرح في منطقة السؤال والترديد. كيف! وقد مرّت عليه الدهور والأحقاب، وخضعت له أساطين الملّة وأعلام الشريعة في جميع الأعصار والأدوار، ما أنكره منكر، ولا اعترض معترض، وهو بمرأى منهم ومسمع، ومنتدى ومجمع.

وقد كان يجري في القرن الماضي أزمنة السيّد بحرالعلوم وكاشف الغطاء قدّس الله أسرارهم، من التشبيهات التي كانت تُسمّى «الدائرة» ما هو أوسع وأشيع وأكثر وأوفر ممّا يجري في هذه العصور، وفضلاً عن سكوت أولئك الأساطين كانوا يمدّونهم بالمساعدة، ويعضدونهم بالحضور والمشاهدة، وفي كشف الغطاء(١)، وجامع الشتات للمحقّق القمّي(٢) وغيرهما من أقرانهما ما يشهد بذلك أكبر شهادة.

دع عنك هذه الشواهد والمشاهد، وانظر إلى المسألة من وجهها العلميّ، ومن حيث القواعد والأدلّة:

أمّا أولاً: فالأصول الأوليّة تقضي بإباحة جميع تلك الأعمال، وعلى مدّعي الحرمة إقامة الدليل عليها، والأصل مع المنكر، ومطالبته بالدليل تضليل.

وأمّا ثانياً: فكلّ واحد من تلك الأعمال على الإجمال ممّا يتخرّج

---

(١) كشف الغطاء ١: ٥٣ـ٥٤، المقام الثاني: في ما يتعلّق بجملة العبادات بالمعنى الأخصّ.

(٢) جامع الشتات ٢:٧٨٧.

لمشروعيّته وجه وجيه عند المتضلّع الفقيه، من عمومات الأدلّة ومحكمات القواعد المعقولة والمنقولة»[١].

(٩) قال الشيخ عبدالرضا كاشف الغطاء (ت ١٣٨٧هـ) في كتابه «الأنوار الحسينيّة»:

«ومن المعلوم عند كلّ متضلّع بالأخبار وكلمات الفقهاء الأبرار، عدم ورود آية ولا رواية ولو ضعيفة السند بحرمة تشبيه شخص بشخص؛ لأنّ المراد بالتشبّه الممنوع منه إنّما هو التشبّه التام بحيث لا يتميّز الرجل عن المرأة، ولا المرأة عن الرجل بوجه؛ لأداء ذلك إلى مفاسد عظيمة لا تحصى.

وهذه صحف الأوائل والأواخر وكتب الأخبار من الفريقين، ليس فيها مَن منع ذلك عين ولا أثر.

كلّ مَن يدّعي بما ليس فيه كذّبته شواهد الامتحان[٢]

فليأت بكلام فقيه واحد أو رواية واحدة، فهو الصادق والناصح للمسلمين، وإلّا فنجعل لعنة الله على الكاذبين.

كيف! وأوّل من أسّس أساس تشبيه وقعة الطف العلاّمة المجلسي[*] أعلى الله مقامه، الذي لم يوجد له في عصره ولا قبله ولا بعده قرين في ترويج الدين وإحياء شريعة سيّد المرسلينﷺ وهو العالم بالأخبار والآثار وكلمات

---

(١) المواكب الحسينيّة المطبوعة ضمن الآيات البيّنات (في هذه المجموعة) ٣:١٤٢-١٤٣.

(٢) البيت للشيخ أبي الحسن الحصري، راجع: طبقات الصوفية للسلمي: ٤٨٩ (أبو الحسن علي بن إبراهيم الحصري).

(*) وكانت وفاته رضوان الله عليه سنة ١١١١هجرية.

فقهائنا الأخيار.

وذلك في عشرة التسعين بعد الألف هجرية، في زمن السلطان شاه سليمان الصفوي الموسوي، والشبيه يومئذٍ في دور نشأته.

وكلّ من أتى بعده من علماء الجعفريّة أمضى قوله واستحسن فعله وحذا حذوه، ولم ينكر عليه وعلى المرتكبين له، حتّى بلغ إلى ما هو عليه الآن، وقد تداولت عليه الأيام إلى يومك هذا نحو مائتين وستّين سنة، وهو يقام في البلدان الشيعيّة وجلّ الأقطار الإسلاميّة وغيرها من الأقطار الأجنبيّة، بمرأى علمائهم ومسمع، من دون إنكار منهم.

فبان أنّ المنع من التشبيه ممّا لا دليل عليه، وأنّ مقتضى الأصل جوازه، لا حجّة لك أيّها البصير في منعه بأيّ نحوٍ كان.

وحسبك ممّا وقع عليه السؤال سابقاً ولاحقاً من العلماء الأعلام وحجج الإسلام في بيان جوازه واستحبابه، منهم شيخنا الفقيه والمعتمد النبيه أبو القاسم الملقّب بالفاضل القمي(*) أعلى الله مقامه.

(*) وإليك تاريخ ولادته ووفاته ﷺ كما هو مذكور في الورقة الأخيرة من كتابه جامع الشتات صحيفة ٨٦٢: كان ميلاده سنة ١١٥٢هـ ، وأمّا وفاته سنة ١٢٣٣هـ وقيل: توفّي في قم، وكانت وفاته سنة ١٢٣١هـ وقيل: في تاريخ وفاته بالفارسية

ازيـــن جهـــان بجنـــان   صـــاحب قـــوانين رفـــت

وقد أصيب بعد فراغه من جامع الشتات بسمعه الشريف وتبلى بثقل السامعة وآفة الصمم.

وكانت وفاته سنة وفاة صاحب الرياض بعينها، كما وقع نظير ذلك بالنسبة إلى الشاعرين الفرزدق وجرير، أنّهما انتقلا في سنة واحدة.

وقد أجاب في كتابه الموسوم بجامع الشتات(**) ما نصّه في جواب السؤال:

«إني لا أرى وجهاً للمنع عن ذلك، ويدلّ عليه رجحان البكاء والإبكاء والتباكي على سيّد الشهداء عليه السلام».

ثمّ أخذ رحمه الله في المبالغة والإصرار على إثبات الجواز حتّى جوّز ذلك وإن كان مشتملاً على تشبيه الرجال بالنساء، بدعوى أنّ المستفاد من تلك الأخبار المانعة من تشبيه أحدهما بالآخر، هو الخروج من زيّ أحدهما والدخول في زيّ الآخر، بحيث يعدّ الرجل نفسه من صنف النساء وبالعكس.

وأمّا التشبيه بامرأة خاصة في زمان قليل لغرض خاص، فهو خارج عن منصرف الأخبار، إلى أن قال رحمه الله:

«إنّ تشبيه الرجل نفسه بالشمر الرجس قاتل الحسين عليه السلام من أعظم المجاهدات، وفيه تحقير للنفس وتذلل لها، وفعل ذلك لجلب مراضي الله تعالى من أعظم جلب الفيوضات الإلهيّة»، هذه خلاصة كلامه وحاصل مرامه رضي الله عنه.

ومنهم الفقيه المتبحّر شيخنا العلاّمة الشيخ زين العابدين الحائري رحمه الله في كتابه ذخيرة المعاد، المطبوعة بمطبعة بمبئ في صحيفة ٦١٨، بعد ذكره السؤال الوارد إليه عن حكم التمثيل بما يشتمل عليه من تشبيه الرجل بالمرأة ما ترجمته:

(**) المطبوع بمطبعة طهران سنة ١٣٢٤هـ في صحيفة ٨٥٢.

«لا بأس بذلك، بل هو من المرغوب فيه مالم يشتمل عليه محرّم خارجي كالغناء ونحوه»[١].

(١٠) قال السيّد مهدي السويج الخطيب (ت١٤٢٣هـ) في رسالته «الفتاوى والتقارير»:

«وتاريخ الغرب يحفظ لهم المؤسّس الأوّل للتمثيل، كما يحفظ لنا تاريخنا أوّل مؤسّس لتمثيل وتشبيه وتجسيم فاجعة الطفّ، وهذا المؤسّس الأوّل هو العلاّمة الشهير المجلسي قدّس سرّه المتوفّى عام ١١١١هـ، وهو مؤسّس التمثيل الحسينيّ، كما ذكر ذلك صاحب كتاب الأنوار الحسينيّة، وكان ذلك على عهد السطان الشاه سليمان الصفوي، كما صرّحت بذلك التواريخ.

والمجلسيّ هذا دائرة معارف زمانه، ولازالت كتبه حتّى الآن دوائر معارف، ومن كتبه «البحار» الذي يقع في ٢٤ مجلّداً ضخماً، وقد بلغت نسخته في مصر ٧٥ جنيهاً، أي ما يعادل ٧٥ ديناراً تقريباً»[٢].

(١١) قالت المستشرقة الفرنسيّة سابرينا مرون (معاصرة) ـ نقلاً عن بعض المصادر الغربيّةـ في كتابها «وقوف رجال الدين الإصلاحيين في لبنان أمام تحريفات واقعة عاشوراء»:

«وكانت هذه الممارسات الشعبيّة [تمثيل واقعة الطفّ] تقام في المدن الكبرى برعاية حكّام وملوك وأمراء القاجاريّة، وكانوا يوجهونها ويقودونها،

---

(١) الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٣:٣٥٩-٣٦٢.

(٢) الفتاوى والتقارير في جواز العزاء والشبيه والسلاسل والتطبير (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٦:٥١٢.

بل وحتّى أنّهم كانوا ينظّرون لها، وكانت هذه سبباً كافياً في ارتقاء مكانتهم ونفوذ دولتهم.

وقد استمرت هذه الوضعيّة حتّى عصر ناصرالدين شاه (١٨٤٦ـ١٨٩٦)، وكان خليفته محمّد شاه يأخذ دور يزيد ـ الظالم والغاصب وخصم الإمام الحسين ـ في التشبيه». [1]

---

(١) وقوف رجال الدين الإصلاحيين في لبنان....(المطبوع ضمن هذه المجموعة) ٧:٣٤٨.

فوائد تمثيل واقعة الطفّ

(١) قال الشيخ عبدالله المامقاني (ت١٣٥١هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة»:

«ولقد أنتجت التشبيهات في بلاد إيران وقفقاسيا والهند وغيرها، تشرّف جمع منهم إلى الإسلام، ونذر الكتابيّين والوثنيّين وعبدة النار والبقر لأهل البيتعليهم السلام، ودفعهم في كلّ سنة أموالاً خطيرة إلى الشيعة ليصرفوها في عزاء سيّد الشهداء أرواحنا فداه.

ولقد أدّى الحال إلى وضع شركة في تلك البلاد من تجّار النصارى بين أنفسهم وبين سيّد الشهداءعليه السلام، وكانوا يصرفون سهمهعليه السلام من الربح في عزائه، وكان يبلغ ألوفاً، كما لايخفى على مَن أحاط خبراً بأحوال تلك البلاد، وهذه كلّها ثمرة المواكب المحزنة في الشوارع والمجامع.

ولقد نقل لنا متواتراً منذ نشأنا إلى الآن، وشاهدنا في بعض أسفارنا بأبصارنا، أنّ الكفّار ـ حتّى الوثنيّين منهم ـ عند مرور التشبيهات في الشوارع

يقفون، ويكشفون رؤوسهم احتراماً، ويبكون بمقتضى الرّقة البشريّة، بل يضربون أحياناً بالأيدي على الرؤوس ضرباً خفيفاً.

وقد جرت عادة عبدة النار في بعض أقطار الهند على صنع شبيه «حجلة القاسم»[١] من خشب، وإعدادهم يوم عاشوراء ناراً جزيلاً، وحملهم «الحجلة» ودخولهم من جانب إلى النار، وخروجهم من جانب آخر، وعدم تأثير النار فيهم ولا في «الحجلة».

ولعلّ أساس ذلك من مسلم دخل فيهم قديماً، وأظهر التديّن بدينهم، ودلّهم على ذلك، فبقى بينهم عادة»[٢].

(٢) قال الشيخ عبدالرضا كاشف الغطاء (ت ١٣٨٧هـ) في كتابه «الأنوار الحسينيّة»:

«فتمثيل هذه الفاجعة أحسن درس لاكتساب الفضيلة واجتناب الرذيلة، على أنّه أحسن وسيلة لنشر تعاليمنا وبثّ دعوتنا، فإنّا إذا نظرنا لانتشار هذه الدعوة في الأمصار وتغلغلها في الأقطار، حتّى بين عبدة الأصنام، فضلاً عن أهل الإسلام، نجد ولا شكّ أنّ التمثيل بتوضيحه أسرار هذه الفاجعة وإشهارها،

---

(١) في هامش النسخة المطبوعة لهذه الرسالة ورد: «الحجلة، محرّكة، واحدة حجال العروس: وهي بيت يزيّن بالثياب والأسرّة والستور، ومنه الحديث:«عقولهم كعقول ربّات الحجال».مجمع البحرين ١:٤٦٥ «حجل».

(٢) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢١٨-٢٢٠.

له القسط الأوفى في علّة هذا الانتشار، وما كانت ـ على ما فيها من نواميس النموّ والارتقاء ـ لتصل إلى هذا الحدّ من النفوذ في الأفكار والاشتهار، لو كانت محصورة بين الدفاتر أو منشورة فقط على المنابر، كما لا يخفى على غير المكابر.

وإذا ساقنا الحديث إلى انتشارها بين القبائل والشعوب، فلنضرب لك أمثالاً منه:

قال صاحب تحفة العالم ص٤٥٦ ما نصّه بعين المشاهدة، قال ما ترجمته: إن في قرب شاه جهان آباد بلد يقال لها جي نگر، بلد في غاية العمران والانتضام، حسنة الهواء بهيّة المنظر، أحدث بناءها المهارجة جيب سنك، وقد خطّها على أحسن طرز، حتّى أنّه يقال: ما في بلاد الهند بلد يضاهيها في رونقها وصفائها في زمان إحداثها، أبنيتها كلّها متساوية في العرض والطول والارتفاع، لا يتّصل بعضها ببعض، وهي مقرّ ملوك الراج بوت.

ومن عجيب هذه البلدة، الذي لا يشمّ فيها رائحة الإسلام، ولا صوت فيها للدين الحنيف، تجد لدى أعاظم الوثنيين ومتموّليهم مآتم للعزاء الحسيني.

ومن أول يوم من المحرّم يلبسون ثياب الحزن، ويتركون الملاذ بأسرها، وبعضهم يحبسون النفس حتّى عن الطعام والشراب، بحيث لا يذوقون شيئاً مدّة عشرة عاشوراء، وليلاً ونهاراً ينشدون المراثي بلسان الهندوا والهندي والفارسي، ويلطمون الصدور، وكلّ بقدر وسعه يبذل الطعام للفقراء والمساكين، ويجعلون ماء الورد سبيلاً في الأزقة والأسواق، ويصنعون شبيهاً

للضريح المقدس من الخشب أو الورق، ويسجدون أمامه، ويتعفّرون في أرضه، طالبين إنجاح مطالبهم. وبعد انقضاء أيام عاشوراء يلقون هذه التشابيه في النهر الجاري، أو يدفنوها في مكان معلوم ويدعونه كربلاء.

ثمّ يقول صاحب التحفة: وقد شاهدت هذا الحال بين كفرة لكهنو وبلاد بنگاله وبنارس.

ومنه ما أشار إليه صاحب الهياكل السبع (*) ما نصه: إنّ في بعض بلاد ماچين طائفة من الهندوا على اختلاف مذاهبهم، إذا هلَّ المحرّم لبسوا ثياب الحزن وغلقوا الدكاكين، وأقاموا المآتم الحسينيّة، وبذلوا الطعام والأموال للفقراء والضعفاء من الناس، ولهم كيفيّة خاصة في الشبيه والتمثيل واللطم والضرب على الصدور في عاشوراء، وذلك بأنّهم يحفرون نهراً يملؤونها حطباً ويضرمون فيها النار، ثمّ يخوضون فيها عند الضرب على الصدور بالمرور مكرّراً ويقولون: إنّا لا نحسّ بحرارة النار، وقد تبعهم على ذلك جَمٌّ غفير من النصارى واليهود والمجوس، وغيرهم من سائر الملل على اختلاف نحلهم.

وإليك من ذلك أيضاً ما أشار إليه صاحب الرحلة الهندية (*١)، وكذا صاحب كتاب الأسفار (*٢): إنّ بلدة على الساحل الهندي يقال لها:

(*) لمؤلّفه أحمد بن يحيى الطرابلسي، صفحة ٤٥٢؛ المطبوع بمطبعة برلين سنة ١٢٧٣هـ

(*١) لمؤلّفها الدكتور سليم الدمشقي، صفحة ٩٩، المطبوعة بمطبعة الإسلاميّة بمبئ، سنة ١٢٩٩ هجرية.

(*٢) لمؤلّفه الشيخ إسحاق الحلبي، صفحة ٧٤، المطبوع بمطبعة برلين، سنة ١٣٠٥هـ

كم بايت(*)، وغالب سكّانها من الهنود الوثنيين، فإذا هلَّ المحرّم، جميعهم في هلع وجزع لمصاب سيّد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام، وينصبون المآتم في دورهم وفي الطرقات، ويبذلون أنواع المأكولات والحلويات، بعد أن يذكروا المصيبة برمّتها.

وإذا كانت ليلة العاشر من المحرّم يجتمعون إلى عدّة مجتمعات، فكلّ مجتمع يهيّئ شبيه مصوّر الضريح الحسيني، ويجلّله بالأستار الثمينة وأعلام مختلفة الأشكال والألوان، وهي بمقدّمة الضريح الحسينيّ، وبعضها حريريّة ملوّنة مزبرقة بالقصب واليواقيت إلى جانبي الضريح، فكلّ ذلك يحمله رجال مكشوفي الرؤوس والصدور، البعض يلطم على رأسه والآخر على صدره.

وهناك فريق آخر يحمل الأدهان العطريّة في زجاجات بلوريّة، يدهن بها المارّة من اللاطمة، ويدفن بعضها في طريق اللاطمين، لكي تمرّ عليها أقدامهم، وبعد يخرجها ويحفضها في بيته يدّخرها لوقت الحاجة، ويسمّونها (الدكتور البيتي)، فإن مسّ أحد الأُمة الوثنيّة بحمى أو أذىً، يدهن بها جسده فيبرأ ببركة الحسين عليه السلام.

وهذا دأبهم بمرور الأعوام، وشعارهم بتلك الليلة: الوداع يا حسين، وكذلك في صبيحتها، يا شهيد يا حسين، يا غريب يا حسين»[1].

(*) كم بايت، واقعة على خليج شمال بمبئ، وتبعد عنها ١٥٠ ميلاً.

(١) الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلاميّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٣: ٣٨٠-٣٨٣.

(٣) قال السيّد مرتضى ابن السيّد علي الداماد (ت القرن الرابع عشر) في كتابه «الأعلام الحسينيّة»:

«ومَن يسافر إلى الهند، أو له صلة بها، يرى آثار ونتائج هذا الشعار الإسلامي الأعظم، حيث يدخل في السنة آلاف من عبدة البقر والأصنام والنار، من مؤسّسي الهند وبُنائها، من مدن زنجبار وماوه ودنكون، في الإسلام.

وكم يتواصل هؤلاء مع المسلمين، ويبذلون الأموال الطائلة في سبيل أن يمشوا على النار، كما يتعارف عند أغلب الهنود، الذين يأتون من سائر المدن والقرى ـ مع المسلمين ـ وفيهم الرجال والنساء، والشيب والشباب، محتضني أطفالهم الرضّع، قاصدين من مسافات بعيدة، حفاة الأقدام، وهم ينادون: حسين حسين»[١].

(١) الأعلام الحسينيّة (المطبوع ضمن هذه المجموعة) ٤:٣٢.

محمل النبّي صلى الله عليه وآله وهودج عائشة

أثار بعض الكتّاب عدّة إشكالات على تمثيل واقعة الطفّ، أهمها سخرية واستهزاء الأجانب بهذا العمل، وقد نقلنا قبل عدة صفحات كلام السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨هـ) في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل»، وكلام السيّد محمّد شريف النقوي الشيرازي الونكي (ت١٣٥٢هـ) في رسالته «حكم إقامة الشبيه» حول هذا الموضوع، فراجعهما.[1]

وأجاب بعض أعلامنا على هذا الإشكال، بوجوده عند الآخرين، كتمثيل محمل النبّي صلى الله عليه وآله، وهودج عائشة، اللذين يحملان إلى الديار المقدّسة في موسم الحجّ، في موكب مهيب.

ونحن ننقل أولاً ما أجاب به بعض أعلامنا على هذا الإشكال، ثمّ نذكر كيفيّة نقل المحمل والهودج إلى مكّة المكرّمة والمدينة المنوّره.

(١) ٥٧-٦٢.

ردّ بعض الأعلام على هذه الشبهة

(١) قال الشيخ عبدالله المامقاني (ت١٣٥١هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة»:

«إنّ من سخر من أهل السنّة والجماعة على التشبيهات، ننقض عليه تارةً بمجالس ذكرهم، وأخرى بما تداولوه من حمل هودج أمّ المؤمنين عائشة في كلّ سنة من مصر إلى الحجّ، وزيارة النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، وصرف أموال طائلة خطيرة في ذلك. وكذلك حملهم لشبيه هودج النبّيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه من الشام إلى الحجّ، فحيث لا مرض في قلوبنا لم نكن نسخر بفعلهم، فمن سخر منهم بتشبيهات الطفّ، فهو مريض لا عبرة بقوله وفعله. وكذا من سخر من الكفّار، ننقض عليه بما يرتكبونه في عيد الصليب.

إنّ استهزاء أعداء الدين بعمل حسن دينيّ لايسلب حُسن العمل، ولايجعله قبيحاً، ولايلزم تركه، كما أنّ نبح الكلاب لايمنع من سير القافلة عند العقلاء، وإلّا للزم الرسول الأكرمصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أن لايظهر نبوّته لسخرية أبي جهل وأبي لهب وأمثالهما به، ولزم أن لايصلّي أحد عند بعض المستهزئين بها من الكفّار والمرتدّين.

ولئن كان التمسخر على التشبيه موجباً للمنع منه، للزم المنع من مطلق إقامة العزاء والبكاء، وذكر أسماء النساء على المنابر؛ لأنّ من يسخر بالتشبيه يسخر بذلك كلّه.

ولقد اعترض منافق على مؤمن في ذكر أسماء حرم الطفّ على المنابر.

فأجابه بقراءة قوله سبحانه ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا... ﴾[١] الآية، فإنّه لو كان ذكر أسماء الحرم قبيحاً لما سمّى الله تعالى مريم في كتابه المجيد»[٢]

(٢) قال الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي (ت ١٣٩٨هـ) في رسالته «نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء»:

«وليت شعري متى أصبح التمثيل عادةً سيئة، وهذه الطوائف الإسلاميّة كلّها تحترم بالأمس «المحمل» الذي كان يمثّل به الشاميّون محمل النبّي صلى الله عليه وآله، كما أنّها تحترم اليوم «الهودج» الذي يمثّل به المصريون كلّ سنة هودج أمّ المؤمنين عائشة.

وليس في حجّاج المسلمين مَن لم يشاهد أُبّهة ذلك الهودج الموقّر، حينما يسير بين الجماهير محاطاً بالجند والسلاح، وقد تقدّم أمامه الموسيقيّ يعزف له بألحانه المطربة، حتّى لقد قتل الجند المصري في هذه السنة عند «وادي منى» ثلاثة من الوهابيين دفاعاً عن موسيقى الهودج.

وإذا كان التمثيل عادة سيئة، فلماذا تنكره الألسن والأقلام على ممثّلي فاجعة الطفّ خاصّة، ولاتنكره على ممثّلي «المحمل» و «الهودج»؟

لماذا لا تنكره على الإفرنج، وقد غصّت مدنهم بقاعاته وساحاته؟

---

(١) التحريم (٦٦): ١٢.

(٢) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢: ٢٣٥-٢٤١.

لماذا لا تنكره على النصارى في اتخاذ الصلبان؟ وليست هي إلّا تمثيلاً للخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام»[١]

(٣) قال الشيخ محمّد جواد الحچامي (ت١٣٧٦هـ) في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني»:

«فهؤلاء المسلمون، من مصريّين وشاميّين، مازالوا أو لايزالون ينفقون الأموال الطائلة الجسيمة، والحلل الفاخرة الثمينة، في سبيل تذكار هودج أو محمل عائشة أمّ المؤمنين، حتّى يُساق بكلّ حفاوة واحترام، أمام موكبهم الموقّر إلى بيت الله الحرام وحرم النبّي عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

وناهيك اهتمام الأجانب في عقد المحافل والمحاشد والاجتماعات الضخمة الفخمة لرواياتهم التمثيليّة، فالتمثيل ليس بأمرٍ حادثٍ مُبتدع، بل عاديّ قديم متّبع»[٢]

(٤) قال الشيخ عبدالله السُبيتي العاملي (ت١٣٩٧هـ) في رسالته «رنّة الأسى»:

وأيّ سخرية في التمثيلات؟!

وأيّ شين بالتشبيهات حتّى أوجب تهويل الأُستاذ من كلّ ماله من الحول والطول؟!

---

(١) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢: ٢٦٦-٢٧١.

(٢) كلمة حول التذكار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٩٦.

وإنّك تراه من خلال كلماته يحرق الأرم[(١)] ويدمي أنامل الغيظ، وتخرج شظايا قلبه بين أنفاسه المتصاعدة، فعلامَ تحرق الأرم وتصوّب وتصعّد؟!

وأيّ عمل تستفظع؟!

وأيّ أحلام تسفّه؟!

وأيّ شيء تنكر على الأُمّة بتمثيلها؟!

أعلى بدعة ابتدعتها، أم حرمة انتهكتها؟! كلاّ...

لقد أتى على هذا التمثيل ردحاً من الزمن[(٢)] متداولاً عصراً بعد عصر، ولم يكن في زمن من الأزمان سخرياً.

وما أدري ـ وليتني دريت ـ متى كان التمثيل سخريّاً يسخر منه الجمهور؟! وهذه الأُمّة الإسلاميّة على اختلاف مللها، وتضارب أهوائها كانت تحترم الهودج ـ المحمل ـ الشامي الذي يمثّل به هودج النبيّ صلى الله عليه وآله.

وها هي اليوم تحترم المحمل المصري الذي يمثّل هودج عائشة أُم المؤمنين، وليس من المسلمين من يسخر به حينما يراه والعظمة تعلوه محفوفاً بالرجال محاطاً بالجند والسلاح، والموسيقى تعزف أمامه بألحانها المطربة وتصدح بصوتها الرّنان.

---

(١) الأرم: الأضراس، كأنّه جمع آرم. يقال: فلان يحرق عليك الأرم، إذا تغيّظ فحكّ أضراسه بعضها ببعض. الصحاح ٥: ١٨٦٠ «أرم».

(٢) يمتدّ إلى عصر البويهيين كما في ابن الأثير «المؤلِّف». انظر: الكامل في التاريخ ٨: ٥٤٩.

وهؤلاء روحاني الأُمّة النصرانيّة ورهبانها تَتّخذ الصلبان وتدلّيها في رقابها، وهذه ملوكها ترفعها علماً على تيجانها، وهل هي إلّا تمثيلاً للخشبة التي صُلب عليها عيسى الأناجيل ومسيحها.

وهذه الأُمّة الغربيّة التي استهوى قلوب ثلّة من المسلمين تمدّنها، وقد أعدت للتمثيل عدّتها، وبذلت في سبيل ترقيتها جهدها، فعقدت المحافل والمحاشد وفتحت الأندية والمراصد.

وهذه الكنائس والبيع مملوءة بأنواع التمثيلات القبيحة، وهذه مسارح التمثيلات غاصّة بالمتفرّجين، يؤمّها الناس من كلّ صوب وحدب، وما رأينا مَن يسخر بذلك، ولا سمعنا أحداً ممّن يعني به الأُستاذ يسخر، مع ما يقع فيها من المنكرات والفضائح والقبائح، أفكانت السخرية مقصورة على تمثيل واقعة الطفّ وإقامة التذكار الحسيني؟!

إنّا لو فتّشنا الدنيا من جوانبها الأربع، وجسنا خلال ثناياتها وعقباتها، وانحدرنا من قمم جبالها إلى مهامة[١] سهولها، وخضنا غمار بحارها وأنهارها، نستشف في الوجوه علّنا نجد رجلاً استهزأ بهذه التمثيلات، لما وجدنا أحداً.

اللّهم إلّا بعض من الأغيار يتظاهرون بالسخرية أمام البسطاء من الناس، لعلّهم يجدون هناك منفذاً لتزريق سموماتهم، ولقد وقعوا ـ ويا للأسف ـ على بغيهم، ووجدوا شبّاناً وكهولاً وشيباً.

---

(١) المهمة: المفازة والبريّة القفر، وجمعها: مهامة. النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٧٦ «مهمة».

أجل تسيل على أسلات[1] ألسنتهم كلمات السخرية، ويبدوا على ملامح وجوههم الاستهزاء، بيد أنّ قلوبهم تكاد تميّز من الغيظ، ونفوسهم تقطّع حسرات، حيث علموا أنّ هذه الشعائر وتلك المواكب من أهمّ أسباب التبشير، وأكبر عوامل تقدّم هذه الطائفة، وقد شاهدوا سرعة تقدّمها بالعيان.

والحال هم يبذلون الأموال الطائلة، وينفقون النفقات العظيمة، يجهدون ببثّ دعواهم بكلّ الوسائل، ومع ذلك لا تعود هذه الجهود وتلك النفقات إلّا بالخسران بمعترك هذه الحرب الأدبيّة.

وإنّي آسف كلّ الأسف كيف انطلت على المصلحين هذه الحيل؟!

وعجباً كيف وقعت منهم موقع الاستحسان تلك الخزعبلات التي يتظاهر بها أولئك المبشّرون الأغيار؟!

ولو خضعنا لهذهِ النظريّة واستسلمنا لها، أفيلزمنا رفض هذهِ المظاهرات؛ لأنّ الجمهور يسخر منّا؟!

إذن يلزمنا أن نترك الفروض الواجبة كالحجّ، فإنّ الأغيار لا شكّ أنّهم يسخرون منهم، فإنّك بينما ترى الرجل يمشي بسكينة ووقار، وقد يكون محفوفاً بخدمه وعبيده أو جنده، إذ تراه عارياً إلّا من إزار ورداء مكشوف الرأس، أو يهرول بين الصفا والمروة، أو يقبّل أحجاراً منحوتة، أو يرمي بالحصا كالصبيان، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يدري سرّها إلّا من

---

(١) أسلات، جمع أسلة: وهي طرف اللسان. النهاية في غريب الحديث ١: ٤٩ «أسل».

استنارت زوايا قلبه بنور الإيمان، بل الصلاة والأذان ممّا يسخر منهما الأغيار، بل، وبل، وبل.

وربّما يستشعر من الأُستاذ الاحتياج في هذه الأعمال إلى الدليل الخاصّ، وإن صحّ هذا فهو قضيّة إسماعيل (يشهد أن لا إله إلّا الله)، أو تغاضى من عمومات البكاء والتباكي والجزع عليهم وإحياء أمرهم، ولا شكّ أنّ إحياء أمرهم ـ بأبي هم وأمّي ـ بالتمثيل ومواكب اللطم لأهم وأعظم وأكبر من إقامة المآتم بين الجدران»[1].

(٥) قال الميرزا محمّد عليّ الغروي الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ) في رسالته «الكلمات التامّات في المظاهر العزائية لسيّد الشهداء عليه السلام»:

«ثمّ إنّ أمر التمثيل لم يبرح متسرّباً من فئة إلى فئة، وكلُّ عُصبةٍ يحفلُون بمقدمه، ويرحّبون به، ويتّخذونه وسيلةً إلى نيل غاياتهم، وما يتوخّون إنفاذ روحه في مجاسد[2] القلوب، حتّى تسالمت عليه الأُمم والشُّعوب.

ربّما غالط القاصرون؛ بوجود غايات قبيحة في بعض التَّشبيهات، وأنّ المنبثّ فيه هو روح الفساد.

لكنّ الذي احتَقَبَ[3] ذلك الحُوبَ[4] هو من زَفَّهُ بتلك الأطْمارِ[5]، وصَبَّهُ

---

(١) رنّة الأسى (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:١٥٦-١٦٠.

(٢) مجاسِد: جمع مِجْسَد، وهو الثوب والقميص المصبوغ بالصبغ الأحمر.

(٣) أي: جمع، واحتقب الشيء: احتمله خلفه.

(٤) أي: الإثم.

(٥) الأطمار: جمع الطِمْر، الثوب الخَلَق.

في بوتقةٍ[١] غير معتدلة، وهو المخاطب والمعاتب في ذلك.

ولا يمسُّ شيءٌ منها بكرامة التمثيل، وقوّته في الحجّة، ولا تتحوَّبُ بها حقيقته الراهنة.

ولذلك لم يحد عنها جيل، ولا استنكرتها أُمّةٌ، وإلى اليوم يأتون أهل السُّنّة في كلّ عام؛ من مصر ـ بتصديق من ملأهم، وإيعاز من جامعتهم وعلم من علمائهم ـ بشبيه هودج أم المؤمنين عائشة؛ بكلّ حفاوة واحتفال، قد اكتنفته الخيل والسلاح، مكسيّاً بالحلل المثمنة، والموسيقيُّ يعزف أمامه حتّى يرد مكّة.

ولم يردّ ذلك عليهم أحد، ولا كاشفهم عليه من يقام له وزن من فرقهم، عدا ما صدر في هذا العام من بعض ـ من لا يعرف من الدين موضع قدمه، لكنّه ما فتئ حتّى التجأ إلى الإصلاح ـ بتقديس ذلك الشبيه لما شاهد من تهالك الجند المصريّ وتفانيهم في سبيل مشروعهم وخشي عاقبة الأمر، وأنّ بنادق المصريّين قضت على بضعة نفوس منهم.

وإلى الأمس كانوا يأتون بالمحمل الشاميّ ـ شبيه محمل النبيﷺ مقدّساً معظّماً.

والنصارى لم تبرح عاكفةً على صُلبانها، وهو تمثيل للمسيح مصلوباً ـ في

(١) البُوتقة: الوعاء الذي يذيب فيه الصائغ.

مزاعمهم ـ أو الخشبة التي صُلِبَ عليها، وهو من أكبر مقدّساتهم.

وكأنّهم يريدون بذلك أن تكون مظلوميّة المسيح قيد نظرهم، ورهن ذاكرتهم، فينشأ على ذلك وليدهم، ويتمرّن عليه ناشئهم، فيكون كلّ فرد منهم متأهباً للوثوب والانتقام من أعدائهم ريثما اقتضت الظروف والأحوال، ويستمر على ذلك المسيح ومساعيه وتعاليمه»[1].

محمل النبيّ صلى الله عليه وآله وهودج عائشة

في كتابه «دمشق في مطلع القرن العشرين»، يوضّح «أحمد حلمي العلاّف» كيف كانت ترتّب شؤون الحجيج أيام الدولة العثمانية، والتفاصيل الدقيقة لكلّ مراسم المحمل الشامي بدءاً من الإعداد له، ومروراً بمسيرته، وانتهاء بالاحتفالات التي يقيمها الدمشقيّون بعد عودة الحجّاج من الأراضي المقدّسة.

وكانت هذه التفاصيل قد عرضت في أحد الأعمال الدرامية السورية «الخوالي» لبسام الملاّ، واتكأت على هذا المرجع لتقديم صورة عن حياة الناس، عاداتهم وطقوسهم في أيام الحجّ البعيدة تلك.

تبدأ مراسم المحمل في اليوم الأول لعيد الفطر، وتسمّى «مراسم الزيت والشمع والمحمل»، حيث تصطف الفرق العسكرية أمام المسجد الأموي،

---

(١) الكلمات التامّات في المظاهر العزائية لسيّد الشهداء عليه السلام (المطبوعة ضمن هذه المجموعة):٣: ٢٤-٢٦.

وتؤدّي التحية لوالي المدينة وقائدها العسكري، وبعض كبار الموظفين، وبعد الانتهاء تجري حفلة إخراج الشموع والزيوت المهيأة لإرسالها مع موكب الحجّ إلى الحرمين الشريفين.

في «يوم الزيت» وهو الثاني من شوال كلّ عام، يتمّ الاحتفال بنقل الزيت من «كفر سوسة» أحد ضواحي دمشق في الماضي، وهو أحد أحيائها اليوم، ضمن ظروف على ظهور الإبل حتّى «الكيلار» في البحصة، وهو المستودع الخاص بأدوات محمل الحجّ.

أمّا في اليوم الثالث من شوال (يوم الشمع) فينقل الشمع باحتفال رسمي أيضاً، من الدار التي سكب فيها في «كفر سوسة» ووزنه ثلاثة قناطير، وماء الورد من محصول قرية «المزّة» ـ وهو حي المزّة المشهور في دمشق اليوم ـ ووزنه نحو قنطار، والملبّس ووزنه عشر أرطال، ويحمل الشمع على أعناق الرجال ملفوفاً بالشال «الكشمير» لإهدائه إلى الحرمين.

وفي يوم السنجق، يخرج السنجق الشريف «الراية أو اللواء» وهو كلمة فارسية، من القلعة حيث يحتفظ به، وينقل باحتفال مهيب إلى دائرة المشيرية، ليستقبله المشير ويضعه في قصره.

أمّا اليوم الرابع من هذه المراسم، فهو (يوم المحمل)، حيث يخرج موكب الحجّ الشريف مع المحمل والسنجق إلى حي الميدان، ثمّ باب مصر، ومنه إلى قرية القدم التي فيها قبة جامع «العسالي»، وتحت هذه القبة، يوضع المحل نحو عشر أيام، ريثما تنتهي أسباب السفر إلى الحجاز.

التشرف بإمارة الحجيج: من هنا كان يبدأ المحمل رحلته.

يعتبر «آل سعد الدين» من أعرق العائلات الدمشقية، وأكثرها ارتباطاً بطقوس محمل الحجّ الشامي، حيث كان لشيوخ الأسرة السعديّة موقعهم المميّز في احتفالات المحمل؛ لأنّ دارهم كانت المحطة الأهم لاستراحة المحمل الشريف، الذى كان شعاراً لسيادة السلطان العثماني على الحرمين الشريفين.

يوضع (المحمل) على ظهر جمل جميل الشكل قوي وعال لايستخدم لأي عمل سوى الحجّ، ويحمل إضافة للمحمل الكسوة السلطانية إلى الكعبة الشريفة.

وحين كان المحمل يتوقّف في دار سعد الدين يتقدّم شيوخ الأسرة ووجهاؤها ليلقموا الجمل قطعاً من اللوز والسكر، فيتهافت الناس على التقاط الفضلات من فم الجمل تبركاً وتحببّاً؛ لأنّه يحمل أعظم شعار يجتمع إليه المسلمون عند ذهابهم إلى الحج.

وبعد وصول المحمل إلى العسالي، ينتظر تجمّع الحجاج يوماً أو يومين، حيث تسير قافلة أمير الحجّ في طريقها إلى مدينة الرسولﷺ.

كانت الدولة العثمانية تتحمّل نفقات الحجّ، وتعهد بإمارته لواحد من كبار العسكريين في دمشق، أو من زعماء العشائر العربية في فلسطين، ويتهيّأ هذا الأمير للخروج بالحجّ قبل حلول الموسم بثلاثة أشهر، فيقوم أولاً بـ «الدورة» أي زيارة المناطق الجنوبية من دمشق لجمع المال اللازم، وقد يكون

الوالي نفسه أمير الحجّ، وهي مهمّة صعبة وخطيرة؛ لأنّ من واجباته أن يدفع عن الحجاج اعتداءات القبائل التي تنوي بهم شراً، وقد تولّى أسعد باشا العظم ـ والي دمشق ـ إمارة الحجّ مدة ١٤ عامّاً، وكان الباشاوات في مختلف أنحاء السلطنة العثمانية يتوقون إلى هذا اللقب.

تتكون قوافل الحجّ الشامي من عدّة فئات تقوم بخدمة الحجاج والسهر على راحتهم وحمايتهم، ولكلّ من هذه الفئات وظائفها:

فالسقاة، كانوا يحملون القرب لنقل المياه من البرك والآبار إلى الحجيج.

والبرّاكون، هم أصحاب الدواب التي تنقل الحجاج، وتكون من البغال والبراذين.

والعكّامة، وهم أصحاب الجمال والهوادج التي تنقل الحجاج أيضاً.

وأصحاب المشاعل، وهم حملة القناديل ومشاعل الزيت، وطائفة أصحاب الخيم.

ولكلّ هؤلاء رؤساء ومعاونون كثيرون، مهيؤون لتأمين راحة الحجاج، فأهل حي الشاغور وقصبة دوما للجمال، وأهل الصالحية كان أكثرهم للسقاية والمشاعل وللبراكة، والبياطرة منهم أيضاً، والجنود يخدمون أنفسهم، أمّا الأمير وأتباعه فإن مئات الأشخاص يكونون تحت خدمته وخدمة معاونيه.

كان أمير الحجّ يخرج من سراي الحكم «المشيرية أو العسكرية» على رأس موكب الحجّ بين ١٥ ـ ١٧ شوال، ويتّخذ طريقه: الميدان، مجتازاً باب المصلّى، ثمّ الميدان الفوقاني، إلى باب اللّه أو بوابة مصر، في ممرّ يمتدّ نحو

ثلاثة كيلومترات متّجهاً إلى قرية مزيريب، وبعد خروج الحجّ ببضعة أيام «من يومين إلى خمسة» تخرج قافلة الحجّ الشامي من الطريق نفسه، يتلوها قافلة الحجّ الحلبي، ومعهم حجاج العجم، ويبقى الجميع في مزيريب حتّى يتمّ خروج الموكب بأجمعه، وكانت رحلة الحجّ الشامي تستغرق أربعة أشهر من شوال حتّى صفر.

الحبوب والمحبوب:

بعد انتهاء مناسك الحجّ، يتجمّع الحجاج في المدينة المنوّرة حول المحمل والسنجق ويعودون في نفس الموكب الذي ذهبوا به، وحين يقارب وصولهم إلى دمشق، تستعد الحكومة والأهالي لاستقبالهم باحتفالات كبرى.

وكان معروفاً عند الناس قولهم أثناء مغادرة الحجاز: «يأكلون الحبوب ويفارقون المحبوب»، والحبوب نوع من الحلوى تطبخ فيه الحبوب المتنوعة كالحمص والقمح واللوبياء والفاصولياء مع السكر، وعادة ما يصنع يوم عاشوراء في العاشر من محرّم، والمحبوب هو الرسول صلى الله عليه وآله.

في العودة، يكون مع القافلة رجل يدعى «أمين الصر»، والصر ـ هو بعض الهدايا التي كانت توزع على عربان بين الحرمين تملّقاً لهم وخوفاً من بطشهم، ويحوى هذا الصر ـ مختلف المتاع من أحذية، ومحارم وهي مناديل قطنية أو حريرية كان بعضها يصنع في دمشق أو تحضر من استانبول، والعُقل، والعباءات والجوارب.

أمّا «الجوخة دار» أو «جوقة دار» وهي كلمة تركية الأصل تعني فتيان السلطان أو القصر السلطاني، ثمّ أصبحت الكلمة تطلق على رسول السلطان أو الوالي، فيقوم في الحجّ بدور الرسول الذى يرسله أمير الحجّ إلى دمشق ليبشّر الناس بعودة الحجّاج قبل وصولهم ببضعة أيّام، وينفصل «الجوخة دار» عن الحجّاج في تبوك، يصل قبلهم بسبعة أيام، ويبشر الناس بسلامة الحجّ ونظافته من الوباء والأمراض والمصائب، وبمجرّد وصول «الجوخة دار» يبدأ الناس بالسفر إلى مزيريب أو غباغب أو الكسوة، حاملين مختلف الأطعمة لملاقاة حجّاجهم من أقارب وأصحاب.

أمّا الدولة فتعيّن يوماً لاستقبال موكب الحجّ، يأتي فيه الناس مهلّلين مكبّرين، يصطفّون على جوانب الطرق من بوابة مصر في العسالي، إلى دار الحكومة وهي مكان القصر العدلي في دمشق اليوم. وتطلق مدفعية قلعة دمشق عند وصول الموكب عشرين طلقة متقطعة، وفي تلك الأثناء يمرّ الموكب ثانية في دار آل سعد الدين الذين يناولون جمل الحجّ اللوز والسكر كما فعلوا عند ذهابه إلى الحجاز.

وأمّا ما يتعلّق بهودج عائشة، فانظر كتاب «أزمة سياسية بين مصر والسعودية بسبب محمل الحجّ» بقلم إبراهيم كامل:

المحمل الشريف؛ فهو عبارة عن هودج من عدّة قطع من القماش المزخرف بالآيات القرانية يحمل على جمل خاصّ، وكان يسير من بلاد مصر وتركيا وسوريا متزامناً مع مناسك الحجّ، ابتداءً من عصر المماليك، حين

خرجت «شجرة الدر» قاصدة الحجّ، واستمرّ حتّى ملك آل سعود، وتحديداً في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود.

في عهد الملك عبد العزيز وقعت حادثة تقاتل بعض الحجّاج النجديين المنتمين للإخوان (فرقة عسكرية وهابية مناصرة لآل سعود) مع عساكر المحمل المصري في عام ١٣٤٤ هـ.

واتفق الملك عبدالعزيز مع المصريين أخيراً، على أنّه لاحاجة للمحمل بعد توفّر الكسوة، ووقّع معهم ـ بعد تولّي فاروق الحكم ـ معاهدة على وفق القوانين الدوليّة عام ١٣٥٥هـ تضمّنت السماح للمصريّين بالتطّوع لعمارة الحرمين الشريفين.

حادثة البصرة

من الإشكالات التي وجهها السيّد محمّد مهدي الموسوي البصري (ت١٣٥٨هـ) في رسالته «الصولة»، والسيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ) في رسالته «التنزيه»، على تمثيل واقعة الطفّ، هو ما يقوم به بعض الأشخاص غير المتديّنين بتمثيل هذه الواقعة، كما حصل في البصرة أن قامت إمراة فاسقة بتمثيل دور السيّدة زينب عليها السلام.

وقد أجاب الأعلام على هذا الإشكال في الرسائل المطبوعة ضمن هذه المجموعة، فنذكر هنا أصل الإشكال، وردوده:

(١) قال السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (١٣٥٨هـ) في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل»:

«يا ذوي المعرفة والبصيرة، وأهل الشرف والشهامة والغيرة، مَن منكم يرضى بأن تُشبّه محجّباته ـ كأُمّه وبنته وخالته وزوجته وغيرهنّ من نسوته ـ بالنسوة غير المحجّبات اللائي لا شرف لهن ولا حيثية[(١)] تحوطهن؟

فيُجعلن على الجمال في المحامل[(٢)] وغيرها، ويشهرنَ بين الفسقة وغيرهم من الملل الخارجة، وقد ضُربت الطبول[(٣)] والطوس[(٤)]، وصدحت[(٥)] الأبواق[(٦)] أمامهنّ وخلفهنّ، والخلق حولهنّ من كلّ صنف وشاكلة، ما بين

---

(١) أي لا قيمة لهنّ ولا اعتبار بين الناس.

(٢) المحامل، جمع مِحْمَل: وهو الذي يُركب عليه، قال ابن سيدة: المِحْمل شِقّان على البعير يُحمل فيهما العديلان. لسان العرب ١١: ١٧٨ «حمل».

(٣) الطبول، جمع طَبْل: وهو اسم يشمل الطبول المحرّمة وغيرها؛ إذ ليس كافّة الطبول محرّمة في الشريعة، والمحرّم منها ما يستعمله المخنّثون وأهل اللهو والطرب، وهو الذي يُسمى باللغة «كُوبة».

قال الجوهري في الصحاح ١: ٢١٥ «كوبة»: الكُوبة: الطبل الصغير المُخَصّر.

وانظر: المصباح المنير: ٥٤٣، والقاموس المحيط ١: ١٣١ «كُوبة».

(٤) الطوس، كلمة عراقيّة، وهي الصَّنْجُ، وجمعها صُنُوج، وهو اسم يشمل الصنوج المحرّمة وغيرها.

(٥) في الصحاح: ١: ٣٨١ «صدح»: صدح الديك والغراب صدحاً: أي صاح.

(٦) الأبواق، جمع بوق: وهو الآلة المستعملة في المواكب العزائيّة، ويُسمّى بلسان العامة في عرف العراقيين «البوري» أو «البرزان»، وهو غير المزمار المنهيّ عنه.

وقوف وجلوس، يتفرّجون عليهنّ: بعض بالاستهزاء، وبعض بالشماتة[١] وآخر راث[٢] لهذه الهيئة.

وهنّ يُسار بهنّ في الطرق والأزقة على هذه الهيئة الشنيعة[٣] البشعة، والناس يشيرون إليهنّ بأيديهم، ويسمّونهنّ بأسمائهن، وقد سخر الآخرون من هذه الحماقات، فتراهم يزدرون[٤] طوراً، وطوراً يضحكون من سخافات المسلمين التي ليست من الإسلام في شيء، وما يدرون بأنّ هذه المضحكات من مبتدعات الطَغَام[٥] غير الملتزمين بدين المسلمين، المنزّه عن مثل هذه المنكرات، التي تنفر منها القلوب،وتشمئز[٦] منها النفوس.

فأيّ عاقل يرضى بهذه السيرة السخيفة الفظيعة في حقّ محارمه، بل لن يرضى ولو بدون هذه الهيئة في حقّهنّ.

ونحن نقول لمن جعل هذه الهيئات ديناً للّه يعبده بها: تجعل نسوة الناس غير المحجّبات شبيهات لبنات الرسول صلى الله عليه وآله ــ وعلى عترته ــ وقرّة

---

(١) الشَماتَةُ: الفرح بِبَليَّةِ العدوّ، يقال: شَمِتَ به يَشْمَتُ شماتَةً. الصحاح ١: ٢٥٥ «شمت».

(٢) أي متألّم، يبكي على ما وصل إليه بعض الناس في أساليب التعزية من طرق غير صحيحة. وفي الصحاح ٦: ٢٢٥٢ «رثي»: ورثيت الميّت مرثيّةً: إذا بكيته.

(٣) الشناعة: الفظاعة. وقد شَنُعَ الشيء فهو شنيع وأشنع، والاسم الشُنعة. الصحاح ٣:١٢٣٩ «شنع».

(٤) ازْدَرَيْتُهُ: أي حَقَرته. الصحاح ٦: ٢٣٦٨ «زري».

(٥) الطَغَامُ: أوغاد الناس. الصحاح ٥: ١٩٧٥ «طغم».

(٦) اشْمَأَزَّ الرجل اشمِئزَازا: انقبض، وقال أبو زيد: ذُعر من الشيء وهو المذعور الصحاح ٣: ٨٨١ «شمز».

عين البتول، ولم تجعل محجّباتك شبيهات بهنّ؟ فإن كان التشبّه على هذه الهيئة المعلومة ديناً حسناً عندك، فاختر الدّين الحسن لنفسك، فما وجه جعله لغيرك؟!

فهل الدّين عندك ملعبة تلعب بها؟!

وهل عيالك في النجابة والشرف والحذر مثل بنات البضعة البتول؟! حاشا للّه حاشا!

فإن كُنتَ صادقاً في محبّة أهل البيت، فما بالك لا تشهر بناتك أو غيرهنّ من عائلتك ومحجّباتك بهنّ، فتخرجهنّ على هذه الهيئة الشنيعة؟! ومن المحال صدور ذلك منك، ومن هنا إنّك تلعب بالدّين، نسأل اللّه التفضّل عليك برفض هذه الديانة الخبيثة، والرجوع إلى ديانة الحقّ الشريفة.

فيا أيّها المُبتدع في الدّين هذه السخافات، المحفوفة بجملة من المحرّمات، لِمَ لَمْ تسأل مَن تعتمد عليه وتركن في دينك إليه، عن هذه الهيئات السخيفة الموجبة للسخرية بالشريعة الشريفة، زاعمين بأنّها عند المسلمين من أجزاء الديانة؟ فليت شعري هل ورد عن الرسول وآله ولو خبر ضعيف في شرعيّتها، حتّى تصول به على المتشرّعين؟

أما علمتَ أنّ متابعة الهوى وخيمة العاقبة؟!

إذاً فما هذه الحماقة تتظاهر بها بين الخلق، هاتكاً عقائل الرسالة ومحجّبات النبوّة، وتُسمّي ذلك تعزية؟!

أما دريتَ معنى التعزية المندوب إليها المثاب عليها ما هي؟

بلى واللّه العظيم لقد عرفتَ ذلك حقّ المعرفة، ولكن قد حالت متابعة الهوى والشيطان بينك وبين الحقائق، واللّه جلّ ذكره يقول: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾(١).

فالنصيحة النصيحة في رفض هذه الخرافات الموجبة لسخرية الملل الخارجة بشريعة خير البريّات، وفي لزوم طريقة عباد اللّه المتّقين في مسائل التعزية لسيّد المرسلين وعترته الطاهرين صلّى اللّه عليه وعلى عترته، فإنّ في الجري عليها شرف الدّين والدنيا»(٢).

(٢) قال الشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم»:

«اندفع صاحب المقالة بكلّه وبجميع ماله من حماسة على تشبيه عقائل النبوّة بثلّة من النساء المومسات والمتبرّجات، وأبرق وأرعد على فاعل ذلك في مقالته، يري كلّ قارئ أنّ التشبيه الذي تفعله الجعفريّة هو هذا القسم من التشبيه الشائن.

غفرانك اللهمّ غفرانك من هذا التهويل، ودفع الحقّ بالأباطيل.

إنّ هذا التشبيه لم يقع في البصرة على طوال السنين إلّا منذ أربعة أعوام، شهده غير واحد من الصلحاء، وأجلب(٣) على منعه، فمنعه من له قوّة المنع من ساعته. وهذا الرجل يُري بكلامه كلّ أحدٍ أنّ ذلك التشبيه المستهجن هو

---

(١) الجاثية (٤٥): ٢٣.

(٢) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢: ١٧٣-١٧٧.

(٣) أي: أعان على منعه.انظر: الصحاح ١: ١٠٠ «جلب».

من الرسوم العادية حتّى في عامه هـذا، وإلّا فما هو معنى المنع عن شيء مضى وما عاد له نظير أبداً، لا في البصرة ولا في غيرها؟!»[١]

(٣) قال السيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ) في رسالته «التنزيه»:

«ومنها [أي من الأمور المنكرة]: إركاب النساء الهوادج مكشّفات الوجوه، وتشبيههنّ ببنات رسول الله صلى الله عليه وآله. وهو في نفسه محرّم؛ لما اقتضته من الهتك والمثلة، فضلاً عمّا إذا اشتمل على قبح وشناعة أخرى، مثلما جرى في العام الماضي في البصرة من تشبيه امرأة خاطئة بزينب عليها السلام، وإركابها الهودج حاسرة على ملأ من الناس كما سيأتي»[٢]

وقال في مكان آخر من رسالته هذه:

«إنّ العلاّمة السيّد مهدي الكاظمي...رأى منكراً فنهى عنه، وشاهد في البصرة مالا تبرك عليه الإبل، فحرّكته حميّته الهاشميّة إلى الذبّ عن حرم أجداده الطاهرين والمنع من هتك حرمتهم، وذلك أنّه في المحرّم من السنة الماضية [وهي سنة ١٣٤٥هـ] جرى تمثيل الواقعة في البصرة، فجيء بامرأة من مومسات البصرة، ووضعت في الهودج حاسرةً، وشُبّهت بزينب بنت أميرالمؤمنين عليه السلام على مرأى من اُلوف المتفرّجين.

فأخذت هذا السيّد الجليل الصادق النسبة الغيرة على بنت أميرالمؤمنين عليه السلام وأجلّ امرأة هاشميّة بعد أمّها الزهراء عليها السلام، فمنع من التشبيه

---

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٣٦١.

(٢) التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥: ١٦.

الذي اشتمل على هذه المنكرات من شقّ الرؤوس وإيذاء النفوس والطبول والزمور، وتشبيه بنات رسول الله بهذا التشبيه الشنيع، وكتب في ذلك رسالته ونشرها»[١].

(٤) قال الشيخ عبدالله السُبيتي العاملي (ت١٣٩٧هـ) في رسالته «رنّة الأسى»:

«هذه المواكب الحسينيّة تُقام في كلّ سنة مرّتين: مرّة في العشر المحرّم، والثانية في العشر الأخيرة من صفر، ولم نَر ولم يرَ أحد قبلنا أنّ في موكب من المواكب أركبت فيه امرأة واحدة، فضلاً عن متعدّدات، كما تعطيه عبارة الأستاذ التي وردت بصيغة الجمع.

نعم، نقل صدور هذا الفعل الشنيع في بعض السنين السابقة في البصرة، وأجلب عليه من له قوّة المنع وبيده زمام الأمر، فمنع من ساعته، وأين ما وقع من نسبة صدوره دائماً؟!

فما هذه التلفيقات والتهويلات من الأستاذ ـ تبعاً للبصري ـ وما هذه التشنيعات على أعزّ مجوهرات الأمّة وأغلى نفائسها، ومتى كانت الشمس تستر بالغربال»[٢].

(٥) قال الشيخ محمّد حسين المظفّري (ت١٣٨١هـ) في رسالته «الشعار الحسيني»:

---

(١) التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٥:٩٧.

(٢) رنّة الأسى (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٥:١٤٨.

«وإنّا ما شاهدنا على كثرة ما نشاهده، ولا سمعنا على كثرة ما نسمعه، أنّ شيئاً ممّا تقوّلته قد صُنع، وكيف يستحلّ الشيعة ما زعمته وأنت تعلم أنّهم أحدّ الناس غيرة على النساء، وأشدّهم تمسّكاً بالحجاب، وأعظمهم احتراماً للرسول صلى الله عليه وآله وصفاياه وعقائله؟!

وما أتّفق من صُنع مرّة واحدة في البصرة قبل سنين ستّ[١]، وكان الخارجات نساء فقط، وانقطع من ساعته بتحريض أهل الإصلاح على منعه، لا يستدعي منك هذا التحامل الشنيع والإنكار الفظيع.

ولا أدري ما الذي دهاك فأبرزك على هذه الصفة، حتّى أقهرتنا على أن نقف معك هذا الموقف الهائل؟! فإنّا لله وإنّا إليه راجعون»[٢].

(٦) قال الشيخ عبدالحسين قاسم الحلّي (ت١٣٧٥هـ) في رسالته «النقد النزيه لرسالة التنزيه»:

«وأمّا ما نقله من تمثيل امرأة خاطئة بزينب في عامه الماضي ـ وهو في سنة ١٣٤٧هـ ـ فينبغي أن يسامحه كلّ بصري ونزيل في البصرة، كما أنّهم من قبل سنتين سامحوا من نقل أنّه واقع في البصرة في عامه الماضي أيضاً وهو في سنة ١٣٤٥هـ[٣]، فكم من عام ماضٍ، إلى عامٍ ماضٍ، إلى سبع سنين ماضية، لم يقع فيها في البصرة شيء من ذلك.

---

(١) أي في سنة ١٣٤١هـ؛ لأنّ تاريخ تأليف هذه الرسالة وطباعتها كان سنة ١٣٤٧هـ.

(٢) الشعار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٥: ٤٢٠.

(٣) هو السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨هـ) في رسالته «صولة الحق على جولة الباطل» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٢: ١٦٥، التي ألّفها في أوائل شهر محرّم سنة ١٣٤٥هـ.

نعم، في سنة ١٣٤١هـ ركبت تلك الخاطئة من تلقاء نفسها في أحد المحامل التي تقاد في التمثيل، خالية أو ممتلئة بالأطفال الممثّلين للسبيّ، من دون أن تتشبّه بامرأة، ولا جعلها أحد شبيهاً بها، بيد أنّ من يراها يظنّ ذلك، ولم يمض على ركوبها بضع دقائق حتّى أنزلت من المحمل بلا مدافعة منها؛ لأنّها لم تعرف أنّ ركوب مثلها من الأمور الشائنة»[١].

(٦) قال الشيخ عبدالمهدي المظفّر (ت١٣٦٣هـ) في كتابه «إرشاد الأمّة للتمسّك بالأئمة» ردّاً على رسالة «التنزيه»:

«ومن غرائبها قوله ص٤: «ومنها: إركاب النساء الهوادج، مكشّفات الوجوه، وتشبيههن ببنات رسول اللّهﷺ، مثل ماجرى في العام الماضي[٢] في البصرة من تشبيه امرأة خاطئة بزينب»[٣] انتهى.

عفوك اللّهم من هذا الاختلاق، كيف علم به حضرة السيّد، حتّى أرسله

(١) النقد النزيه لرسالة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٦:٢٠٨.

وقد كتب في هامش هذه العبارة ما يلي: «نقل ذلك لنا متواتراً ثقات البصريّين، وليت شعري إذا نظر البصري في الرسالة ورأى فيها (جرى ذلك في العام الماضي) وهو يعلم أنّ ذلك غير واقع أصلاً، فماذا يظنّ بالكاتب، وبالأحرى كيف يثق بأقوال العلماء؟!

(٢) أي في سنة ١٣٤٥هـ لأنّ تأليف رسالة التنزيه كان سنة ١٣٤٦هـ.

(٣) رسالة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٥:١٦. وتمام العبارة هي: «ومنها: إركاب النساء الهوادج، مكشّفات الوجوه، وتشبيههنّ ببنات رسول اللّه ﷺ، وهو في نفسه محرّم؛ لما يتضمّنه من الهتك والمثلة، فضلاً عما إذا اشتمل على قبح وشناعة وإركابها حاسرة على ملأ من الناس».

إرسال المسلّمات، ولم نعلم به نحن «و أهل البيت أدرى بما فيه»[(١)].

يعزى ذلك إلى البصرة، ونحن فيها ولم نغب عنها في العام الذي ذكره، ولم نشاهد ذلك ولم نسمعه، ولو صحّ لكنّا أوّل منكر على هذا الفعل الشنيع، الذي تأباه الغيرة والحميّة، و يحظره الشرع الأقدس.

ولكن سوّلت لهذا المصلح وأمثاله نفوسهم أمراً، فصبر جميل واللّه المستعان، وكان الأحرى به قبل سماع هذا الخبر أن يسمع قوله تعالى: ﴿**إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[(٢)].

وكيف ساغ له أن يشين هذه المظاهر الشريفة بالأمور المكذوبة، ويهين شيعة آل محمّدصلّى‌الله‌عليه‌وآله الذين لا قصد لهم إلّا إحياء أمر آل البيتعليهم‌السلام حتّى بذلوا النفيس في سبيل ذكرى الإمام الشهيدعليه‌السلام، مبتغين بذلك مرضاة اللّه تعالى.

وما زال أهل البصرة منذ القدم لايعدون أطوار المواكب العزائية الجارية في المشاهد المقدّسة، وسيجمع اللّه تعالى بينهم وبين السيّد في يوم تنشر فيه الأعمال، وتتضح فيه خفيات السرائر.

ولقد كنّا نحسب أنّه إذا وقف على بعض المؤلفات المبيّنة لبعض ما احتوت عليه رسالته من الخلل، يفطن للسهو الصادر عنه، الذي هو غير معصوم منه، فيراجع الحقّ الذي يزعم أنّه رائده، جرياً على سنن طلاب الحقيقة، سيّما

---

(١) نسبه في بحار الأنوار ٧٨: ٢٧٤ إلى الأئمّة عليهم‌السلام، والظاهر أنّه مقولة.

(٢) الحجرات ٤٩: ٦.

بالنسبة إلى ما يضرّ في عقائد ضعفاء الناس، كما صدر عنه في شأن عصمة النبي صلى الله عليه وآله وآله الطاهرين عليهم السلام.

ولكن ياللأسف لم نجد لما حسبناه أثراً، ولم نسمع له خبراً، وعسى أن تردنا الأنباء بعد حين.

وأنّ حضرة السيّد لم يكن منفرداً بالتهجّم على الشيعة والمظاهر المقدّسة، بل هناك من هو أعظم منه، وهو صاحب «الصولة»[(١)] التي أنكرها كلّ مَن يهمّه أمر أهل البيت الطاهر عليهم السلام»[(٢)]

---

(١) رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل»، للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت١٣٥٨ هـ)، الذي انتهى من تأليفها في الخامس عشر من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٥ هـ ، طبعت في المطبعة الوطنية في العشار في البصرة.

(٢) إرشاد الأمّة للتمسك بالأئمة (المطبوع ضمن هذه المجموعة) ٦:٤٣٦.

تاريخ خروج المواكب العزائيّة في الشوارع والأزقّة وهل يُعدّ عامل تفرقة بين المسلمين؟

(١) في جريدة «الأوقات العراقيّة»، العدد ١٦٦١، الصادرة في البصرة، في الأوّل من شهر محرّم سنة ١٣٤٥، وفي مقالة بعنوان «يوم عاشوراء»، قال السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨هـ) عن خروج المواكب العزائيّة في الشوارع والأزقّة:

«إنّ المواكب هي عامل من عوامل التفرقة، ورمز يشير إليها»[1].

وقال عنها أيضاً: «إنّني استفظع هذه المواكب، كما استفظع أعمال الوهابيين في الحجاز»[2]، أي هدمهم ـ آنذاك ـ لقبور الأئمةعليهم السلام، وبعض الصحابة.

(٢) وقال السيّد القزويني البصري ـ أيضاًـ في رسالته «صولة الحقّ على

---

(١) انظر: «كلمة حول التذكار الحسينيّ» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٩٩، و «نصرة المظلوم» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٤٥٥.

(٢) انظر: «كلمة حول التذكار الحسينيّ» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٣٠١.

جولة الباطل»:

«أمّا مسألة لطم الصدور، فما حرّمته، وما منعته، بل الذي ناديتُ علناً في ذلك بين الناس على المنبر وغيره، بأن يصير ذلك في المأتم؛ وذلك لما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة!! عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل، إلى غير ذلك، فكأنّما بعضهم يلطم على آل الرسول، وبعضهم يلطم على يزيد وشيعته ويُحارب بعضهم بعضاً.

نحن نأسف ونحزن إلى الغاية على مَن يتعب نفسه باللطم لغير الله سبحانه وتعالى، فإنّه لو كان لله لما حصل ما ذكرتُ، نسأله سبحانه التوفيق لفعل طاعاته على وجهها.

ناهيك بما يصدر من جدال وضرب وتقاتل بين أهل اللطم وغيرهم من جهلة فرق المسلمين، فتكثر القتلى والجرحى من الفريقين!! وجميعها ناشئة عن سخافة العقل وشدّة الجهل، ولقد صدر الكثير من هذه الفتن، وحتّى في العام الماضي[١] صدر شيء منها في بغداد، فقُتل من قُتل وحُبس من حُبس.

فاللطم إذاً في المأتم لن يترتّب عليه شيء من هذه، والشريعة المقدّسة والعقل السليم قاضيان بأنّ اللطم محلّه المأتم دون الطرقات، هرباً ممّا بيّنا، فعلى المتديّنين طاعة الشريعة والتمسّك بقولها؛ دفعاً للفتن وصيانة للنفوس»[٢].

---

(١) أي في سنة ١٣٤٤هـ لأنّ تاريخ تأليفه لهذه الرسالة وطبعها ونشرها هو سنة ١٣٤٥هـ.

(٢) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢: ١٧٩-١٨٠.

(٣) نقل الشيخ حسن المظفّر (ت١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم» عن العلاّمة محمد جواد البلاغي النجفي (ت١٣٥٢هـ) قوله:

«وأمّا المواكب اللاطمة في الطرقات، فكانت تتألّف من أهل العلم وغيرهم، وكان السيّد مهدي صاحب «الصولة» يومئذٍ أحد الطلبة اللاطمين جزء الموكب، متجرّداً من ثيابه إلى وسطه، وهو من دون اللادمين مؤتزر فوق ثيابه بإزار أحمر»[١]

(٤) قال الميرزا محمّد حسين الغرويّ النائينيّ (ت ١٣٥٥هـ) في رسالته التي وجّهها إلى أهل البصرة سنة ١٣٤٥هـ ـ كما حكاه عنه الشيخ حسن المظفّر (ت ١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم» ـ:

«خروج المواكب في عشرة عاشوراء ونحوها إلى الطرق والشوارع، ممّا لاشبهة في جوازه ورجحانه، وكونه من أظهر مصاديق ما يُقام به عزاء المظلوم، وأيسر الوسائل لتبليغ الدعوة الحسينيّة إلى كلّ قريب وبعيد.

لكنّ اللازم تنزيه هذا الشعار العظيم عمّا لايليق بعبادة مثله، من غناء، أو استعمال آلات اللهو، أو التدافع في التقدّم أو التأخّر بين أهل محلّتين، ونحو ذلك.

ولو اتّفق شيء من ذلك، فذلك الحرام الواقع في البين هو الحرام، ولا تسري حرمته إلى الموكب العزائيّ، ويكون كالنظر إلى الأجنبيّة حال الصلاة في عدم بطلانها به»[٢].

---

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٤٣٦.

(٢) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٤٤٣.

(٥) قال الميرزا محمّد علي الأردوبادي (ت ١٣٨٠هـ) في رسالته «الكلمات التامّات في المظاهر العزائية لسيّدالشهداء عليه السلام»، في معرض حديثه عن خروج المواكب بحالاتهم المعلومة المشجية واختراقهم السكك والشوارع:

«لا ريب في رجحان ذلك، لاسيّما بعدما تحقّق لديك في أصل اللَّدْم، وأنّه من أعظم ما يُتقرّب به إلى الله زُلفى.

وذكر العلاّمة الشيخ زين العابدين المازندرانيّ في «ذخيرته»: أنّ المشارك معهم، والذي يمضي معهم؛ كلٌّ منهما مثاب ومأجور[1].

هذا مع قطع النظر عن الرقّة والبكاء والإبكاء، فإنّ كلاً منهما مطلوب على حِدَة... إلى آخره.

وعدّ في «شفاء الصدور» ـ ممّا هو مشروع راجح في الشريعة المطهّرة ـ: ما يقع في بلاد الشيعة؛ من المظاهرات يوم عاشوراء.

وعدّ منها: نشر الأعلام، وخروج المواكب، واللطم، والنوح، وأمثال ذلك[2].

وما برح ذلك مطّرداً بين الشيعة منذ عشرة قرون.

وأوّل من سَنّه وأمر به «معزّ الدولة» و«ركن الدولة» البويهيّان، فكانت المواكب تخرج بأمرهما ليلاً ـ ومعهم المشاعل ـ فتعود بغداد وفجاجها ضجّةً واحدةً، راجع «كامل» ابن الأثير[3].

---

(١) ذخيرة المعاد: ٥٣٨.

(٢) شفاء الصدور ٢: ٣٠٩.

(٣) الكامل في التأريخ ٨: ٥٤٩.

فَعَل البُوَيْهِيَّان ذلك والزعامة الدينيّة والوجهة الروحيّة ـ يومئذٍ ـ لعُمُد المذهب ودعائمه: كالشيخ المفيد، والسيّدين(١)، وابن قولويه، وأضراب هؤلاء.

وما كانت الشيعة ـ ملوكُها وسُوقتها(٢) ـ لتعدو لهم إشارة، ولا لتخالف لهم أمراً، وما كانوا ليقرّروهم على الباطل.

والسيّد الرضيّ هو الذي أدخل نفسه في زمرة الأعراب يوم عاشوراء، سنة زيارته لجدّه الحسين عليه السلام ـ وهم يلطمون وينوحون في هجمتهم عَدْواً على الحائر الحسينيّ صلوات الله عليه ـ وأنشأ مقصورته السائرة:

[من الرَّمَل]

كربلا لا زلتِ كرْباً وبَلا   ما لَقِيْ عندكِ آلُ المصطفى(٣)

وبلغني أنّ العلاّمة صاحب «الرياض»(٤) هو الذي نضّد موكب العطّارين بكربلاء ـ المعروف إلى اليوم بحسن النيّة، وشدّة الإخلاص، وإحكام اللّدم حين ظعنهم(٥) وإقامتهم ـ في ليالي عاشوراء.

---

(١) يعني: الرضيّ والمرتضى رحمهما الله.

(٢) السُّوقة: الرعيّة من الناس.

(٣) ديوان الشريف الرضي ١: ٢٠، قالها وهو بالحائر الحسيني يرثي جدّه سيّد الشهداء عليه السلام.

(٤) هو السيّد عليّ بن محمّد بن عليّ الطباطبائي الحائريّ، المتوفّى سنة (١٢٣١هـ) صاحب كتاب «رياض السائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل».

(٥) الظَّعْن: السير.

وكان السيّد ـ بنفسه ـ يحمل المِشْعَل أمامهم، ويلطمُ معهم من العلماء والفضلاءِ عددٌ غير يسير.

وإلى اليوم يختلط معهم ـ من سائر طبقات الناس، وأشرافهم، وطلبة العلم ـ ما لا تُستنزَر عدّتهم.

وكان آية الله العظمى الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ‏قدس‌سره من داره ـ بسامرّاء ـ تخرج مواكبُ اللّطم والتشبيه والقامات ـ بأمره وإشارته، وإعداده ـ ويخترقون الأزقّة، والعُراةُ في موكب اللطم فُضلاءُ أصحابه والعلماءُ بعده.

ثمّ لم تُخْرَم تلك العادة ـ بعد وفاته ـ حتّى عادت سُنّةً متّبعة، والمواكب تخرج كذلك، والمقيم لها: خلَفُهُ الصالح الميرزا علي آغا، وخليفته الناصح: الميرزا محمّد تقيّ الشيرازيّ‏قدس‌سره، وفيهم أنفار يضربون بالسلاسل.

وكان نفس الآغا ومن لاثَ به ـ من المشايخ والصدور ـ يمشون مع المواكب بلا عباء، وربّما خرج معهم الميرزا حيث لم يمنعه ضعف مزاجه.

ولو وقفت موقف النَّصَفة؛ لما وجدت فارقاً بين مواكب اللَّطم، ومواكب الزُّوّار ـ من الأعراب ـ في «هوساتهم»[1] التي ذكر الفاضل الحلّي: أنّ الوحيد البهبهانيّ كان يختلط بهم تزلّفاً إلى الحسين‏عليه‌السلام، وهو مجدّد

(١) مصطلح عراقي، معناه الأهازيج الشعبيّة التي يردّدها الزُّوّار من أبناء جنوب العراق ووسطه.

المذهب في القرن الثالث عشر.

إذا عطفتَ النظر إلى الأمصار جميعاً ـ والمواكب الحسينيّة تَطرُقُ فيها دُورَ العلماء، وهم بين مساعدٍ لهم بمال، ومُنيلهم بإعداد، وناشجٍ[1] ومستعبرٍ معهم ـ علمتَ أنّ أعمالهم تلك لا تبارح مرضاة زعمائهم الدينيّين.

وهذا النجفُ ـ قبّةُ الإسلام ـ الذي هو مثال كلّ جدّ ونشاط في التذكارات الحسينيّة، التي منها هذه المواكب، وما تزل هي بمنتدى ومجمع مع أساطين الدين في دُورِهِم، وفي الصحن المقدّس.

وكان العلاّمة المحقّق الفاضل الشرابيانيّ ـ أيّام رئاسته ـ له موكب خاصّ به، حافل بالفضلاء من أهل العلم، يقدمهم هو رحمه الله، يخرج من داره ويأتي الحضرة العلويّة صلوات الله عليه، ويدور حول الحرم الشريف.

وكذلك المحقّق المدرّس الشهير الحاج الميرزا حبيب الله الرشتيّ، فكان يخرج في موكبه، ويخترق الأزقّة إلى الصحن الشريف.

وكان إذ ذاك لأهل العلم موكب آخر يقدمهم العلويّون، وأمامهم العلاّمة السيّد محمّد بحر العلوم، والسيّد حسين القزوينيّ، ثم بعدهم سائر الطلبة، ويقدمهم العلاّمة الشيخ محمّد طه نجف رحمه الله تعالى.

وكان الشيخ المقدّم الشيخ محمّد حسن آل ياسين يجلس في الفسحة أمام داره بالكاظميّة، فتأتيه المواكب شُرّعاً، وهو يبكي بنُدْبتهم.

ورأيت ـ أنا ـ شيخ فقهاء عصره، شيخ الشريعة الأصفهانيّ قدس سره أمام

---

(١) نَشَجَ الباكي: غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

موكب العلماء ليلة عاشوراء في النجف الأشرف.

لا أُطيل المقام بتعداد الأسماء والأفعال، وإنّما ذكرت هذه النبذة إعلاماً بأنّ خروج المواكب ما برح ـ منذ أُسّس ـ على طريقٍ مَهْيَع عند العلماء، وأساطين الدين.

ولا أحسب أنّ ذا مُسْكة[١] يحكّم ـ في أصله ـ على أصالة الإباحة شيئاً، ولا فيه ـ بالعناوين الثانويّة ـ على تأكّد الاستحباب حكماً»[٢].

وقال في موضع آخر من رسالته هذه:

«إنّ الباحث عن تواريخ الأُمم والقرون يجد في تاريخ أخريات القرن الرابع من «كامل ابن الأثير»[٣]، أن معزّ الدولة وركن الدولة البويهيّين هما المؤسّسان لتنضيد المواكب، وكانت الشيعة قبلهما تَرْسَفُ في قيود الأسر، قد تحكّمت فيها وطأة العباسيّين، وقبلهم الأمويّين، لايتسنّى لهم من التذكارات الحسينيّة إلّا المآتم السرّية.

ثمّ لمّا انحلّ عنهم عقال الضغط والاضطهاد ـ بفضل استفحال أمر الديالمة، واستئصال شأفة العباسيّين، وقوّة شكيمة الفاطميين بمصر، ونبوغ رجال دينيّين منهم ـ رأوا أنّ من المحتمّ عليهم إقامة تلك الشعائر ـ بثاً للدعوة،

---

(١) المُسْكة: العقل.

(٢) الكلمات التامّات في المظاهر العزائية لسيّد الشهداء عليه السلام (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٣: ٤٩-٥٣.

(٣) الكامل في التاريخ ٨: ٥٤٩.

وتعميماً للنهضة، وإقامة للمذهب، وإشهاراً للأمر ـ عبر العناوين اللازمة لها، المندوب إلى كلٍّ منها في الشريعة المقدّسة.

فما برح الأمر كذلك، حتّى تَسَنَّم أريكة الملك ذَوُوها، من آل محمّد صلى الله عليه وآله «الصفويّون»، وما كانوا ـ يوم ظعنهم وإقامتهم ـ يَعْدُونَ للعلماء أمراً، ولا يتخطّون للشَّرع إشارة.

وكان قد نبغ ـ بفضل إعدادهم ومساعيهم ـ رجالٌ مصلحون، فنشر هؤلاء وأولئك من مآثر العترة الطاهرة ما كان سَتَرهُ عداء المتغلّبين، ومنها هذه المواكب الحسينيّة»[(١)].

(٦) قال الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة»:

«أمّا الحكم الشرعي في تلك المظاهرات والمواكب، فلا إشكال في أنّ اللطم على الصدور، وضرب السلاسل على الظهور، وخروج الجماعات في الشوارع والطرقات بالمشاعل والأعلام مباحة مشروعة، بل راجحة مستحبّة، وهي وسيلة من الوسائل الحسينيّة، وباب من أبواب سفينة النجاة»[(٢)].

وقال في موضع آخر من رسالته هذه:

«بزغت شمس هذه الحقيقة المكنونة من عهد يناهز الألف سنة، أعني من زمن معزّ الدولة وركن الدولة، حيث أمرا بخروج مواكب العزاء، يندبون

---

(١) الكلمات التامّات (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٣:١٠٥-١٠٦.

(٢) المواكب الحسينيّة المطبوعة ضمن الآيات البيّنات (في هذه المجموعة) ٣:١٣٦.

سيّدالشهداء سلام الله عليه، وبأيديهم المشاعل ليلاً، حتّى تعود بغداد وطرقاتها ضجّة واحدة، وذلك في أُخريات القرن الرابع، على ما ذكره ابن الأثير في كامله في مواضع[(١)].

وكان ذلك العصر الزاهي، حافلاً بأكابر علماء مذهب الإماميّة: كالشيخ المفيد وابن قولويه، والسيّدين الإمامين المرتضى والرضي نوّر الله مراقدهم، وكان ملوك آل بويه قيد إشارة أُولئك الأساطين ورهن أوامرهم ونواهيهم.

وحسبك ما شاع وأخذ بمجامع الأسماع من أنّ السيّد الرضيّ ورد لزيارة جدّه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في بعض السنين، فرأى جماعة من الأعراب يعدون[(٢)]، وهم ينوحون ويلطمون متهافتين للهجوم على الحائر الحسينيّ، فدخل في زمرتهم، وأنشأ في ذلك الحال على البديهة قصيدته الغرّاء المشهورة التي يقول في براعتها:

كربلا لا زلت كرباً وبلا   ما لقي عندك آل المصطفى

ولولا خروج المواكب في الطرقات لبطلت الغاية، وفسدت الثمرة، وانتفى الغرض المهم من التذكار الحسينيّ، بل ومن الشهادة الحسينيّة، كما يعرفه كلّ متعمّق في الأسرار.

وأمّا ترتّب بعض المحرّمات عليه من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة،

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ ٨:٥٤٩، ذكر عدّة حوادث سنة ٣٥٢، و ٨:٦٠٠، حوادث سنة ٣٥٨هـ

(٢) أتاه عَدْواً: وهو مقارب الهرولة ودون الجري: تاج العروس ١٩:٦٥٨ «عدو».

فذلك لايستوجب حرمة الخروج الراجح، فإنّ حرمة الشيء لاتوجب حرمة ما يقع فيه، مَن تغّنى في القرآن لايقال له: إنّ قراءة القرآن حرام، بل التغّني بالقرآن حرام، فليس الخروج حراماً، بل المضاربة والمقاتلة محرّمة أينما كانت»[1].

وقال في مكان آخر من هذه الرسالة:

«ولعمر الله والحقّ، إنّ تعطيل تلك المظاهرات والمواكب لايلبث رويداً حتّى يعود ذريعة إلى سدّ أبواب المآتم الحسينيّة، وعندها ـ لاسمح الله ـ لايبقى للشيعة أثر ولا عين، ولتذهبنّ الشيعة ذهاب أمس الدابر، فإنّ الجامعة الوحيدة والرابطة الوثيقة لها هي المنابر الحسينيّة والمآثر العلويّة.

وما تلك الهنابث[2] والوساوس إلّا من جرّاء هاتيك الدسائس، نزعة أمويّة ونزغة وهّابيّة، يريدون إحياء ذكر بني أُميّة وإزهاق الحقيقة المحمديّة **﴿وَيَأْبَى اللّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**[3].

ويحسن هنا أن نورد لك ما ذكره جدّنا الشيخ الأكبر في كتاب «كشف الغطاء» فإنّه قد أحرز جوامع التحقيق، وتكفّل بإيصالك إلى الحقيقة من أقرب

(١) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣:١٤٦-١٥١.

(٢) الهنابث: الأُمور والأخبار المختلطة، يقال: وقع بين الناس هنابث، وهي أُمور وهنّات، لسان العرب ٢: ١٩٨ «هنبث».

(٣) التوبة (٩): ٣٢.

طريق، قالقدس سره ما نصه:

«وأمّا بعض الأعمال الراجعة إلى الشرع، ولا دليل عليها بالخصوص، فلا تخلو من أن تدخل في عموم الدليل، ويقصد بالإتيان بها الموافقة من جهته، لا من جهة الخصوصيّة، كقول: أشهد أنّ عليّاً وليّ الله، لا بقصد الخصوصيّة ولا بقصد النصوصيّة؛ لأنّهما معاً تشريع، بل بقصد الرجحان الذاتي أو الرجحان الفرضي؛ لما ورد من استحباب ذكر اسم علي متى ذكر اسم النبيّ[1].

---

(١) منها ما عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام، قال: «إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق العرش كتب عليه: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الماء كتب في مجراه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الكرسي كتب على قوائمه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ اللوح كتب فيه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله إسرافيل كتب على جبهته: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله جبرائيل كتب على جناحيه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ السماوات كتب في أكنافها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الجبال كتب في رؤوسها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الشمس كتب عليها: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ القمر كتب عليه: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. وهو السواد الذي ترونه في القمر فإذا قال أحدكم: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فليقل: علي أمير المؤمنينعليه السلام».

⇦

إلى أن قال: «وكما يصنع في مقام تعزية الحسينعليه السلام من دقّ طبل إعلام، أو ضرب نحاس، وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور؛ ليكثر

⇨

الاحتجاج ١: ٢٣١، أفضل منقبة لعليعليه السلام.

ومنها: ما عن أنس، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لمّا عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمّد رسول الله أيّدته بعلي نصرته بعلي»، أخرجه الحاكم في شواهد التنزيل ١: ٢٩٤، حديث ٣٠٠، وقريب منه ما في كنز العمّال ١١: ٦٢٤، حديث ٣٣٠٤٠، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٢٠٠، من إسناد هبار بن الأسود، وفي نظم درر السمطين: ١٢٠، مناقب الإمام أمير المؤمنين، وأمالي الصدوق: ٢٤٨، حديث ٣١٢.

ومنها ما عن فاطمة الزهراءعليها السلام، قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا عرج بي إلى السماء صرت إلى سدرة المنتهى ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾، النجم (٥٣):٩، فأبصرته بقلبي ولم أره بعيني، فسمعت أذاناً مثنى مثنى وإقامة وتراً وتراً، فسمعت منادياً ينادي: يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشيء اشهدوا أنّي لا إله إلّا أنا وحدي لا شريك لي، قالوا: شهدنا وأقررنا.

قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأنّ محمّداً عبدي ورسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا.

قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكّان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأنّ علياً وليي وولي رسولي وولي المؤمنين بعد رسولي، قالوا: شهدنا وأقررنا». تفسير فرات الكوفي: ٣٤٣، حديث ٤٦٨.

ومنها: ما رواه الكليني عن ابن طريف، عن أبي عبد اللهعليه السلام، قال: «إنّا أوّل أهل بيت نوّه الله بأسمائنا، إنّه لمّا خلق السماوات والأرض أمر منادياً فنادى أشهد أن لا إله إلّا الله ـ ثلاثاً ـ أشهد أن محمّداً رسول الله ـ ثلاثاً ـ أشهد أن علياً أمير المؤمنين حقّاً ـ ثلاثاً ـ»، الكافي ١: ٤٤١، حديث ٧، باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته.

البكاء والعويل». ثمّ ختم الفصل بقوله: «وجميع ما ذكر وما يشابهه إن قصد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإنّ لوحظ فيه الرجحانيّة من جهة العموم فلابأس فيه»[1] انتهى.

ولكنّك عرفت ممّا قدّمناه أنّ بعض تلك الأُمور قد وردت فيها نصوص بالخصوص، مثل اللطم واللدم، فضلاً عن البكاء والعويل»[2].

(٧) قال الشيخ عبدالرضا كاشف الغطاء (ت١٣٨٧هـ) في كتابه «الأنوار الحسينيّة»:

ولعمر الحقّ، إنّ اختراق المواكب المحزنة المشجية في الطرقات والجماعات النائحة اللاطمة على الرؤوس والصدور، من الأعمال المندوبة والشعائر المحبوبة، وإنّما التجوّل في الأزقة والشوارع أبلغ في إظهار الحزن من البكاء والجزع واللطم واللدم بين جدران البيوت وإن تجاوزت حدود الآداب، غير أنّ ذلك لا يوجب تحريم التجوّل في السبل والمذاهب.

ولكنّ الواجب على محبّ الإصلاح أن يتحرّى مواضع النقص من تلك الأعمال الشريفة، ثمّ يسعى جهده في إصلاحها بكلّ ما أوتيه من قوّة ورباطة جأش، وليس له في أيّة شريعة سماويّة أو وضعيّة أن يقذفها بالكراهة بل التحريم، أو يكون سبباً لهتكها على صفحات الجرائد، سيّما وأنّ القيام بتلك الأعمال من القيام بواجب (المودّة) في (القربى)، ومن الحزن والمواساة لهم، كما تقدّم سالف الذكر بصحيفة ٥ من هذه الرسالة في الجزء الأول.

---

(١) كشف الغطاء ١: ٥٣ ـ ٥٤، المقام الثاني: فيما يتعلّق بجملة العبادات بالمعنى الأخص.

(٢) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣:١٥٧-١٥٩.

ولو أراد الشيعة أن يحبسوا اللطم بين جدران البيوت وحيطان الدور، لخسروا أكثر أغراضهم التي يرمون إليها من وراء تلك المظاهرات الدينيّة، فإذن لا اعتبار لمنعها كما تقدّم لك سالف الذكر.

على أنّ السيرة المستمرة منذ زمن آل بويه على مشهد ومسمع من أكابر أهل الدين، غير متبرّئين ولا منكرين، وبالأخص إذا جعل الوجه في منعه سخرية بعض المتفرّجين من أولئك اللاطمين، فإنّ سخرية الأغيار لو صحّ لنا أن نتخذها وجهاً للمنع عن كثير من العبادات التي يسخر منها مَن لا يعرفها من الأجانب، لاسيما مثل الحجّ الذي لا يكاد يعزب عن فكر المانع ما يوجد به من الأعمال المستغربة التي لا يمكن لشخص ما أن يقف على حكمها الكبيرة والصغيرة.

وليس الحجّ إلّا طواف حول بنية، وسعي وهرولة بين رابيتين، ووقوف على جبل، وهبوط في وادي، ورمي أحجار على أحجار، في هيئة مقرحة: من كشف الرؤوس لحرّ الشمس، وتوفّر الشعر، وعرى البدن إلّا على نحو إزار ورداء.

ولا شكّ أنّ غير العارف برموزها وحكمها وأسرارها يستهزئ بها، ويعدّها ضرباً من الجنون والتوحّش، أفهل يصلح للعارف برموزها أن يمنع الرجل المسلم عن الحجّ، أو عن التظاهر بشيء من عباداته المشروعة بما يجلبه عليه من سخرية الأعداء واستهزاء الغرباء؟!

ولقد وقع الاستهزاء جهاراً بتلك المناسك العالية الأسرار الدقيقة الحكم، والسخرية بها من قبل الماديّين الأقدمين، كعبد الكريم ابن أبي العوجاء وأمثاله، وخلّدت كتب الحديث إنكارهم والاستهزاء بالحجّ بخصوصه على الإمام الصادقعليه السلام وإنكار المتأخّرين أظهر من ذلك.

وناهيك الكتب المؤلّفة منهم للاستهزاء بالحجّ بخصوصه أيضاً، كيف والأنبياءعليهم السلام لم ينهضوا بنشر دعوتهم الإلهيّة إلّا بين هزو المستهزئين وسخرية المستسخرين.

وما من ملّة على وجه الأرض إلّا ولها من الأعمال والشعائر ما تسخر منه سائر الملل الأُخرى، فهل بلغك لحدّ اليوم أنّ ملّة من تلك الملل أضربت عن القيام بشيء من أعمالها وشعائرها فراراً من سخرية الآخرين واستهزائهم؟!

وهذا لا يقتضي رفض الرسم الديني أو المذهبي أو غيرهما بين أهله، سيّما مثل الحزن والبكاء والمواكب اللاطمة والمتجوّلة والتمثيل الذي تجتني الشيعة من فوائده.

ولعمري ما استهزاء الأجانب وغيرهم إلّا كاستهزاء قريش وسائر مشركي العرب بصلاة رسول اللهصلى الله عليه وآله، التي لم يعرفوا أسرارها ولم يذوقوا ثمارها، أفهل كان يلزمه أن يتركها وهي من شعائر دينه؟!

إنّ قريشاً لمّا سمعوا الإعلان بالأذان يوم فتح مكّة أنكروه وعدّوه فعلاً همجياً وشبّهوه بنهيق الحمار؛ لارتفاعه وعلوّه، وزعموا أن لو كان أخفض من ذلك لكان أقرب إلى الوقار.

إذاً لماذا لانثبت من المبدأ أمام أُولئك الأجلاف، ثمّ نقول لهم كما قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿ **إِن تَسخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسخَرُ مِنكُم كَمَا تَسخَرُونَ** ﴾»[١] [٢]

(٨) قال الشيخ عبدالحسين صادق العامليّ (ت ١٣٦١هـ) في رسالته «سيماء الصلحاء»، ردّاً على مدّعي أنّ مجالس العزاء وخروج المواكب تسبّب فوضى بين الناس:

قالوا: إنّ اجتماع الآلاف المؤلّفة للمأتم العاشوري في أيّ بلدة ومكان هو مظنّة لوقوع البوادر التي لا ينجلي قسطلُها[٣] عن أقل من عشراتٍ معطوبين، وما سفك الدماء بينهم ببعيد، وهناك الطامّة الكبرى التي يختلط فيها الحابل بالنابل، ويؤخذ البريء بجرم الجاني، وليس لهذا الاجتماع المخلّ بالأمن والراحة إلّا صدور الأمر من أولياء الأمور ببعثرة ذلك الجمع، وتشتيت شمله؛ لأنّه غير جار على قاعدة شرعية، ولا منتظم في سلك ديني، إن هو إلّا أحدوثة منكرة، وأنشوطة عقدتها أيدي الجهلة، يرفضها العلم والعلماء، ويأباها الدين والمتدينون.

---

(١) هود (١١): ٣٨.

(٢) الأنوار الحسينيّة والشعائر الإسلامية (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣: ٢٨٣-٢٨٦.

(٣) القسطل: الغبار. كتاب العين ٥: ٢٥٠، «قسطل».

أقــول: الاجتماعـات اللهويـة والعُرسـية والاسـتقبالية التـي تغـص بهـا الرّحب والباحات والشوارع بالشبان الجهلة، المدججة بالسلاح، التـي تنسـلّ من كـلّ فـجّ عميـق برايـات لهـا منشـورة، وطبـول داويـة، وأبـواق صـائحة، ومزاميـر صـادحة[1]، وأناشـيد حماسـية عاليـة، ليسـت بمظنّـة لبـادر بـادرة، وحدوث حادثة، بل الأمن بها سائد، والسلامة محرزة، والاطمئنان مخيّم!

وليس كذلك اجتماع شيعة جلّها شـيبة وكهـول، يجيئـون مـن قـراهم المعرّاة عن من يحسـن فيهـا قـراءة التعزيـة إلـى محـل المـأتي كئيبـين علـى سكينة ووقار، خاشعة أبصارهم تـرهقهم ذلّـة الحـزن، وتعلـو جبـاههم سـمة الكآبة، لا تسمع لهم حسيسـاً ولا تهجـس لهـم ركـزاً[2]، قـد قـادهم الوجـد المبـرح، والحـب الصـميمي، والإخـلاص القلبـي لأهـل البيـت أن يحضـروا فيسمعوا المناحة على سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، ويجهشوا بالبكاء، أفهـؤلاء تلتهب منهم نار الفتن، ويطغى طوفان الضرر، ويقفون حجر عثرة فـي سـبيل الأمن، وشوك قتادة[3] في عين السلم؟! غفرانك اللّهم هذا إفك عظيم.

ما عهدنا ولا آباؤنا من قبل أنّ الشـيعة التـي تحتشـد لإقامـة عـزاء أبـي عبد الله تصدر فيها بينهم بواعث شر، أو حوادث ضُرّ، فمن أعجب العجائب طلبهم من الحكومة ـ أهل السلطة وذوي الإمـرة ـ أن يمنعـوا هـذا الاجتمـاع

(١) الصدح: شدّة الصوت وحدّته. لسان العرب ٢: ٥٠٩، «صدح».

(٢) الركز: الصوت الخفي. الصحاح ٣: ٨٨٠، «ركز».

(٣) القتاد: شجر له شوك، والواحدة قتادة. كتاب العين ٥: ١١٢، «قتد».

الديني الذي لم يختلف شيعيان بأنّه من شعائر الدين، ومعالم الإسلام، ومن أهم ما تعتقده الإمامية مشروعاً حسناً عظيم الأجر جزيل الثواب.

فدعوى أنّ العلم والعلماء والدين والديّانين منه براء من كبائر الافتراء، والحكومة الحاضرة تعرف ذلك حقّ المعرفة، فلا يُغشي على علمها ذلك الإيهام العنكبوتي، والخيال السرابي، حتّى تلبّي طلبهم وتصدّق دعواهم وهي مينٌ[1] محض وباطل بحت»[2].

(٩) قالت المستشرقة الفرنسيّة سابرينا مرون (معاصرة) في كتابها «وقوف رجال الدين الإصلاحيين في لبنان أمام تحريف واقعة عاشوراء».

«وقد قدّم أحمد شاكر الآلوسي ـ الذي كان من العوائل السنيّة المعروفة ـ تقريراً سنة ١٩٠٧، خاطب فيه الحكومة العثمانيّة، بادياً استياءه من الشيعة، ومؤكداً على ضرورة منعهم عن هذه الممارسات؛ لأنّها سبب لإثارة الناس»[3].

---

(١) المين: الكذب. كتاب العين ٨: ٣٨٨، «مين».

(٢) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٤:٤٣٣-٤٣٥.

(٣) وقوف رجال الدين الإصلاحيين في لبنان...(المطبوع ضمن هذه المجموعة) ٧:٣٥٤.

السيّد الطباطبائي مؤسّس موكب العطّارين
في كربلاء المقدّسة

(١) قال السيّد مرتضى ابن السيّد علي الداماد (القرن الرابع عشر) في كتابه «الأعلام الحسينيّة»:

«كما كان يفعل صاحب «الرياض» ـ جعل الله قبره روضة من رياض الجنّة ـ الذي أمر بتأسيس مواكب العزاء لدى العطّارين في كربلاء المقدّسة، وكان هو بنفسه يحمل مشعل الموكب».

وقد حاز أعمدة الدين المبين ورؤساؤه المراتب العالية في دار الدنيا، والدرجات الرفيعة في الأخرى؛ لعلمهم واتباعهم أوامر سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله، حيث قال: ويجدّدون في العزاء جيلاً بعد جيل»[1]

(٢) قال الميرزا محمّد علي الغروي الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ) في رسالته «الكلمات التامّات في المظاهر العزائيّة لسيّدالشهداء عليه السلام»:

---

(١) الأعلام الحسينيّة (المطبوع ضمن هذه المجموعة) ٤: ١٩.

«وبلغني أنّ العلاّمة صاحب «الرياض» هو الذي نضّد موكب العطّارين بكربلاء ـ المعروف إلى اليوم بحُسن النيّة، وشدّة الإخلاص، وإحكام اللّدم حين ظعنهم وإقامتهم ـ في ليالي عاشوراء.

وكان السيّد بنفسه يحمل المشعل أمامهم، ويلطم معهم من العلماء والفضلاء عددٌ غير يسير.

وإلى اليوم يختلط معهم ـ من سائر طبقات الناس وأشرافهم وطلبة العلم ـ ما لا تُستتر عدّتهم»[1]

وصاحب «الرياض» هو السيّد مير علي بن محمّد علي ابن أبي المعالي ـ الشهير بالصغير ـ ابن أبي المعالي الكبير الطباطبائي، ابن اخت العلاّمة الوحيد البهبهاني وصهره على ابنته، تلمذ عليه وتربّى في حجره، قال عنه الحائري في منتهى المقال: ثقة عالم عرّيف وفقيه فاضل غطريف، جليل القدر، وحيد العصر، حسن الخلق عظيم الحلم.

له مؤلّفات، أشهرها «رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل»، حين جمع فيه جميع أبواب الفقه من الطهارة إلى الدّيات.

انتهت إليه رئاسة المرجعيّة بعد وفاة خاله الوحيد البهبهاني، ولد في الكاظميّة سنة ١١٦١هـ وتوفّي في الحائر الحسينيّ سنة ١٢٣١هـ، ودفن في الرواق المشرقي في الحضرة الحسينيّة المقدّسة قريباً من قبر خاله.

---

(١) الكلمات التامّات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداء عليه السلام (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٥٠.

انظر: روضات الجنّات ٤:٣٩٩ برقم ٤٢٢، منتهى المقال ٥:٦٣ برقم ٢١٠١، أعيان الشيعة ٨:٣١٤.

كلام الدكتور جوزف الفرنسي والمسيو ماربين الألماني

استشهد بعض الأعلام في الرسائل المطبوعة في هذه المجموعة، بكلام بعض المستشرقين الأجانب، الذين ألّفوا رسائل عدّة عن الشعائر الحسينيّة ودورها في توعية الأمّة وتثقيفها، منهم الدكتور جوزف الفرنسي، والمسيو ماربين الألماني.

ونحن نورد هنا نصّاً واحداً لهما، ذكره الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي (ت١٣٩٨هـ) في رسالته «نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء»، ومن أراد المزيد عن كلامهما، وما علّقه الأعلام عليهما، فليراجع رسائل هذه المجموعة.

قال: «وما أدري، وليتني كنت دريت، ما الذي يؤلم أولئك الهاتفين من تلك الشؤون، ولمّا يلطم لهم صدر بين الصدور، أو يقرع لهم ظهر بين الظهور، أو يدم لهم رأس بين الرؤوس؟!

أفلغيرهم تراهم يرثون ويتوجّعون، أم ران[1] على قلوبهم ما كانوا يعملون؟!

عبثاً يحاول أولئك الهاتفون أن يقضوا على ذلك الروح الدينيّ، في الوقت الذي أدركت فيه الطائفة نجاح تلك الأعمال بالنظر إلى مقصدها الأسمى وغايتها الوحيدة التي ترمي إليها من وراء تلك المظاهرات والتمثيلات.

فلقد يحسب الغبيّ أنّ جلّ ما يقصده المتظاهرون من تلك الأعمال ليس إلّا إيلام أجسامهم وأرواحهم، ولم يعلم بأنّ لهم في تلك الأعمال أسراراً ورموزاً تعود عليهم بأكبر الفوائد، وتتقدّم بهم في جميع شؤونهم الأدبيّة والاجتماعيّة والسياسية.

كيف لا، وهذا التذكار الحسيني ليلقي عليهم في كلّ سنة من دروس التضحية والمفاداة في سبيل الحقّ ما يهبط بسعر الحياة في سوقهم الاجتماعيّة إلى درجة الصفر.

حتّى لقد أدرك فلسفة ذلك التذكار كثير من مستشرقي فلاسفة الغرب، وكتبوا عنه في مؤلّفاتهم فصولاً طويلة ومقالات ضافية.

منهم ذلك الدكتور «جوزف» الفرنسوي في كتابه «الإسلام والمسلمون»، فقد ذكر في جملة كلام له مسهب يتعلّق ببيان فلسفة مآتم الحسين عليه السلام وأسرار شهادته عليه السلام ما نصّه مترجماً إلى العربيّة عن الترجمة الفارسيّة بقلم أحد العلماء:

---

(١) الرين: الطبع والدنس، الصحاح ٥: ٢١٢٩ «رين».

«ومن جملة الأمور السياسيّة التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصيغة مذهبية منذ قرون، وجلبت لهم قلب البعيد والقريب، هي قاعدة التمثيل باسم الشبيه في مآتم الحسين عليه السلام.

وقد قرّر حكماء الهند التمثيل لأغراض ليس هذا موضع ذكرها، وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أوربا وأخرجته بعامل السياسة بصورة التفرّج، وصارت تمثّل الأمور المهمّة السياسية في دور التمثيل للخاصّة والعامّة، وجلبت القلوب بسببه، وأصابت بسهم واحد غرضين معاً: تفريج النفوس، وجلب القلوب في الأمور السياسيّة.

والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصيغة دينيّة، ويمكن القول بأنّ الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود.

وكيف كان، فالأثر الذي ينبغي أن يعود من التمثيل، إلى قلوب الخواصّ والعوام، قد عاد.

ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم، وذكر المصائب الواردة في فضل البكاء على مصاب آل محمّد، إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب، تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواصّ هذه الفرقة وعوامها فوق حدّ التصور، وهذا هو السبب الذي أوجب أن لانسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة إلى الآن أنّ ترك بعضهم دين الإسلام أو دخل في سائر الفرق الإسلاميّة.

هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة، في مجالس خصوصيّة وأمكنة معيّنة، وحيث إنّ الفرق الأخرى قلمّا تشترك معهم في المجالس،

اخترعوا تمثيلاً خاصاً، وصاروا يدورون به في الأزقة والشوارع أمام جميع الفرق المختلفة، فتتأثر قلوب جميع الفرق من القريب والبعيد عين الأثر الذي يحصل من التمثيل.

ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجّه الأنظار من الخاصّ والعامّ، حتّى قلّد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلاميّه والهنود واشتركوا معهم في ذلك، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد.

ويغلب على الظنّ أنّ أصول التمثيل بين الشيعة قد تداول من زمن الصفويّة[١] الذين هم أوّل من نال السلطنة بقوّة المذهب، وأجاز العلماء والرؤساء الروحانيّون هذه الأصول.

ومن جملة الأمور التي أوجبت رقيّ هذه الفرقة وشهرتهم في كلّ مكان، هو تعرّفهم، بمعنى أنّ هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوّة والشوكة والاعتبار، بواسطة المآتم والمجالس والشبيه واللطم والدوران، وحمل الألوية والرايات في عزاء الحسين عليه السلام.

ومن الأمور الطبيعيّة المؤيّدة لفرقة الشيعة في تأثير قلوب سائر الفرق، هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم، وهذا التأثير من الأمور الفطرية؛ لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم ويحبّ نصرة الضعيف والمظلوم على القوي، والطبائع

(١) سيأتي منّا أنّه أقدم تاريخاً من ذلك، و أنّه كان متداولاً عند الشيعة منذ المائة الرابعة «المؤلّف».

البشريّة أميل إلى الضعيف والمظلوم ولو كان مبطلاً من الظالم ولو كان محقّاً لاسيما إذا مرّت عليه السنون والأعوام.

وهؤلاء مصنّفو أوربا ـ مع أنّهم لايعتقدون بهم ـ يذعنون بالمظلوميّة لهم، ويعترفون بظلم وتعدّي قاتليهم، وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسماءهم إلّا مشمئزين، وهذه الأمور الطبيعية لايقف أمامها شيء، وهذا السرّ من المؤيّدات الطبيعيّة لفرقة الشيعة».

ومنهم ذاك الحكيم الألماني المسيو «ماربين»، فقد ذكر في جملة كلام له طويل في كتابه «السياسة الإسلاميّة»[1] مانصّه معرّباً عن الترجمة الفارسية أيضاً:

«إنّ عدم معرفة بعض مؤرّخينا بحقيقة الحال، أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون، ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام.

فإنّا لم نر في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الحسين من الحسّيات السياسيّة والثورات المذهبيّة، بسبب إقامة عزاء الحسين.

---

(١) في الذريعة ٢٢: ٢٤: «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام للسيّد ميرزا حسن ابن السيّد علي القزويني... وفي آخره تعريب كلام موسيو ماربين الألماني في فلسفة شهادة الإمام الحسين عليه السلام».

وفي معجم المطبوعات النجفية: ٢١٥: «السياسة الحسينيّة: مسيو ماربين والدكتور جوزيف. المطبعة العلوية سنة ١٣٤٧هـ، بحجم الكفّ، اللغة فارسية، ٥٨ صفحة.

وفي الأعلام للزركلي ٢: ٢٤٣: «وللفيلسوف الألماني ماربين كتاب سمّاه «السياسة الإسلامية» أفاض فيه بوصف استشهاد الحسين».

وكلّ من أمعن النظر في رقيّ شيعة علي، الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم في مدّة مائة سنة، يذعن بأنّهم فازوا بأعظم الرقيّ، فإنّه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة علي والحسين في الهند إلّا ما يعدّ بالأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة من حيث الجمعيّة إذا قيسوا بغيرهم، وكذلك هم في سائر نقاط الأرض.

وإذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهظة والقوّة الهائلة بالشيعة، نرى دعاتنا لم يحظوا بعشر ترقيات هذه الفرقة وإن كانت قسسنا تحزّن القلوب بذكر مصائب المسيح، ولكن لابذلك الشكل والأسلوب المتداول بين شيعة الحسين، ويغلب على الظنّ أنّ سبب ذلك هو أنّ مصائب الحسين أشدّ حزناً وأعظم تأثيراً من مصائب المسيح.

وإنّي اعتقد بأنّ بقاء القانون الإسلامي، وظهور الديانة الإسلاميّة، وترقّي المسلمين هو مسبّب عن قتل الحسين وحدوث تلك الوقائع المحزنة.

وهكذا مانراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة وإباء الضيم ما هو إلّا بواسطة عزاء الحسين، وما دامت في المسلمين هذه الملكة والصفة لايقبلون ذلاً ولا يدخلون في أسر أحد.

ينبغي لنا أن ندقّق النظر في ما يذكر من النكات الدقيقة الحيويّة في مجالس إقامة العزاء، ولقد حضرت دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين في إسلامبول مع مترجم، فسمعتهم يقولون:

الحسين الذي كان إمامنا ومقتدانا، ومن تجب طاعته ومتابعته علينا، لم يتحمّل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد، وجاد بنفسه وعياله وأولاده وأمواله في سبيل حفظ شرفه، وعلوّ حسبه ومقامه، وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا، والشفاعة يوم القيامة، والقرب من اللّه، وأعداؤه قد خسروا الدنيا والآخرة.

فرأيت وبعد ذلك علمت أنّهم في الحقيقة يدرّس بعضهم بعضاً علناً، بأنّكم إن كنتم شيعة الحسين وأصحاب شرف، إن كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، لا تحملوا الذلّ، بل اختاروا الموت بعزّة عن الحياة بذلة، حتّى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة، وتحظوا بالفلاح.

ومن المعلوم حال الأمّة التي تلقى إليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللحد، في أيّ درجة تكون من الملكات العظيمة والسجايا العالية.

نعم هكذا أمّة تحوي كلّ نوع من أنواع السعادة والشرف، ويكون جميع أفرادها جنداً مدافعين عن عزّهم وشرفهم، هذا هو التمدّن الحقيقي اليوم، هذا هو طريق تعليم الحقوق، هذا هو معنى تدريس أصول السياسة».

هذا ما ذكره ذانك المستشرقان الغربيّان عن فلسفة تلك المظاهرات العزائيّة، التي تقوم بها الطائفة الشيعيّة من عام إلى آخر، تذكاراً لذلك الإمام الشهيد.

وأنت ترى أنّهما قد فطنا إلى كثير من أسرارها الخفيّة، ورموزها المختبئة حتّى عن كثير من أبنائها وأصدقائها.

وليت فلاسفتنا الأقربين قد أدركوا ولو طرفاً يسيراً ممّا أدركه أولئك الفلاسفة الأبعدون، كي يعلموا بأنّ تلك المظاهرات هي من أهمّ المقدّسات الطائفيّة والنواميس المذهبيّة التي لايمكن القضاء عليها بقوّة التمويه مهما أفرغ عليه من مبرقشات[١] الثياب.

وأنّى للممّوهين أن يقضوا على عادة يمتدّ بها التاريخ منذ عهد البويهيين إلى اليوم؟!

أي منذ عشرة قرون تقريباً، كما يرشدك إلى ذلك ابن الأثير، في ما ذكره من حوادث بعض السنين على عهد ملوك آل بويه في المائة الرابعة[٢].

---

(١) البرقشة: شبه تنقيش بألوان شتّى، تاج العروس ٩: ٦٠، «برقش».

(٢) قال: «في هذه السنة ٣٥٢ هـ عاشر المحرّم أمر معزّ الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن تخرج النساء، منشّرات الشعور، مسوّدات الوجوه، قد شققن ثيابهنّ، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههنّ على الحسين بن علي رضي اللّه عنهما.

ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنيّة قدرة على المنع منه، لكثرة الشيعة، ولأنّ السلطان معهم» الكامل في التاريخ ٨: ٥٤٩، ذكر عدّة حوادث في سنة ٣٥٢ هـ.

وقال في موضع آخر: «في هذه السنة ٣٥٣ عاشر المحرّم أغلقت الأسواق في بغداد يوم عاشوراء، و فعل الناس ما تقدّم ذكره، فثارت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنية جرح فيها كثير ونهبت الأموال» المصدر السابق، ذكر عدّة حوادث لسنة ٣٥٣.

ويقول في حوادث السنة ٣٥٨: «في هذه السنة عاشر المحرّم عمل أهل بغداد ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق وتعطيل المعايش وإظهار النوح والمآتم بسبب الحسين بن علي رضوان اللّه عليهما.

ومن ذلك تعرف أنّ الإنكار على تلك العادة بكلمة «لم تكن» لم ينبعث في الحقيقة إلّا عن الجهل بالتاريخ، ولا ريب أنّ تلك الكلمة لم تدخل العراق إلّا عن طريق نجد، الذي اعتاد الإنكار بها على أيّ عمل مستحدث، بالرغم ممّا عليه طريقة عامة المسلمين وكافة أهل الدين ـ إلّا من شذَّ ـ من التمسّك بالبراءة في كلّ مشتبه الحكم إلى أن يقوم الدليل على تحريمه»[١].

(١) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٥٨.

شهداء الوطن، وجان دَرْك

ذكر الشيخ محمّد الگنجي (ت١٣٦٠هـ تقريباً) في رسالته «كشف التمويه عن رسالة التنزيه» ـ التي دافع فيها عن آراء السيّد محسن الأمين في إصلاح الشعائر الحسينيّة ـ كلام السيّد الأمين في كتابه «إقناع اللائم في إقام المآتم»، الذي أكّد فيه على ضرورة إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، كما يقوم الكثير من الأمم الأُخرى بإحياء ذكرى أبطالها، واستشهد على ذلك بـ«شهداء الوطن»، في سوريا والفتاة الفرنسيّة «جاك درك»، إذ قال:

الفصل الخامس[1]: في الإشارة إلى ما في هذه المآتم من الفوائد الدينيّة الدنيويّة التي اعترف بها كافّة العقلاء، إلّا من أعماه الهوى والغرض.

ولذلك اتّفق عليه العقلاء كافّة على تجديد الذكرى لعظمائهم في كلّ عام، والاهتمام بها على قدر عظم الشخص الذي تعمل لأجله.

وقد أُقيمت في دمشق وسائر بلاد سوريا ـ ونحن نشتغل بهذا الكتاب ـ

---

(١) إقناع اللائم في إقامة المآتم: ٣٠٥.

حفلة تذكاراً لمن يسمّونهم شهداء الوطن[١]، الذين صلبهم جمال باشا[٢] في عهد الدولة العثمانية وإبّان الحرب العموميّة؛ وذلك لأنّهم سعوا في تحرير الوطن وتخليصه من ظلم الأتراك وإن كانت عاقبة أعمالهم ما هو معلوم، فأُقيمت لهم شعائر الحزن، وأُنشدت في رثائهم وتأبينهم القصائد، وتُليت الخطب، وصارت المواكب تحمل شارات الحزن.

وإنّا لنكتب هذه السطور ونحن نسمع قصف المدافع بدمشق لذكرى مقتل «جان درك»[٣] الفتاة الفرنسيّة التي قُتلت في سبيل وطن قومها وأُحرقت حيّة، كما مرَّ في الفصل الثالث[٤].

ومن عهد غير بعيد قامت ضجّة في مجلس الصلح بين الدول، طلبَ فيها الإنجليز من الأتراك تملّك الأرض التي دفنت فيها قتلاهم بجنب الدردنيل[٥]،

---

(١) منهم: عبدالحميد الزهراوي (١٨٧١ ـ ١٩١٦) م، وجلال بن سليم البخاري (١٨٩٠ ـ ١٩١٦م).

(٢) جمال باشا: هو القائد العامّ للجيش العثماني الرابع الذي اشتهر في بلاد الشام في أيّام العرب الكبرى بإعدام أعيان وأدباء كثيرين؛ لاتّهامهم بالخيانة للدولة العثمانية.
معجم المطبوعات العربيّة ١: ٧٠٥.

(٣) جان دَرْك، وتُعرف بلابوسل، وسيّدة أرليان: بطلة فرنسويّة، ولدت في دومرمي سنة ١٤١١ م، وأُحرقت في رون في ٢١ أيار سنة ١٤٣٠ م.
دائرة المعارف لبطرس البستاني ٦: ٣٦٠.

(٤) إقناع اللائم في إقامة المآتم : ٢٩١.

(٥) الدردنيل، ويُعرف بالتركية «قلعة سلطانية بوغازي»، كان قديماً يُعرف باسم «هلسبونت» مجاز يصل بحر الأرخبيل ببحر مرمرة، ويفصل أوربّا عن آسيا. دائرة المعارف الإسلامية ٩: ١٩٢.

ولم يبرموا معاهدة الصلح حتّى أعطوهم ذلك، كما مرّ في الفصل الثالث أيضا[١].

وتعداد ما هو من هذا القبيل يوجب طول الكلام.

ومحافظة عقلاء الأمم على ذلك ليس إلاّ لما علموه فيه من الفوائد، وأيّ عظيم في أُمّة قام بمثل ما قام به الحسين بن علي عليه السلام من الأعمال العظيمة؛ لإقامة الحقّ، وإماتة الباطل، وهدم ما أسّسه الظالمون لهدم الدين الإسلامي، وقاوم الظلم والاستبداد بأقوى الوسائل.

فلو أنصف جميع المسلمين ما تعدّوا خطة الشيعة في هذه المآتم التي اعترف بعظيم فوائدها عقلاء الأُمم ومفكّروهم، كما ستعرف عند نقل كلام جوزيف الإفرنسي[٢] وماربين الألماني[٣].

---

(١) إقناع اللائم في إقامة المآتم: ٢٩١.

(٢) في معجم المطبوعات النجفيّة: ٢١٥: «السياسة الحسينيّة: مسيو ماربين ودكتورجوزيف. المطبعة العلويّة سنة ١٣٤٧ هـ بحجم الكفّ، اللغة فارسيّة، ٥٨ صفحة».

(٣) في الذريعة ٢٢: ٢٤: «مقتل أبي عبداللّه الحسين عليه السلام للسيّد ميرزا حسن ابن السيّد علي القزويني... وفي آخره تعريب كلام موسيو ماربين الألماني في فلسفة شهادة الحسين عليه السلام».

وفي الأعلام للزركلي ٢: ٢٤٣: «وللفيلسوف الألماني ماربين كتاب سمّاه (السياسة الإسلاميّة) أفاض فيه بوصف استشهاد الحسين».

اعتراض ابن باشى العسكر على المواكب العزائيّة

(١) قال الشيخ عبدالله المامقاني (ت١٣٥١هـ) في رسالته «المواكب الحسينيّة»:

«وقد اعترض منذ ثلاثين سنة[١] تقريباً ابن باشى العسكر، على جمعٍ كانوا يلطمون على الصدور في صحن مولانا سيّد الشهداء أرواحنا فداه: بأنّه ما هذه الغوغاء في المجامع والطرقات، وما غرضكم بذلك؟!

فرأى أنّه إن أجاب: بأنّا نطلب بذلك الأجر؛ لاحتاج إلى إثبات أنّ فيه أجراً، ولايمكنه ذلك في تلك الحال، فقال: إنّا لمّا وجدناكم أنكرتم وقعة الغدير على تواترها عندكم، التزمنا بالغوغاء في هذه الوقعة في المجامع والشوارع؛ كي لايسعكم إنكار وقوع هذا اللطم العظيم من يزيد لعنه الله، ولو كنّا نلتزم في وقعة الغدير بمثله لما وسعكم إنكارها»[٢].

(١) أي في سنة ١٣١٥هـ تقريباً؛ لأنّ تأريخ تأليف هذه الرسالة هو سنة ١٣٤٥هـ كما مثبت في آخرها.

(٢) المواكب الحسينيّة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢١٧.

استعمال الآلات الموسيقيّة في مواكب العزاء

تعرّض الأعلام في رسائلهم المطبوعة في هذه المجموعة، إلى أنواع الآلات الموسيقيّة المستعملة في مواكب العزاء، وبيّنوا حكمها الشرعي، كـ: «نصرة المظلوم»، «كلمات تامّات»، «المواكب الحسينيّة»، «الأنوار الحسينيّة»، «النقد النزية لرسالة التنزيه»، وغيرها.

وقد ركّز أصحاب هذه الرسائل على ثلاثة أنواع من هذه الآلات، وهي: الطَبْل، والبُوق، والصّنج. وبيّنوا أنواعها، والمحرّم منها الذي يستعمل في مجالس اللهو والفسوق، وأكّدوا على أنّ المستعمل في مواكب العزاء ليس محرّماً.

ونحن نكتفـِ بذكر عبارة الشيخ حسن المظفّر (ت ١٣٨٨هـ) في رسالته «نصرة المظلوم»؛ لما فيها من الاختصار والشموليّة، إذ قال:

الطَبْلُ

المعبّر عنه بلسان العامة (الدمّام)، وهو موضوع العناية من الكلام، أمّا غيره ممّا قد يستعمل في بعض البلدان كالمسمّى عندهم (نقّارة) فلا ريب في حرمته.

ذكر العلاّمة في التذكرة[١] والمحقّق الثاني في جامع المقاصد[٢] أقسام الطبول وعدّا منها: «طبل الحرب الذي يُضرب به للتهويل، وطبل القافلة الذي يضرب به للإعلام بالنزول والارتحال، وطبل العطّارين: وهو سفط لهم، وطبل اللهو، وفسّر بالكوبة».

ولكن نظراً إلى اشتراك الكوبة بين معان، بعضها ليس من أقسام الطبول، وبعضها الآخر طبل لهو كما ستعرفه، مثّل له العلاّمة بما «يضرب به المخنثون من طبل وسطه ضيّق وطرفاه واسعان» وقد صرّحوا بجواز استعمال ما عدا الأخير منها وبيعها وشرائها والوصيّة بها، وادّعى في التذكرة الإجماع على ذلك.

ولا ريب أنّ هذه الطبول جميعاً يمكن أن يضرب بها ضرباً لهوياً كما يستعمله أهل الطرب، فلم جوّزوا استعمالها؟

أليس لأنّها ما أعدّت ولا هيّئت لذلك؟

أليس لكون الضرب العادي بها ليس ملهيّاً ولا مطرباً؟ بل هو ضرب إعلام وتنبيه، كما هو الشأن في الطبل المستعمل في العزاء.

الطبل العزائي لو كان من الآلات المشتركة بين اللهو وغيره، فلا ريب أنّ استعماله ليس لأجل الطرب ولا على الكيفيّة المطربة، ولهذا عدّ كاشف الغطاء في عداد ما كان راجحاً لعنوان راجح ينطبق عليه أكثر ما يقام في العزاء من «دقّ طبول وضرب نحاس وتشابيه صور».

---

(١) تذكرة الفقهاء «الطبعة الحجرية» ٢: ٤٨٣ كتاب الوصايا.

(٢) جامع المقاصد ١٠: ١٠٧.

قد رأينا طبل الحرب أيام الحرب العامّة عند أعراب نجد في النجف، وطبل القافلة عندهم منذ كان الحاج العراقي يسير برّاً على طريق جبلي طي، وهما عين الدمّام المتعارف استعماله اليوم في المواكب العزائية في النجف.

إنّ طبل الحرب والقافلة وطبل العزاء في الشكل والحجم سواء، وفي كون الضرب عليها بآلة لا باليد سواء، وفي كون الضرب منتظماً انتظاماً خاصاً سواء، وفي كون الغرض من ضربها التنبيه والإعلام سواء، فما هو الفارق بينهما إذاً؟!

إنّ طبل اللهو يفارق هذه الطبول في جميع هذه الخواص عدا الانتظام، بيد أنّه في طبل اللهو على كيفيّة خاصة يعرفها أهل الملاهي ولا يجهلها كلّ أحد، وتلك الكيفيّة غير حاصلة في ضرب الدمّام.

ومع قطع النظر عن جميع ما أسلفته، أوقفك على أمر يكفيك في الحكم بجواز الدمّام، وهو أنّه لم يقع لفظ الطبل في شيء من الأدلّة موضعاً للحكم ليؤخذ باطلاقه، وليدفع الإطلاق بكون المراد طبل اللهو، أو يراد بضربه الضرب الملهي وإنّما الموجود في الأدلّة الكبرات والكوبات.

والكَبَرُ ـ بفتحتين ـ الطبل ذوالوجه الواحد، وهذا ليس إلّا طبل اللهو، فإنّ ما عداه بوجهين.

والكُوبَةُ ـ بالضمّ ـ البربط: وهو العود أو النرد أو الشطرنج أو طبل صغير.

وفي الصحاح: طبل صغير مخصّر[(١)].

وهذا أيضاً ليس سوى طبل اللهو؛ لأنّه الصغير، ولو كان غيره كوبة ـ أي طبلاً صغيراً ـ لم يبق للطبل الصغير مصداق أبداً.

وإذا كان لفظ الطبل لم يقع موضوعاً للحكم، فلا مساغ للمنع عنه إلّا بدعوى أنّ كلّ طبل آلة لهو، وأنّ كلّ آلة لهو يحرم جميع أنحاء الاستعمال بها على جميع الكيفيات، وهذا ما لا أظنّ بأحد أن يقول به.

ومع هذا كلّه فالاحتياط بترك الطبل كلّه؛ لأنّ تذكارات سيّد الشهداء من أهم الأعمال التي يعتبر فيها الإخلاص لله في إقامتها، وتعريتها عن كلّ ما يحتمل تحريمه فضلاً عن معلوم الحرمة.

البُوق

المعبّر عنه في لسان العامّة (البوري)، لم يعهد استعماله قديماً وحديثاً لأهل الطرب والملاهي كالعود والأوتار والمزامير، وانّما يستعمل في الحرب للتنبيه ولحشر الجنود وتسيير المواكب لحرب أو لغيرها، فهو في الحقيقة آلة تنبيه وإعلام، لا آلة طرب نحو الآلة الصغيرة الصافرة التي يستعملها الشرط والحرس اليوم للتنبيه ليلاً نهاراً.

ومن عرف الخاصيّة الطبيعيّة لهيئته الوضعيّة يعرف بأنّه يستحيل أن يخرج بالنفخ فيه صوت مطرب، ولذلك يحصل الجزم لكلّ عارف به أنّه ليس من المزامير المعدودة من آلات اللهو.

---

(١) الصحاح ١: ٢١٥ «كوب».

ابتدع الشكل الطبيعي للبوق لأجل خروج صوت عال مرتفع مستهجن، يبلغ بارتفاعه وهجنته مالا يبلغه أرفع صوت مجرّد، وهو كلما دقّ موضع النفخ منه واتسعت فوهته العليا زاد صوته ارتفاعاً وهجنة.

فلارتفاعه استعمل لتنبيه الجند، ولهجنته جعل جزء من «الجوق الموسيقي» للتأليف بين نحو عشرين صوتاً من الأصوات المختلفة في نفخة واحدة؛ لحصول الطرب بالمجموع، ولكنّه لو أنفرد لايكون ولا يصلح لذلك، ولذلك لاينبغي عدّه من الآلات المشتركة بين اللهو وغيره.

وإذا لم يكن من المزامير ولا من آلات اللهو، فما هو البرهان على تحريمه؟! لم يوجد في الأدلّة ما يتضمّن النهي عن استعماله بخصوصه في ما حضرني من كتب الاستدلال من غير فحص كامل.

الصّنج

وهو مفرد صنوج، المعبّر عنها بلسان العامة اليوم (طوس)، المنهي عنه في المروي في المجمع[1] فهو بظاهر الأمر مردّد بين معان ثلاثة، لا يعلم أيها المقصود بالنهي، ولا أنّ النهي نهي تنزيه أو تحريم، فقد ذكروا أنّه آله بأوتار، ونحاس صغار مدوّر يجعل في إطار الدف، وآله تتخذ من صفر يضرب إحداها بالأخرى[2].

---

(١) في مجمع البحرين ٢: ٣١٣ «صنج»: «إياك والضرب بالصوانيج، فإنّ الشيطان يركض، معك والملائكة تنفر عنك».

(٢) في الصحاح ١: ٣٢٥ «صنج»: الصّنج الذي تعرفه العرب: وهو الذي يتّخذ من صفر، يضرب أحدهما بالآخر. وأمّا الصّنج ذو الأوتار فيختصّ به العجم، وهما معرّبان.

⇦

وهذا المعنى الأخير ينطبق على ما هو المستعمل اليوم في العزاء الحسيني، لكن من المعلوم أنّ استعمال هذا بالنحو المتعارف الآن في النجف لايمكن قصد التلهّي به والطرب؛ لأنّه بذاته لا لهو فيه ولا طرب، فكيف يعدّ من آلات اللهو أو المشتركة بينه وبين غيره؟

إنّ دقّ الصّنج المتعارف في المواكب يوجب الضجر لا الطرب، وما هو إلّا كدقّ الصفّارين بمطارقهم الحديدية على قطعات الصفر دقاً منتظماً، ولا يبعد أن يكون هذا كان مستعملاً في الحرب مع الطبل ـ إن كان قديماً ـ وإنّ الصّنج المعدود من آلات الملاهي ليس هو هذا الصّنج، ولا صنج الموسيقى، بل ما يتّخذ من صفر قطعاً، نحو ما يجعل في إطار الدف، يضع الزافن ـ الراقص ـ كلّ اثنتين منها في إصبعين من أصابع يديه، إحداهما في الإبهام والأخرى في السبابة أو الوسطى، يضرب بأحدهما الأخرى فترنّ رنيناً خفيفاً هو أرقّ من التصفيق صدى وأقرب منه إلى الإطراب، وهذا هو ما يسمّيه الفرس بلغتهم: «زنك».

وقد اتّفق اللغويون على أنّ لفظ «صنج» فارسي معرّب، وإذا كان فارسيّاً هو تلك الآلة كان النهي مختصّاً باستعمالها لا محالة، وعسى أن تكون تسمية غيره باسمه للمشابهة.

⇨

وفي القاموس المحيط ١: ٢٠٤ «صنج»، الصّنج: شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر، وآله بأوتار يضرب بها، معرّب.

وقريب منهما ورد في مجمع البحرين ٢: ٣١٣، «صنج».

ثمّ إذا كان الصّنج لغةً مردّداً بين المعاني الثلاثة، وكانت الآلة ذات الأوتار وما يجعل في إطار الدفّ قدراً متيقّناً ممّا جعل موضوع الحكم، وما عدا ذلك مشكوك الفرديّة له، كان مقتضى أصول الفنّ ـ لمن لايوجب الاحتياط في الشبهة المفهوميّة ـ أن يقول بجوازه لاحرمته.

وكم من فرق بين هذا وبين كاشف الغطاء ـ واللغة بمرئى منه ـ يعدّ من الأمور الراجحة «دقّ طبل إعلام وضرب نحاس» وظنّي أنّه حمل الصّنج المنهي عنه على خصوص المطرب منه، ملاحظة للمناسبة بين الحكم وموضوعه.

على أنّ حمل ذلك النهي على التحريم لاقرينة عليه، ولا إجماع بالفرض، لاسيما والنهي الوارد بلفظ التحذير لابهيئة النهي ولا بمادّته[1].

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢: ٤٦٤-٤٧٢.

العلاّمة المجلسي أحدث استعمال الصّنج (الطوس) في إيران

(١) قال الشيخ حسن المظفّر (ت ١٣٨٨هـ)في رسالته «نصرة المظلوم»:

«وقد سمعتُ في غير واحد، أنّ الصّنج المتعارف الآن قد أحدثه في العزاء العلاّمة المجلسي (ت١١١١هـ) ـ أعلى الله مقامه ـ في قرى إيران؛ ليسمع أهل القرى القريبه منهم ويعلموا بإقامتهم العزاء، وكذا في البلدان الكبار، لأجل تنبيه أهل المحلاّت جميعاً؛ لأنّ الطبل الحربيّ الذي هو المتعارف في العزاء لا شيوع له في البلدان الإيرانيّة»[1].

(٢) قال الميرزا محمّد عليّ الأردوبادي (ت١٣٨٠هـ) في رسالته «الكلمات التامّات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداء عليه السلام:

---

(١) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٤٦٣.

«ويقال: إنّ أوّل من أحدثه [الطوس] العلاّمة المجلسيقُدّسَ سرُّه في قرى إيران؛ إعلاماً للقرى القريبة بإقامة العزاء، وفي البلاد الكبيرة؛ تنبيهاً لأهل المحلاّت جميعاً بها، فيأتيها روّاد الأجر والثواب»[١]

(٣) قال الشيخ عبدالحسين قاسم الحلّي (ت١٣٧٥هـ) في رسالته «النقد النزيه لرسالة التنزيه»:

«وقد سمعت من غير واحد من المشايخ[٢] أنّ هذا الصّنج أحدثه العلاّمة المجلسيّقُدّسَ سرُّه في قرى إيران مصاحباً لموكب اللطم المخترق للأزّقة والمجتمع في الدور والمآتم؛ ليسمع صوته أهل القرى القريبة منهم ويعلموا بإقامتهم للعزاء ليشاركوهم: إمّا في الاجتماع معهم، وإمّا بإقامة عزاء آخر في قريتهم، فاستطرد الناس استعماله لغير ذلك، وليتهم اكتفوا به عن الطبل؛ لأنّه يقوم مقامه في الفائدة المقصودة منه»[٣]

---

(١) الكلمات التامّات في المظاهر العزائيّة لسيّد الشهداءعليه السلام (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٣: ٧٠.

(٢) كتب المؤلّف في هامش هذه العبارة ما يلي: «منهم السيّد العلاّمة الفاضل، قدوة أهل الورع واللطف والأخلاق الفاضلة في زمانه السيّد مصطفى الطالقاني النجفي، والشيخ العلاّمة الفقيه المقدّس الورع الشيخ حسن مطر قدّس سرّهما، وقلّ من يوجد في النجف اليوم مَن لايعرف مكانتهما في اللطم والورع؛ لقرب العهد بهما».

(٣) النقد النزيه لرسالة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٦: ١٩١.

(٢)

جريدة الأوقات العراقية

العدد ١٦٦١ الصادر في البصرة

في الأوّل من شهر محرّم سنة ١٣٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بما أنّنا لم نعثر على هذه الجريدة، حتّى ننقل نصّ المقال الوارد فيها، الصادر في الأوّل من شهر محرّم سنة ١٣٤٥هـ ، في عددها ١٦٦١، لذلك نقلنا هنا ما عثرنا عليه من بعض فقراتها التي أوردها الشيخ محمّد جواد الحچّامي (ت١٣٧٦هـ) في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)، وهي أربع عبارات فقط، آملين مستقبلاً أن يوفّقنا الباري عزّ وجلّ للوقوف عليها.

العبارة الأولى

قال الشيخ محمّد جواد الحجّامي: قالت الجريدة - ولا أنقل إلّا عنها، ولا أنتقد إلّا عليها، حيث لا يهمّني من قال، وإنّما يهمّني المقال - بعد أن ذكرت اعتياد الجعفريين في هذه الأيام - أي في العشرة الأولى من محرّم الحرام - على إقامة المآتم والتعازي، وتنظيم المواكب المخترقة للشوارع، حاملة للأعلام والمشاعل ليلاً، وتدفّق الجماهير عراة الصدور، حاسرة الرؤوس، تندب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله:

«وقد شعر أصحاب السيادة، حضرات العلماء الأعلام حفظهم الله تعالى، بهذه الحقيقة، وأدركوا بثاقب بصرهم، وما وهبهم الله من عقل راجح غزير، ما لهذه الأعمال من التأثير السّيء في سمعة الإسلام في العالم، وفي نظر الأجانب، فقاموا يستنكرون إتيانها وينهون عنها»[1].

---

(١) كلمة حول التذكار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٩٠.

العبارة الثانية

وقال أيضاً: وإن قالت الجريدة: مرادي الثاني - أي المواكب المنظّمة، الحاملة للأعلام والمشاعل - زد على ذلك التمثيل والتشبيه، المعبّر عنه بلسان العامة بـ«السبايا» و«الشبيه»، فإنّ الجريدة وإن أغفلت ذكر تلك الزيادة أولاً، وتعرّضتها أخيراً عند نقلها تحريم المحرّم، حيث قالت:

«فإنّه[1] حفظه الله لم يكتف بتقبيح إقامة السبايا في الشوارع وتنظيم المواكب، بل حرّمها تحريماً باتاً»[2].

(١) أي السيّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ)، صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:١٦٥.

(٢) كلمة حول التذكار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٩٥.

العبارة الثالثة

وقال أيضاً: ثمّ إنّ الجريدة بعدما خلطت الحابل بالنابل[١]، ونقضت ما أبرمت[٢] وحرّمت ما حلّله الشرع ورجّحه اجتهاداً في مقابلة النصّ، دخّلت المسألة في صورة سياسية، وتَحككت[٣] تحكّك العقرب بالأفعى، فكانت كالساعي إلى حتفه بظلفه[٤] فقالت - بعد أن ذكرت أنّ أمنيتها الوحيدة هي إعلاء كلمة الإسلام، وإزالة التعصّب المذهبي - :

«إنّ هذه المواكب هي عامل من عوامل التفرقة، ورمز يشير إليها»[٥].

---

(١) الحابلُ: الذي يَنصب الحِبَالَةَ للصيد، وفي المثل «اختلَطَ الحابُل بالنابل»، ويقال: الحابِلُ: السَدَى في هذا الموضوع، والنابلُ: اللُحَمةُ. الصحاح ٤: ١٦٦٥ «حبل».

(٢) أبرَمتُ الشيءَ: أي أحكمتُهُ. الصحاح ٥: ١٨٧ «برم».

(٣) فلا يَتَحَكَّكُ بي، أي يتمرّس ويتعرّض لشرّي. الصحاح ٤: ١٥٨٠ «حكك».

(٤) ذهب دمه ظَلَفاً وظَلْفَاً: أي هدراً، ويقال: ذهب ظَلِيفاً: أي مجاناً، أخذه بغير ثمن. الصحاح ٤: ١٣٩٨ «ظلف».

(٥) كلمة حول التذكار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢: ٢٩٨-٢٩٩.

العبارة الرابعة

وقال أيضاً: ثمّ إنّ الجريدة لم تقنع بذلك حتّى زادت في الطين بلّة، وفي الطنبور[1] نغمة، فقالت:

«إنّني استفظع هذه المواكب، كما استفظع أعمال الوهابيّين في الحجاز»[2].

(١) الطُنْبُورُ: من آلات العزف، فارسي معرّب. الصحاح ٢: ٧٢٦ «طنبر».

(٢) كلمة حول التذكار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٣٠١.

(٣)

صولة الحقّ على جولة الباطل

تأليف

السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني

(١٢٧٢ هـ ـ ١٣٥٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وعترته الطاهرين.

أمّا بعد، فقد قال الله سبحانه وتعالى في مُحكم كتابه المجيد: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١].

وورد في السُنّة ما دلّ على وجوب إظهار العالم علمه عند ظهور المبتدعات، فمَنْ لم يفعل ذلك يكبّه الله على منخريه في النار[٢].

---

(١) آل عمران (٣): ١١٠.

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن محمّد بن جمهور العمّي، يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا ظهرت البدع في أُمّتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله» الكافي: ١: ٤٤، حديث ٢ باب البدع والرأي والمقائيس.

ورواه أحمد بن محمّد بن خالد البرقي في المحاسن: ٢٣١ حديث ١٧٦ أيضاً بسنده عن محمّد بن جمهور العمّي يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأخرجه عنهما الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ١٦: ٢٦٩ حديث ١ باب ٤٠ من أبواب الأمر والنهي من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولمزيد من الاطلاع انظر: وسائل الشيعة ١٦: ٢٦٩ ـ ٢٧٢ باب ٤٠ من أبواب الأمر والنهي.

فبطاعة الله سبحانه، وطمعاً في مثوباته، وهرباً من العقوبة الفادحة[١] التي يُعاقب بها كاتم العلم، ما زلتُ بحمدِ الله سبحانه وحُسن توفيقه صادحاً[٢] ـ منذ دخولي البصرة من شهر شعبان[٣] إلى اليوم[٤] ـ في الناس بالنهي لهم عمّا قد تعوّدوه من الإتيان بضروب المحرّمات والمنكرات والسخافات[٥] والحماقات[٦]وجعلهم إياها من جملة الديانات الشرعيّة، خصوصاً مسألة التشبيهات[٧] التي يُمثّلونها في عاشوراء، فصرتُ مُنوّهاً

---

(١) أي: الثقيلة الباهضة، الصحاح ١: ٣٩٠ «فدح».

(٢) في الصحاح ١ : ٣٨١ «صدح» : صدح الديك والغراب صدحاً : أي صاح.

(٣) في سنة ١٣٤٣ هـ وهي السنة التي ترك فيها دولة الكويت واستقر في مدينة البصرة، كما ورد ذلك في ترجمته في بعض المصادر.

(٤) أي في سنة ١٣٤٥ هـ وهو تأريخ تأليفه لهذه الرسالة.

(٥) السخف : رقّة العقل، وقد سخف الرجل سخافةً فهو سخيف. الصحاح ٤ : ١٣٧٢ «سخف».

(٦) الحمق : قلّة العقل، وقد حمق الرجل حماقةً فهو أحمق. الصحاح ٤ : ١٤٦٤ «حمق».

(٧) يُسمّى في اللغة العاميّة في العراق «السبايا» و«الشبيه» و«الدائرة»، وكانت تُقام في عدّة أماكن في العراق منها الكوفة والحيرة، وهي عبارة عن تمثيل الأحداث المأساوية التي جرت يوم عاشوراء على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الشهداء.

برفضها ومُصرّحاً بما فيها من التحريم؛ لأنّي أراها مُجلبةً لسخرية الملل الخارجة، وداعياً من دواعي الاستهزاء.

فحرّمتها علناً، منادياً بذلك بين الخلق، هادياً لهم إلى سبيل الحقّ والرشاد، ومقدِّساً للدّين القويم عمّا جعله منه جماعة الجاهلين.

ولمّا علمَ بتحريمي لذلك أرباب العقول السليمة والآراء النيّرة وأصحاب الحِجا[1] والمعرفة، طفقوا يشكرون لي على تنزيهي للدِّين الشريف عن سخافات الجهلة، حتّى لقد جرت بيني وبين بعض من جاءني محادثةً في هذه وغيرها من الديانات وغير الديانات، وبعد أيام نشرها على صفحات الأوقات العراقيّة[2]، وقد تعرّض لأكثر ما جرت فيه المفاوضة باختصار، وكان من

---

(١) الحجا: العقل. الصحاح ٦ : ٢٣٠٩ «حجا».

(٢) المقالة كانت بعنوان «يوم عاشوراء»، وقد نُشرت في العدد ١٦٦١ من هذه الجريدة التي كانت تصدر في مدينة البصرة في العراق. انظر: الصفحة ٣ من رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمد جواد الحجّامي (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢:٢٨٩.

وعن هذه الجريدة ـ الأوقات العراقيّة ـ يقول السيّد عبدالرزاق الحسني (ت١٤١٨هـ) في كتابه «تاريخ الصحافة العراقيّة» : ٧٤ ـ ٧٥ تحت عنوان : الجرائد التي صدرت بعد الاحتلال البريطاني للبصرة وكانت سياسيّة:

«الأوقات البصريّة» : لمّا احتلّ الجيش البريطاني البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ م وضع يده على ثلاث مطابع للأهالي فيها، مضافاً إلى مطبعة الولاية التي صادرها

⇦

⇐

وأخذ يطبع فيها نشرة يوميّة باللغتين العربية والإنكليزية عن سير القتال في الشرق والغرب. وقد تطوّرت هذه النشرة إلى جريدة يومية سياسية أدبية مصوّرة، يحرّر فيها «جون فلبي» وغيره من مروّجي السياسة البريطانية.

ولمّا شعرت الحكومة المحتلّة بضرورة وجود جريدة ثانية تعبّر عن سياستها وتهيء الرأي العامّ في البلاد إلى الأحداث المقبلة، أوعزت إلى «سليمان بك الزهير» ــ أحد سراة البصرة ـ أن ينشئ جريدة باسمه لهذا الغرض، فصدرت جريدة «الأوقات البصريّة» من أول عام ١٩١٥ م بأربع لغات وهي : العربية، والإنكليزية، والفارسية، والتركية، ولبثت تصدر بانتظام خمس سنوات كاملات، حيث حلّ محلّها جريدة «أوقات ما بين النهرين» باللغة الإنكليزية في أواسط عام ١٩٢١ م أوّل مايس، إذ لم تبق ضرورة لبقاء الجريدة الأُولى.

وكانت الجريدة يومية سياسية استبدلت اسمها باسم «الأوقات العراقية» ونقلت إدارتها من البصرة إلى بغداد لتحلّ محلّ جريدة «الأوقات البغدادية» التي عطّلتها الحكومة».

ويقول عن «الأوقات العراقية» منير بكر التكريتي في كتابه «الصحافة العراقية» : ٦٨ بعد نقله لكلام السيّد الحسني المتقدّم : «وكانت خير أداة للإعلان عن سياستهم، وقد لعب المستر «جون فلبي» ـ السياسي الإنكليزي المعروف ـ دوراً هاماً في تحريرها».

ويقول أيضاً في الصفحة ١١٣ من هذا الكتاب: «حرّر فيها السياسي المعروف المستر «جون فلبي»، ولها سياسة معروفة، فهي خادمة لأغراض السلطات البريطانية ومروّجة لسياسة الحلفاء، وقد استمرت في الصدور إلى احتلال بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧ م وانتقال حكومة الاحتلال إليها، إذ ذاك أُعطيت بطريقة الالتزام إلى أحد وجوه البصرة السيد سليمان الزهير، وقد استقدم لها محرّراً من مصر هو «عطا عوام» زميل «توفيق حبيب» المعروف بالصحافي العجوز.

⇒

جملة ما تعرّض إليه هذه المسألة : «التشبيهات والمواكب العاشورية»، ولو كنتُ عالماً بأنّه سيتعرّض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك؛ إذ لا دخل لغير العلماء فيها.

ولمّا كان بيانه لها باختصار[١]، فأجملَ فيها بعضَ التي لصاحب الغرض حملها على حسب غرضه، قامت قيامة بعض الجهلة بالشناعة[١] في محافلهم،

⇨

فالمتصفّح لأعدادها يجد أنباء العالم والبلاغات الحربيّة تحتلّ معظمها، فهي أشبه ما تكون بنشرة حربية لخدمة مصالح الإنكليز والترويج لسياستهم وحلفائهم.

أمّا المقالات الثقافية فتكاد تكون قليلة جدّاً بالقياس إلى الموضوعات الأخرى، وحتّى هذه الموضوعات القليلة لا تخلو بين ثناياها من مدح الإنكليز وذمّ العثمانيين».

ويقول رجب بركات في كتابه «من صحافة الخليج العربي» ٧٦ ـ ٧٧: «خلال فترة الإصدار الأول استخدمت حكومة الاحتلال لتحرير الجريدة من غير العراقيين كلاً من : محمّد شوقي، وعبدالحميد مرعي. وأمّا العراقيون الذين حرّروا في «الأوقات البصريّة» فكان منهم : الأستاذ شاكر نعمة، والمرحوم الأديب الشاعر هادي الدفتر. ومن كتّابها أيضاً المرحوم سليمان فيضي المحامي، وعبدالوهاب الطباطبائي».

(١) إذ قال فيها: «وقد شعر أصحاب السيادة حضرات العلماء الأعلام حفظهم الله تعالى بهذه الحقيقة، وأدركوا بثاقب بصرهم وما وهبهم الله من عقل راجح وعلم غزير ما لهذه الأعمال من التأثير السيّئ في سمعة الإسلام في العالم، وفي نظر الأجانب، فقاموا ⇦

ينادون بأنّا قد حرّمنا التعزية بتاتاً، وبعضهم ينادي بأنّ مجالس التعزية والمآتم ستُسدُّ في العام المقبل، وصاروا يتقوّلون علينا بالبهتان(٢) وقد حصل لهم مَن ساعدهم على هذا من الَّذين هم من غير صنفهم!!! وصار لهم زفير وشهيق(٣) و و و...

ولكنّي لا تضرّني زعقاتهم(٤)، ولا يقلقني اصطخابهم(٥) بتشنيعهم عليَّ بالبهتان البيّن، وهم وغيرهم يعلمون بأنّ ما أعلنتُ حرمته قد وصل خبره إلى العتبات المقدّسة، فأمضى تحريمي له سيّد مشاهير مجتهدي العصر وعمدة

⇨

يستنكرون إتيانها وينهون عنها». انظر: رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٢:٢٩٠.

(١) الشناعة: الفظاعة، قد شَنُعَ الشيء يَشْنُعُ فهو شنيع وأشنع والاسم الشُنعة. الصحاح ٣:١٢٣٩ «شنع».

(٢) أي كذبوا علينا ونسبوا لنا ما لم نقله. وفي الصحاح ج ١ : ٢٤٤ «بهت» : بَهَتَهُ بَهْتاً وبَهَتاً وبُهتاناً فهو بَهَّات: أي قال عليه ما لم يفعله.

(٣) الزفير : أوّل صوت الحمار، والشهيق : آخره؛ لأنّ الزفير إدخال النَفَس، والشهيق : إخراجه. الصحاح ٢ : ٦٧٠ «زفر».

(٤) الزعقُ : الصياح، وقد زعقتُ به زعقاً. الصحاح ٤ : ١٤٩٠ «زعق».

(٥) الصَخَبُ : الصياح والجَلَبةُ. الصحاح ١ : ١٦٢ «صخب».

مشيّدي دين سلفه الصالحين، متّعنا الله بطول بقائه، فلم أرَ منه رأياً مخالفاً لما حرّمته البتّة[١]، وستعرف حقيقة الحال عن قريب، فأيّ فائدة يا ترى في رعد وبرق المفترين، ورتق وفتق[٢] المغرضين؟!

ونحن نسأل الله سبحانه وتعالى التفضّل على المفترين بالتوفيق للتوبة، ولمتابعة دينه القويم جميعه، آمين ربّ العالمين.

ولقد طلبَ إليَّ بعضُ المؤمنين كتابة شيء مختصر جليّ[٣] في الباب، يتحقّق به فصل الخطاب، ويخزي بحججه الدامغة المفتري المرتاب، فأجبته إلى ما طلب؛ تنزيهاً للدّين عن السخافات، وقمعاً لمن جعل شعاره المفتريات، وقد سمّيته «صولة[٤] الحق على جولة[٥] الباطل».

---

(١) هو المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيّد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥ هـ).

(٢) فتقتُ الشيء فَتَقاً: شققته. والرَّتْقُ: ضدّ الفتق، وقد رتقت الفتق أرتقته فارتتق: أي التأم. الصحاح ٤: ١٤٨٠ «رتق» و ١٥٣٩ «فتق».

(٣) الجليّ: نقيض الخفيّ. الصحاح ٦: ٢٣٠٣ «جلا».

(٤) صال عليه: وثبَ، صولاً وصولةً، والمصاولة: المواثبة. الصحاح ٥: ١٧٤٦ «صول».

(٥) التجوال: التطواف. وجال ويجول وجولاناً. الصحاح ٤: ١٦٦٢ ـ ١٦٦٣ «جول».

فأقول : يا ذوي المعرفة والبصيرة، وأهل الشرف والشهامة والغيرة، مَن منكم يرضى بأن تُشبّه محجّباته ـ كأُمّه وبنته وخالته وزوجته وغيرهنّ من نسوته ـ بالنسوة غير المحجّبات اللائي لا شرف لهن ولا حيثية[1] تحوطهن؟ فيُجعلن على الجمال في المحامل[2] وغيرها، ويشهرنَ بين الفسقة وغيرهم من الملل الخارجة، وقد ضُربت الطبول[3] والطوس[4]، وصدحت[5] الأبواق[6] أمامهنّ

(١) أي لا قيمة لهنّ ولا اعتبار بين الناس.

(٢) المحامل، جمع مِحْمَل : وهو الذي يُركب عليه، قال ابن سيدة : المِحْمل شِقّان على البعير يُحمل فيهما العديلان. لسان العرب ١١ : ١٧٨ «حمل».

(٣) الطبول، جمع طَبْل: وهو اسم يشمل الطبول المحرّمة وغيرها؛ إذ ليس كافّة الطبول محرّمة في الشريعة، والمحرّم منها ما يستعمله المخنّثون وأهل اللهو والطرب، وهو الذي يُسمى باللغة «كُوبة».

قال الجوهري في الصحاح ١ : ٢١٥ «كوبه» : الكُوبة : الطبل الصغير المُخَصّر.

(٤) الطوس، كلمة عراقيّة، وهي الصَّنْجُ، وجمعها صُنُوج، وهو اسم يشمل الصنوج المحرّمة وغيرها.

قال الجوهري في الصحاح ١ : ٣٢٥ «صنج» : الصّنج الذي تعرفه العرب : هو الذي يُتّخذ من صُفر، يُضرب أحدهما بالآخر، وأمّا الصّنج ذو الأوتار فيختصّ به العجم، وهما معرّبان.

وانظر القاموس المحيط ١ : ٢٠٤ ومجمع البحرين ٢ : ٣٠٣ «صنج».

(٥) في الصحاح : ١ : ٣٨١ «صدح» : صدح الديك والغراب صدحاً : أي صاح.

(٦) الأبواق، جمع بوق : وهو الآلة المستعملة في المواكب العزائيّة، ويُسمّى بلسان العامة في عرف العراقيين «البوري» أو «البرزان»، وهو غير المزمار المنهيّ عنه.

وخلفهنّ، والخلق حولهنّ من كلّ صنف وشاكلة، ما بين وقوف وجلوس، يتفرّجون عليهنّ: بعض بالاستهزاء، وبعض بالشماتة[(١)] وآخر راث[(٢)] لهذه الهيئة. وهنّ يُسار بهنّ في الطرق والأزقة على هذه الهيئة الشنيعة[(٣)] البشعة، والناس يشيرون إليهنّ بأيديهم، ويسمّونهنّ بأسمائهن، وقد سخر الآخرون من هذه الحماقات، فتراهم يزدرون[(٤)] طوراً، وطوراً يضحكون من سخافات المسلمين التي ليست من الإسلام في شيء، وما يدرون بأنّ هذه المضحكات من مبتدعات الطَغَام[(٥)] غير الملتزمين بدين المسلمين، المنزّه عن مثل هذه المنكرات، التي تنفر منها القلوب، وتشمئز[(٦)] منها النفوس.

---

(١) الشَماتَةُ : الفرح بِبَليَّةِ العدوّ، يقال : شَمِتَ به يَشْمَتُ شماتَةً. الصحاح ١ : ٢٥٥ «شمت».

(٢) أي متألّم، يبكي على ما وصل إليه بعض الناس في أساليب التعزية من طرق غير صحيحة. وفي الصحاح ٦ : ٢٢٥٢ «رثي»: ورثيت الميّت مرثيّةً : إذا بكيته.

(٣) الشناعة : الفظاعة. وقد شَنُعَ الشيء فهو شنيع وأشنع، والاسم الشُنعة. الصحاح ٣:١٢٣٩ «شنع».

(٤) ازْدَرَيْتُهُ : أي حَقَرته. الصحاح ٦ : ٢٣٦٨ «زري».

(٥) الطَغَامُ : أوغاد الناس. الصحاح ٥ : ١٩٧٥ «طغم».

(٦) اشْمَأَزَّ الرجل اشمِئزَازاً : انقبض، وقال أبو زيد : ذُعِر من الشيء وهو المذعور الصحاح ٣: ٨٨١ «شمز».

فأيّ عاقل يرضى بهذه السيرة السخيفة الفظيعة في حقّ محارمه، بل لن يرضى ولو بدون هذه الهيئة في حقّهنّ.

ونحن نقول لمن جعل هذه الهيئات ديناً لله يعبده بها: تجعل نسوة الناس غير المحجّبات شبيهات لبنات الرسول صلّى الله وسلّم عليه ـ وعلى عترته ـ وقرّة عين البتول، ولم تجعل محجّباتك شبيهات بهنّ؟ فإن كان التشبّه على هذه الهيئة المعلومة ديناً حسناً عندك، فاختر الدّين الحسن لنفسك، فما وجه جعله لغيرك؟!

فهل الدّين عندك ملعبة تلعب بها؟!

وهل عيالك في النجابة والشرف والحذر مثل بنات البضعة البتول؟!

حاشا لله حاشا!

فإن كُنتَ صادقاً في محبّة أهل البيت، فما بالك لا تشهر بناتك أو غيرهنّ من عائلتك ومحجّباتك بهنّ، فتخرجهنّ على هذه الهيئة الشنيعة؟! ومن المحال صدور ذلك منك، ومن هنا إنّك تلعب بالدّين، نسأل الله التفضّل عليك برفض هذه الديانة الخبيثة، والرجوع إلى ديانة

الحقّ الشريفة.

فيا أيّها المُبتدع في الدّين هذه السخافات، المحفوفة بجملة من المحرّمات، لِمَ لَمْ تسأل مَن تعتمد عليه وتركن في دينك إليه، عن هذه الهيئات السخيفة الموجبة للسخرية بالشريعة الشريفة، زاعمين بأنّها عند المسلمين من أجزاء الديانة؟ فليت شعري هل ورد عن الرسول وآله ولو خبر ضعيف في شرعيّتها، حتّى تصول به على المتشرّعين؟

أما علمتَ أنّ متابعة الهوى وخيمة العاقبة؟!

إذاً فما هذه الحماقة تتظاهر بها بين الخلق، هاتكاً عقائل الرسالة ومحجّبات النبوّة، وتُسمّي ذلك تعزية؟!

أما دريتَ معنى التعزية المندوب إليها المثاب عليها ما هي؟

بلى والله العظيم لقد عرفتَ ذلك حقّ المعرفة، ولكن قد حالت متابعة الهوى والشيطان بينك وبين الحقائق، والله جلّ ذكره يقول: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ**﴾[١].

فالنصيحة النصيحة في رفض هذه الخرافات الموجبة لسخرية الملل الخارجة بشريعة خير البريّات، وفي لزوم طريقة عباد الله المتّقين في مسائل التعزية لسيّد المرسلين وعترته الطاهرين صلّى الله عليه وعلى عترته، فإنّ في الجري عليها شرف الدّين والدنيا.

---

(١) الجاثية (٤٥): ٢٣.

فإن لم تكن متّقياً، فتابعهم على هذه الطاعة العظيمة، وحسبك في رفعة مقامها ما نقله إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل في كتاب المناقب[١] في فضلها مرفوعاً: «من بكى علينا فخرجت من عينه دمعةٌ أو قطرت قطرة يؤته الله الجنّة»[٢]، نقله عنه حافظهم الجليل السيّد علي في كتابه مودّة القُربى[٣].

ومن طُرق الشيعة بمعناه كثير[٤].

---

(١) وهو كتاب «فضائل الصحابة» الذي يعبّر عنه كثيراً بـ«المناقب».

(٢) فضائل الصحابة ٢ : ٦٧٥ ـ ٦٧٦ حديث ١١٥٤ وفيه : عن الربيع بن منذر عن أبيه قال : كان حسين بن علي يقول : «من دمعتا – كذا – عيناه دمعة أو قطرت عيناه فينا قطرة أثواه الله عزّوجلّ الجنة».

وحكاه عن ابن حنبل في المناقب أيضاً : أحمد بن محمّد الطبري المكي (ت ٦٩٤هـ) في كتابه ذخائر العقبى في مناقب القربى : ٥٢ الباب الخامس : «في فضل أهل البيت عليهم السلام» فصل «ذكر ما لمن توجَّع لهم». وفيه «دمعت» بدل «دمعتا» و «آتاه» بدل «أثواه».

(٣) كتاب «المودة في القربى» للسيّد علي بن شهاب الدين الهمداني (ت٧٨٦ هـ) من مشاهير علماء السنّة وعرفائهم، ومن فقهاء الحنفيّة، ويُعدُّ من رواة حديث الثقلين بصيغته «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وحديث السفينة : «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق» وغيرها من الأحاديث المتعلّقة بأهل البيت(عليهم السلام). له ترجمة في نفحات الأنس في حضرات القدس للجامي : ٤٤٧، ونزهة الخواطر ٢ : ٨٧، وذكره المحقّق الطباطبائي في «أهل البيت في المكتبة العربية: ٦٣٥ـ٦٣٦».

(٤) منها ما رواه الشيخ الطوسي في أماليه : ١٩٤ حديث ٣٣٠ بسنده عن محمّد بن أبي عمارة الكوفي، قال: سمعت جعفر بن محمّدعليهما السلام يقول : «من دمعت عينه دمعة لدم سُفك لنا أو حقّ لنا أُنقصناه، أو عرض انتُهك لنا أو لأحد من شيعتنا بوّأه الله تعالى بها الجنّة حقباً».

فإن كُنتَ مسلماً، وجبت عليك محافظة هذا الأثر بأعظم توقير وتبجيل لمقام شرف محجّبات الرسالة بالصون، حتّى بمجرّد تشبيه غيرهنّ من أجلّ المحجّبات النجيبات بهنّ.

حسب الدهر صدمةً عظيمة مدهشةً، وطامة مفجعة موحشة، ومصيبة هائلة تتضاءل دونها المصائب وتضمحل إزائها الرزايا، ما فعله يزيد وشيعته بعقائل النبوّة ومحجّبات الرسالة، فما بالك في كلّ سنة على ما فعلوه تزيد؟! دعهم منفردين بالخزي الذي سوّد وجوههم في الدنيا والعقبى.

فما وجه تكريرك ما فعلوه وما لم يفعلوه كلّ عام، حتّى توجب سخرية ذوي العقول والأوغاد[١] الطغام[٢] بدين المسلمين بما يشاهدون من السخافات، التي قد جعلتها من أعظم الطاعات المترتّب عليها ما ليس يعلمه غير الله من جليل الثواب؟!

وفّقنا سبحانه وسائر المؤمنين للقيام بوظائف الطاعات، ورفض المحرّمات عن شريعة سيّد الكائنات.

وأمّا مسألة لطم الصدور، فما حرّمته وما منعته، بل الذي ناديتُ علناً في ذلك بين الناس على المنبر وغيره، بأن يصير ذلك في المآتم؛ وذلك لِما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح

---

(١) الَوْغدُ: الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه. الصحاح ٢ : ٥٥٢ «وغد».

(٢) الطَّغَامُ: أوغاد الناس. الصحاح ٥ : ١٩٧٥ «طغم».

وقتل، إلى غير ذلك، فكأنّما بعضهم يلطم على آل الرسول، وبعضهم يلطم على يزيد وشيعته ويحارب بعضهم بعضاً.

نحن نأسف ونحزن إلى الغاية على مَن يتعب نفسه باللطم لغير الله سبحانه وتعالى، فإنّه لو كان لله لما حصل ما ذكرت، نسأله سبحانه التوفيق لفعل طاعاته على وجهها.

ناهيك بما يصدر من جدال وضرب وتقاتل بين أهل اللطم وغيرهم من جهلة فرق سائر المسلمين، فتكثر القتلى والجرحى من الفريقين، وجميعها ناشئة عن سخافة العقل وشدّة الجهل، ولقد صدر الكثير من هذه الفتن، وحتّى في العام الماضي[1] صدر شيء منها في بغداد، فقُتل من قُتل وحُبس من حُبس.

فاللطم إذاً في المآتم لن يترتّب عليه شيء من هذه، والشريعة المقدّسة والعقل السليم قاضيان بأنّ اللطم محلّه المآتم دون الطرقات؛ هرباً ممّا بيّناه، فعلى المتدينين طاعة الشريعة والتمسّك بقولها؛ دفعاً للفتن وصيانة للنفوس.

نعم، إنّ ذوي الحجا وأهل التقوى والمعرفة، ليس في لطمهم في الطرق محذور البتّة؛ إذ هم يخرجون على حالة خاشعة وهيئة مُفجعة تحزن الناظر وتجري دموعه، فياليت أنّ جميع أهل اللطم يكونون بهذه الهيئة المرضيّة عند الله ورسوله وسائر ذوي العقول، وما ندري ما الضرر الذي

(١) أي في سنة ١٣٤٤ هـ؛ لأنّ تأريخ تأليفه لهذه الرسالة وطبعها ونشرها هو سنة ١٣٤٥هـ.

يحصل إلى عموم أهل اللطم لو يسيرون بهذه السيرة الحسنة، الفاقدة للمحرّمات، المأمونة من ترتّب شيء من الفتن والمفاسد؟!

فنسأل الله سبحانه التفضّل عليهم برفض ما قد تعوّدوه في اللطم من المحرّمات، وسيرهم على الهيئات المنكرة من الوثبات(١) والزعقات(٢) الوحشيّة.

وأمّا الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرّم؛ لما شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة؛ لكثرة نزف الدم.

ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجيّ وحشيّ، مثل الضرب بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعيّ على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشيّة، ما فيها من ثمرة في التعزية. ولو صُرف المال الذي يُصرف في جهتها في المآتم الموجودة، أو بزيادة مأتم أو مأتمين على ما هو موجود لكان أجود.

وقبل مضييّ إلى الكويت كان أهلها يخرجون الشبيه على التفصيل الذي سبق، فلمّا علمتُ بذلك منعتهم منه، فأطاعوني، وذلك في سنة

---

(١) الوثبات، جمع الوثبة : وهي الطفرة، ووثب وثباً ووثوباً ووثباناً : طفرَ الصحاح ١: ٢٣١ «وثب».

(٢) الزعقُ : الصياح، وقد زعقتُ به زعقاً. الصحاح ٤ : ١٤٩٠ «زعق».

الثلاثين[١]، فصاروا يلطمون في المآتم ولا يخرجون، وبذلك قُطع دابر ما ربما ينجم من المحرّمات والفتن.

ومن المعلوم أنّ الذي جرى على سيّد الشهداء من الصدمات المفجعة والمصائب المدهشة، إنّما صدر من جهة قيامه بتشييد الدّين وترويجه له؛ لأنّه سلام الله عليه قد تحمّل من البليّات ما لم يتحمّلها غيره.

إذن ينبغي على أهل الدّين ذِكْرُ صنيعهِ الحسن على المنابر وغيرها، وبيان ما صدر عليه إلى يوم القيامة؛ ليكون سلام الله عليه قدوة لكلّ من أراد أن ينحو هذا النحو، فلذا نحن لا نستحسن غير تشييد المآتم وانعقاد المحافل تشهيراً بجهاد الحسين عليه السلام.

ونحن نحمدُ الله سبحانه على ما نرى من ضيق المآتم في هذه السنة بالمستمعين، وحصول المقصود منها للباني[٢] والقارىء، ممّا سينالون من الثواب العظيم بخدمتهم وبذلهم وبكائهم على آل الرسول صلى الله عليه وآله، وقد نقل لي أنّه لم تكن تحصل في المآتم هذه الهيئة في اليوم العاشر الذي الناس يخرجون إلى النظر وراء المواكب السائرة في الطرقات.

فنسأل الله سبحانه التوسعة على من رفضها ولم يفعلها طاعة لله سبحانه في تعظيمه سامي مقام شرف عقائل الرسالة، وفي تنزيهه للشريعة المقدّسة عن هذه السخافات، ونطلب من الله جلّ وعلا تسديد عموم من تعوّدوا على فعلها ـ ولو في غير البصرة ـ إلى رفضها وتركها بتاتاً.

---

(١) أي سنة ١٣٣٠ هـ.

(٢) أي الذي تبنّى إقامة مجلس العزاء وتكلّف جميع مصاريفه.

والأولى أن تُصرف هذه المبالغ الطائلة في سبيل العلم والعرفان، وتمهّد فيها الطرق لطلبة العلوم الدينيّة، فإنّهم ـ على قلّتهم في عصرنا ـ مشغولون في تحصيل معيشتهم؛ لعدم من يقوم بمصارفهم، فهم يضربون البرَّ والبحر في سبيل ذلك، فلذا لا يتسنّى لهم تحصيل العلوم.

أليس هذا خير من إنشاء السفاسف[1] وبناء هياكل السخرية؛ إذ به يتّسع نطاق المعارف، وتترامى أطراف دائرة العلوم، فيكثر المتعلّمون، وينشأ المحقّقون، فيرفعون منار الدّين، ويبرزون للملأ أسرار الشريعة المحمديّة المكنونة. فطوبى لباذلي أموالهم في هذا السبيل؛ لدخولهم في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّة أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَة مِائَةُ حَبَّة وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[2].

ونحن نحذّرهم من الدخول في قوله سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَاب أَلِيم يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[3].

ومن المعلوم أنّ المال عارية غير باق عند الخلق، فهو ينفد في حياتهم: إمّا بخسارة تجارة، أو سرقة، أو غرق، أو حريق، أو بغير ذلك. أو يبقى للورثة، وتبقى معه التبعة على جامعه، والمهنّأُ لغيره.

---

(١) السفساف : الرديء من كلّ شيء، والأمر الحقير. الصحاح ٤ : ١٣٧٥ «سفف».

(٢) البقرة (٢) : ٢٦١.

(٣) التوبة (٩) : ٣٤ ـ ٣٥.

فإن بذله جاء معه في سبيل الله، فقد فاز بمرضاة الله سبحانه وتعالى وعظيم مثوباته، ونجا من الكيّ في نار جهنّم، فنسأله تعالى أن يوفّق ذوي المال لتشييد الدّين وترويجه.

ونحن نُلفت أنظار ذوي الشعور إلى أن يميّزوا بين الضارّ والنافع، وأن يجتنبوا الرذائل كالتياترو[١] والسينما والقمار وغير ذلك من الملاهي، وأن يصرفوا ما يُصرف في هذه الطرق غير المشروعة والمعاقب عليها في ما هو مشروع ومثاب عليه في النشأتين ممّا يرضي الربّ ويخلّد الذكر الحسن.

فالمأمول من إخواننا المؤمنين، الذين قد غلبهم هوى النفس برهة من الزمان، فأدخلهم في بذل المال النفيس في المحرّمات، التوبة من ذلك، ومخالفة النفس، وصرف مثل ذلك المال في سبيل طاعة الله؛ ليحصل لهم الفوز بما ضمنه سبحانه في آية ﴿**سَبْعَ سَنَابِلَ**﴾[٢].

وأمّا ما فعله الوهّابيّون ـ المستحلّون دم ومال وعرض عامّة من خالفهم من المسلمين ـ بقبور أهل البيت وخاتم الرُسل صلى الله عليه وآله في المدينة المنوّرة المقدّسة المعظّمة، وقبابها الشريفة المحترمة[٣]، فهو في الفظاعة والشناعة

---

(١) كلمة فارسية، وأصلها «تئاتر»، وقد تلفظ «تياتر» : وهي محل إقامة التمثيليات المعبّر عنه بالعربية بـ«المسرح». انظر: لغت نامه «دهخدا» ١٤ : ١١٧٤.

(٢) البقرة (٢) : ٢٦١.

(٣) وهو ما جرى في الثامن من شوال سنة ١٣٤٤ هـ من هدم قبور الأئمة عليهم السلام في البقيع إثر الفتوى التي أصدرها مجموعة من علماء الوهابيين بعد السؤال الذي وجهه لهم الشيخ عبد الله بن بليهد.

والخزي على التجسّر عليها، تال لما فعله يزيد وشيعته لعنهم الله بسيّد شباب أهل الجنّة ريحانة خير الرسلﷺ وبأهل بيته على جدّهم وعليهم وسلّم، فإنّها من أفاضل البيوت التي ﴿**أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ**﴾[١] حسبما روى ما دلّ على ذلك مُحبّ الدّين الطبري في الرياض النضرة[٢].

وحديث مسلم في صحيحه[٣].

---

(١) النور (٢٤) : ٣٦.

(٢) الرياض النضرة ٣ : ١٥٢.

(٣) صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ حديث ٢٤٠٨، وفيه عن يزيد بن حيّان التيمي، قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللهﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت معه، لقد رأيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللهﷺ.

فقال : يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللهﷺ فما حدّثتكم فاقبلوه، وما لا فلا تكلفونيه.

ثمّ قال : قام رسول اللهﷺ يوماً خطيباً فينا بماء يُدعى خّماً بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثمّ قال:

«أمّا بعد يا أيها الناس، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي عزّوجلّ فأجيب، وأنّي تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله عزّوجلّ فيه، الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به».

فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه: قال : «وأهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي اذكّركم الله في أهل بيتي، اذكّركم الله في أهل بيتي».

فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: إنّ نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.

قال: ومن هم؟

قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

⇦

وغيره من الصحاح المعتمدة[١] عن زيد بن أرقم قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور ـ إلى قوله : وأهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي» قالها ثلاثاً.

والثقل : عبارة عن الشيء العظيم الذي ليس له نظير في الخطر[٢].

نعلم من الخبر الشريف كون الكتاب المجيد وأهل البيت الذين قد قرنهم به، ليس لهما في عظم الخطر نظير في ما تركه في أُمّته بعده.

ومَن هذه حال رفعة قدرهم وعظم خطرهم، يجب على أُمّته تعظيمهم وتوقيرهم وتجليلهم، وحرمة المؤمن ميّتاً مثل حرمته حيّاً[١] ، فكيف بحرمة من هذه عظمة خطرهم؟!

⇨

قال: كلّ هؤلاء حرم الصدقة؟

قال: نعم.

ورواه بهذا اللفظ أحمد بن حنبل في مسنده ٥ : ٤٩٢ ـ ٤٩٣ حديث ١٨٧٨٠.

(١) وورد هذا الحديث في مجاميع حديثية كثيرة معتمدة عند أبناء السنّة. انظر: موسوعة أطراف الحديث النبوي ٣: ٦٤٣.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ١ : ٢١٦ «ثقل» : فيه ـ أي في الحديث – «إني تارك فيكم الثَّقلين : كتاب الله وعترتي». سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، ويقال لكلّ خطر نفيس ثقل، فسمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما.

ولذلك ندب شرعاً إلى زيارة قبور عموم المؤمنين، روى ما دلّ عليه إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل في مسنده في عدّة مقامات من طُرق عديدة[٢].

وما وجهه سوى تعظيم شأن المؤمن، فزيارة مَن عرفتَ عظم خطرهم بطريق أولى، فما حال من خرّب بيوتهم التي هي من أفاضل البيوت التي أمر الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه[٣].

وصاحب الجريدة[٤] لم يلتفت إلى الحقيقة عند المفاوضة، فرسم في جريدته ما لم يترقّب رسمه منه.

⇨

(١) روى الشيخ الطوسي في التهذيب ١: ٤٤٥ حديث١٤٤٠ بسنده عن الفضل بن يونس الكاتب عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: «كان أبي يقول: إنّ حرمة المؤمن ميتاً كحرمته حيّاً».

وروى الشيخ الكليني في الكافي ٧ : ٢٢٨ حديث٢ باب حدّ النبّاش بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنّ حرمة الميّت كحرمة الحيّ».

ورواه أيضاً الشيخ الصدوق في الفقيه ٤ : ٥٢ حديث ١٨٩ والشيخ الطوسي في التهذيب ١٠: ١١٦ حديث ٤٦١، والاستبصار ٤: ٢٤٦، حديث ٩٣٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣ : ١٨٦ بسنده عنه أبي هريرة، قال: زار النبي صلى الله عليه وآله قبر أمّه فبكى وبكى من حوله...، فزوروا القبور، فإنّها تذكر الموت.

وفي الصفحة ٤٢٧ الحديث رقم ١٠٩٣٦ روى بسنده عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنّ فيها عبرة».

(٣) إشارة الى الآية ٣٦ من سورة النور.

(٤) أي جريدة الأوقات العراقيّة التي كانت تصدر في مدينة البصرة في العراق.

وأمّا مسألة وقعة نهر اليهودي، فقد بيّنها صاحب الجريدة على غير وجهها، فإنّي قد قلت له صريحاً بأنّه في العام الماضي[١] قد رُمي المأتم بالحجارة، فأُخبر المختار بذلك فمنعهم.

وفي هذه السنة قد رُمي بالحجارة ثانياً، فأُخبر المختار بذلك فانكفّ الرمي به.

ثمّ صار البعض يجلسون في طريق المآتم يؤذون من يمضي إلى المآتم، فأُخبر المختار بحقيقة الحال، فأوعد بمنعهم عن الجلوس.

وبعد ذلك بلغنا الهجوم على المآتم، وجرى ما جرى من المضاربة.

والعاقل من هذه المقدّمات يلتفت إلى أنّ الهجوم على المآتم قد تسبّب عن عصبيّة دينيّة، دون غيرها من الجهات، ولذلك خشيت الهيئة العلميّة ـ لمّا بلغها ذلك ـ من التعدّي إلى سائر المآتم، فيعظم الفساد ويختلّ نظام الوفاق بين المسلمين، الذي يجب عليهم خاصّة وعلى كلّ مسلم المحافظة عليه بكلّ ما يقدرون عليه.

ففي الفور مضت الهيئة العلميّة إلى سعادة المتصرّف وبيّنت له الحال، وحذّرته من وخامة المآل، فبعث ذلك الوقت من يخمد هذه النائرة على وجه يستحيل صدور مثلها، ثمّ جرى ما يلزم من التحقيقات في هذه القضيّة، وما يترتّب عليها من المجازات، فشكرته الهيئة العلميّة على عظم همّته، وودّعته وخرجت مسرورة منه.

---

(١) أي في سنّة ١٣٤٤ هـ، لأنّ تأريخ تأليف وطبع هذه الرسالة كانت سنة ١٣٤٥ هـ.

فنسأله سبحانه التسديد لنا ولهم ولسائر عباده إلى ما يُحبّ ويرضى.

وكان الفراغ من تبييضها في ١٥ محرّم سنة ١٣٤٥ هـ.

(٤)

رسالة في حكم إقامة الشبيه

تأليف

السيّد محمّد شريف التقوي الشيرازي الونكي

ترجمها من الفارسيّة إلى العربيّة

الشيخ محمّد الحسّون

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة موجّهة إلى المحضَر المبارك جناب السيّد محمّد شريف الشيرازي مدّ ظلّه العالي:

ماذا يقول في التشابيه التي تقام في إيران والمتعارفة فيها، فإنّ مقلّدين حضرة آية الله يطلبون حكماً قطعيّاً فيه ويلتمسون الجواب؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

أيّها السائل العزيز، ماذا نقول؟ وقد تصرّف الجهلة في الأحكام الشرعيّة ، وغيّروا القوانين الإلهية، طبقاً لميولهم ورغباتهم النفسيّة، فإنّ عوام الناس مأمورون بالسؤال من العلماء، كما يقتضيه الحكم الإلهي القائل: ﴿**فَاسْأَلُواْ**

أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[١] فهم كذلك لا يعملون بتكليفهم الشرعي، أو يعتقدون أهليّة من ليس أهلاً للاقتداء فيتبّعونه ويقتدون به، اقتداءً بمظاهر الأئمة الذين يدعون إلى النار[٢]، ولا مبلاة بمظاهر الأئمة الذين يهدون بأمرنا[٣]، ويتعبّدون بما يستحسنوه بعقولهم وما وافق مزاجهم وأذواقهم، وقد جعلوا كثيراً من المنكر الشرعيّ معروفاً، وكثيراً من المعروف الشرعيّ منكراً.

ومن جملة هذه البدع أفعال الشبيه والهيئات ، التي معناها الاختراع والبدعة التي لم يكن لها وجود قبل العهد الصفوي، وقد نشرها ملوك الصفويّة على هذا النحو الخاص؛ كي يُبكوا بها الناس ويحرّكوا مشاعرهم، ومع سكوت بعض العلماء وعدم جرأتهم على التصريح بالحرمة؛ لأنّ الأمر يتعلّق بعزاء سيّد الشهداء عليه السلام.

ولكنيّ ـ الحقير الفقير الذي انحدر من سلالة هذا الجليل ـ اُحرّم ذلك بكمال الجرأة ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر[٤]، وأنا على يقين بأنّ جدّي الجليل الحسين عليه السلام وجميع أجدادي الأطهار راضون بذلك:

أولاً: إنّ العبادة أمرٌ توقيفيّ، ولابدّ أن يُحدّد لنا الشارع المقدّس طريقة خاصّة لها ، فتصل إلينا، وقد اُخترعت هذه الهيئات ـ بهذا النحو ـ منذ زمن

---

(١) النحل: ٤٣.

(٢) ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ** ﴾ القصص: ٤١.

(٣) ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾ الأنبياء: ٧٣.

(٤) ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ** ﴾ الكهف: ٢٩.

الصفويّة إلى ما بعد ذلك، وكون الشيء من المستحبات لابدّ أن يصل إلينا بدليل شرعيّ، وليس لدينا دليل على جواز هذه الطريقة.

ولو قلتَ: إنّ السيرة جرت عليه.

قلنا: إنّها سيرة مُستَحدثة وليست معهودة في زمن النبيّ، وعليه فلا اعتبار لها.

ولو قلتَ: إنّها تندرج تحت عنوان «من بكى أو أبكى»[1] .

قُلنا: إنّ العموم جارٍ في لفظ «مَن بكى» ومسلّمٌ عليه، ولكنّه ليس كذلك في «مَن أبكى» ؛ لأنّ «أبكى» فعل ، والفعلُ مطلق ، وإنّما ينصرف التعميم فيه إلى الشائع من أفراده في زمن صدور الخطاب، وبالإجماع لم يكن هذا الفعل موجوداً في زمن صدور الخطاب.

وأمّا مسألة الشيوع والكثرة في الاستعمال، أو الكثرة في الوجود، أو كلاهما، فإنّها من القضايا المسلّمة، ولكنّها مفقودة من زمن صدور الخطاب، وما هو موجود منها النوح فقط، وهو ما يقرأه النوّاح، فحينما كان يرحل شخص عن الدنيا، يأتي رجل إلى مجلس الرجال ويقوم بذكر صفاته، فيبكي لذلك السامعون، وكذا في مجلس النساء، تقوم امرأة بعدّ صفاته، فتبكي لذلك النساء.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ٢٠٥.

ثمّ إنّ هـذا الحـديث ضـعيف، وإنّمـا يُجبـر بالشـهرة التـي وردت إلينـا مـن الشارع.

أمّا الهيئة، فلم تصل إلينا من الشارع.

ولو قلتَ: إنّ القيام بها مبنيّ على قاعدة التسامح في أدلّة السنن.

قلنا: إنّنا لا نستطيع تطبيق هذه القاعدة إلّا بعد صدور حديثٍ يتعلّق بالهيئـة، فنتمسّك به حينئذٍ، وأمّا مع عدمه فكيف نتمسّك به؟!

ثانياً: بغض النظر عن حرمة الهيئة ـ لأنّها لم تصل إلينـا بـدليل شـرعيّ، وقـد جعلتها أيّها العامّي أو العالم المتعامي أمراً مستحبّاً، وشرّعت ما هـو بدعـة ـ فـإنّ المحرّمات الجهريّة والجهالات الظاهرة من الفاضحات، فنضمّ إلـى ذلـك تـزيّ الرجال بزيّ النساء وظهورهم بشكلهنّ الذي هو أمر محرّم.

والآخر: الضرب بالصنج الذي جاء فيـه: «إيّـاك والضـرب بالصـوانج، فـإنّ الشيطان تركز معك والملائكة تنفّر عنك»[1]، فقد جعلت منه أمراً مستحبّاً.

والآخر: استعمال آلات اللهو من قبيل الموسيقى المحرّمة، فقد جعلتها مـن ضمن العزاء، وتأتي بصبيّ أمـرد تشـبيهاً بفاطمـة الجديـدة العهـد بـالعرس، ثـمّ تجعل هذه الإهانة والتجرّي سائداً.

---

(١) كذا، والصحيح كما جاء في الفقـه المنسـوب للإمـام الرضـا عليه السلام: ٢٨٤ «وإيـاك والضـربة بالصولجان، فإن الشيطان يركض معك، والملائكة تنفر عنك».

فلو مثّل أحد الناس وشبّه بنتك بولدٍ، ثمّ قال: هذه بنت فلان ، ثمّ أخرجها أمام الملأ ونصْبَ أنظار الشباب العزّاب، ثمّ مثّل دور العروس والعريس، فماذا يحلّ بك حينها؟ وكيف تنفعل لذلك؟ فلماذا لا تستحي أيّها المسكين من النبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام؟

وإلى أيّ حدّ بَلَغْتم بجسارتكم، وكُنتم متعرّين من الحياء أيّها الناس، كلّ هذا موجود في مسألة الإبكاء، وكذلك عندي كلام في مسألة «من بكى»، والعموم الموجود فيه.

ومع أنّ كلامي موجّه في العموم، ولكن ما من عامّ إلّا وقد خُصّ، و إلّا كيف يستحق الزاني ، وشارب الخمر، وآكل الربا، واللاطي، وجميع أهل المعاصي والمساوئ من مرتكبي المحرّمات، أعمّ من أنّها حقّ الله وحقّ الناس، الجنّة بمجرّد البكاء[1]؟!

إنّه أمر يتنافى مع الشرع والقواعد الشرعيّة.

وكما يُقال تصوّراً: إنّ الله قال للحسين: إنّي جعلتُ البكاء عليكَ شافعاً في الدين ، وعليه فلا حاجة لفعل الواجبات وترك المحرّمات.

---

(١) في ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١١١ عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «ومَن ذُكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة، كان ثوابه على الله عزّ وجلّ، ولم يرضى له بدون الجنة».

كيف يكون ذلك! والحال أنّ الغرض الحقيقي والهدف الرئيسي من استشهاده، والمصائب الحالة به، هو حفظ الدين، فحلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

أيّها العاميّ المسكين، انظر إلى ا لآية الشريفة التي جاءت بهذا الترتيب من البيان فقالت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾(١)، فلابدّ أن يحصّل الإيمان أوّلاً، ثمّ تستخرج التقوى منه، ثم اطلب الوسيلة منه، لا أنك تطلب الوسيلة بدون الإيمان والتقوى.

أيّها المسكين، إنّ للإيمان ثلاث درجات، أهونها ـ كما قال ـ: أن تسوءه السيّئة، ومعنى ذلك أن تحصل حالة اشمئزاز من الذنب.

الثاني: إنّ الدرجة حالة كحالة النزع.

الثالث: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(٢)، إنّهم لمّا يسمعوا اسم الله تخشى قلوبهم وترتجف أبدانهم وتسيل دموعهم.

أيّها المسكين، إنّ الأرض لم تُحرث بعدُ، ولم تُبذر، ولا سُقتْ، وأنّك تقول: أتوسّل كي أحصد منها قمحاً أو شيئاً آخر. إنّما يكون التوسّل بعد تحصيل المقدّمات ليتمّ التحصّن من الآفات.

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) الأنفال: ٢.

أيّها المسكين، إنّ البعض يترك المنكرات والمعاصي التي يقوم بها العوام لتحصيل المراتب الدنيويّة، لما ثبت في ذهن العاميّ بشكل تدريجي أنّ ما يصدر من العوام لا يعدّ عيباً، ويتصوّر بذهنه القاصر أنّه أمرٌ مستحبّ، وهو من العزاء الذي يكون فاعله من أهل الجنّة، ومثال ذلك التعرّي بحضور النساء الأجنبيّات واللطم أمامهن، أو إظهار الصدور والظهور في محضر النساء من غير المحارم، والضرب عليها بالسلاسل.

أيّها المسكين، إنّه يكفي في التحريم اختلاط النساء بالرجال الأجانب، وإبراز عضو من أعضائهن أمامهم. والحال أنّه لا يجوز للمرأة الكشف عن عضو من أعضائها أمام الأجانب إلّا الوجه والكفين إلى المفصل وفي حالة الضرورة فقط، والدليل على هذين الأمرين الآية: **﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾**(١).

أيّها المسكين، لماذا تبدّل الأحكام الإلهيّة بالمستحسنات العقلية والأوهام الواهية؟ ثمّ تضيف أنّ حضور الرجال عند النساء الأجنبيّات، وهنّ مكشّفات الرؤوس، ليس إلّا اجتهاد في مقابل النصّ الصريح.

فلماذا تؤمن ببعض وتكفر ببعض؟ والحال أنّك أيها المسكين جعلت من الحرام الصريح أو المكروه جزءاً من العزاء، ومضافاً إلى حرمة هذا ومبغوضيّته عند الإمام عليه السلام، فإنّه يستلزم نقض الغرض لحضرة الحسين روحي فداه.

---

(١) النور: ٣٠ ـ ٣١.

وما هو السبب الذي يقتضي كلّ هذه المعاصي والمساوئ؟ فالنساء يجتمعن ـ خصوصاً في الليل إلى أن ينتهي أمد هذا الأمر ـ في الزقاقات والأسواق، ويختلطن بالرجال ويلتصقن بهم، فإنّ صاحب المجلس هو الباعث والمسبّب لهذا النحو من الفسق والفجور.

أيّها السائل العزيز، إنّما نحن أتباع الشرع المقدّس، فما أقرّ بحليته فهو حلال لنا، وما حرّمه فهو حرام، وكلّما أوجبه نعتقد وجوبه، وما استحبّه فهو مستحبّ عندنا، ولا نأخذه متعامين وجاهلين؛ لأنّ البدعة: هي إدخال ما لم يكن من الدين فيه.

فإنّ الهيئات ليست داخلة في دائرة المستحبّات، ولكنّك أدخلتها فيها، وكذلك أجزت بعض التصرّفات الأخرى وعنونتها بعنوان العزاء، فإنّ الموسيقى فعلاً محرّمة، ولكنّك جعلت منها أمراً مستحبّاً.

وكذا الضرب بالصنج حرام أو مكروه، وقد جعلته مستحبّاً.

وتشبيه الرجل بالمرأة أمر محرّم، ولكنّك جعلت منه أمراً مستحبّاً.

وعليه، فإنّ ذلك عكس ما أراده سيّد الشهداء وبيّنه في كلماته حيث قال: «هل تطلبوني بقتيلٍ منكم قتلته، أو مال لكم استحللته، أم شريعة بدّلتها، أم سنّة غيّرتها، أم حرام حلّلته، أو حلالٍ حرّمته ، فبم تستحلون دمي؟»[1].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٨: ١٩٤.

وهناك لبعض المرتدّين حجّة يوم القيامة مفادها: أنّ الكذب في التعزية لا إشكال فيه، وكأنّ هذا نقض لجميع الشرائع، كيف لا! وهل يكون العزف على الطنبور، والغناء، والصبيّ الأمرد، والكذب على الله والرسول، إقامة للعزاء؟!

فيتضّح ممّا تقدّم أنّ مَن ارتكب هذه الأمور يكون مهدور الدم، فكيف تتوسل بهذه الأمور إذاً؟!

ومضافاً إلى اتخاذ هذا الأمر المحرّم جزءاً من العزاء، والحكم باستحبابه، فقل: أيّتها النفس الغافلة، إذا ظهرت في الإسلام البدع فيجب على العالم أن يظهر علمه، وإلّا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[1] اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا تسلّط علينا من لا يرحمنا.

إنّ السيّد السجّاد، الذي هو إمام وابن إمام، يقول: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا تسلّط علينا مَن لا يرحمنا».

أنظر أيّ من هذه المحن الدينيّة والمصائب الشديدة التي أصابت هذا الجليل، الذي كان يحمل هموم الدين، ولكن أنا وأنت لا نفكّر بهذا الدين.

وإنّ الدين ليس له وجود خارجيّ بحيث تشير إليه قائلاً: هذا، وإنّما الدين عبارة عن الأحكام التكليفيّة الإلهيّة، التي شُرّعت لتقويم حياتنا أنا وأنت، وهو رجوعٌ واتّباع للوحي الذي يُوحى، حيث قال تعالى: ﴿ **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ** ﴾[2].

---

(١) الإنسان: ٣.

(٢) يونس: ١٠٩.

وقوله: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾[1].

إنّ العبادة تقتضي قصد القربة، والقربة ليست محصّلة إلّا بأمر من الشارع، فأين جاء تشريع أعمالكم وأفعالكم هذه؟ نحن مأمورون بإطاعة الله والرسول وأولي الأمر، الذين هم الأئمة الطاهرونعليهم السلام.

وبحكم ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[2] فإنّ أفعالكم هذه ليست ممّا نصّ عليها الله ولا الرسول ولا أُولي الأمر، وليست داخلة إذاً في ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾[3] وإنّما هي أهواء تندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[4].

وقوله: ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾[5].

إنّك اتخذت إلهك هواك، ودينك لهواً ﴿اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾[6].

انّك اتخذت الدنيا ربّاً لك «واتخذوا الدنيا ربّاً فلُعِنت بهم ولُعنوا بها».

إنّك ملّكت أمرك للشيطان و«اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا»[7].

---

(١) الأعراف: ٣.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) الأعراف: ٣.

(٤) ص: ٢٦.

(٥) الفرقان: ٤٣.

(٦) الأعراف: ٥١.

(٧) نهج البلاغة: ٤٤، خطبة ٧، «ومن خطبته له يذّم فيها أتباع الشيطان».

أين ورد التطبير لعزاء سيّد الشهداء في الكتاب والسنّة؟ وأيّ إمام أمر بهذا؟

يا متبّعَ الهَوى، إنّ النبيّ قال: «لا ضرر ولا ضرار في الدين».

أيّها المسكين، لماذا تضيّع المنهج الذي ورد في الشرع، والطريقة التي ذكرت في العزاء والرثاء في قوله: ﴿وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾[١]؟

إنّ الوسائل الحسينيّة ـ على صاحبها السلام ـ تقرب مأتين وسيلة ومنهجاً، فما ابتدعته منها داخل في أيّ قسم من هذه الوسائل؟ فإنّ الجرح، سواء كان بيد الإنسان أم بغيره، فهو حرام شرعاً.

وفي أيّ شيء من هذا الفعل المحرّم تحرز رضى الإمام الحسين عليه السلام؟ لماذا ابتدعتم هذه البدعة؟!

إنّي أخشى أن يتحوّل الخطاب عذاباً شديداً، ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾[٢].

إنّي أخشى أن يتحوّل هذا الخطاب عذاباً عليكم بسبب هذا اللهو واللعب، فيشملكم قوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[٣].

يا أيّها العلماء، يا حُجج الإسلام، يا آيات الله، لماذا لم تؤيّدوا وتنظروا في ﴿تَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٤]؟

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) البقرة: ١٦٢.

(٣) النبأ: ٣٠.

(٤) المائدة: ٢.

لماذا لم تنظروا في ﴿ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[١]؟

لماذا لم تنظروا في ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾[٢]؟

وفي كلّ حين تخطئون تقرنون جوابكم بالأمور الحسنة، قوموا بنهي العوام عن الملاهي والمناهي والألاعيب، فإنّ دين الإسلام غريب، ولا يوم كيومنا على الإسلام الغريب.

الأحقر محمّد شريف التقوي الموسوي الشيرازي.

كتبه العبد الجاني علي بن إسماعيل الأصفهاني، في شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٣.

اللهم اغفر لهما[٣].

---

(١) المائدة: ٢

(٢) الأنفال: ٧٢.

(٣) كتب في آخر النسخة التي اعتمدنا عليها: طبع في أصفهان ، مطبعة فرهنگ.

(٥)

المواكب الحسينيّة

تأليف

الشيخ عبد الله المامقاني

(١٢٩٠هـ - ١٣٥١هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمّد وآله الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم الدين.

السؤال: ما يقول مولانا حجّة الإسلام والمسلمين - أيّده الله في العالمين ودام ظلّه العالي - في المواكب المحزنة التي اعتاد الجعفريّون اتخاذها في العشر من المحرّم تمثيلاً لفاجعة الطفّ، وإعلاماً بما انتهك فيها من حرمة الرسولﷺ في عترته المجاهدينعليهم السلام بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم وعلى الأطفال من القتل والقسوة، بإعلانهم الحزن لذلك الفادح بكافّة أنواعه:

من ندب، ونداء، وعويل، وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور، وبالحديد على الرؤوس والظهور، إلى غير ذلك ممّا هو معلوم ومشهور، منضمّاً إلى بروزهم بهيئاتهم المعروفة وحالاتهم الموصوفة، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر أم لا؟ أفتونا مأجورين، مع بيان المستند؛ ليكون حجّة على من أنكر أو عاند؟

الجواب: قد سُئلتُ عن هذه قبل شهر تقريباً، فقلت في الجواب: لا ينبغي الشبهة في جواز الأُمور المذكورة في السؤال، بل وإدماء الرأس بالسيف، بل لو أفتى فقيه متبحّر بوجوب ذلك كفاية في مثل هذه الأزمنة - التي صمّم جمع فيها على إطفاء أنوار أهل البيت عليهم أفضل الصلوات والسلام - لم يمكن تخطئته.

نعم، يجتنب الرجل لبس لباس المرأة على وجه لا يتميّز عنها، وبالعكس على الأحوط، ومن ضرب آلات اللهو على الكيفيّة التي تضرب بها للّهو والطرب، لا على الكيفيّة المرسومة في العزاء الشائعة، والله العالم. انتهى.

وحيث إنّك الآن طلبت بيان المستند في ذلك، أقول مستمدّاً من وليّ التوفيق:

إنّه قد تطابق العقل والشرع، ونطق الكتاب(١) والسنّة(٢) من الفريقين بإباحة كلّما لم يدرك العقل فيه قبحاً ولا ضرراً، أو لم يرد فيه من المولى نهي ولا تحريم، بل على ذلك إجماع العقلاء وأهل الملل والأديان، ومن

---

(١) قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً**﴾. البقرة (٢) : ٢٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٣١٧ الحديث ٩٣٧ باب «استحباب البكاء من خشية الله»، وفيه: عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «كلّ شيء مطلق حتّى يرد فيه نهي».

وفيه أيضاً ٣: ٣٤١ الحديث ٤٢٠٨، قال أبو عبد الله عليه السلام: «كلّ شيء يكون فيه حلال وحرام فهو لك حلال أبداً حتّى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه».

يظهر منه الخلاف بادئ بدئ فهو بعيد التأمّل، منازع في الصغرى أو مشكّك فيه، كما شرحناه سابقاً مستوفىً في محلّه.

ومن البيّن عند كلّ محيط بالأخبار، متطلّع في كلمات فقهائنا الأخيار، عدم ورود آية، ولا رواية ولو ضعيفة أو مرسلة، بحرمة تشبيه شخص بشخص وإيجاد مثال قضيّة شخصيّة سيّما إذا كان لغرض عقلائي.

وهذه زِبرُ[1] الأوائل والأواخر، وكتب الأخبار من الفريقين، ليس فيها مَن منع ذلك عين ولا أثر، ومن ادّعى ذلك فليأتِ بكلام فقيه واحد أو رواية واحدة إن كان صادقاً.

وكيف؟! وأوّل من أسّس أساس تشبيه وقعة الطفّ العلاّمة المجلسيقدس سره، الذي هو أطلع العلماء بالأخبار والآثار وكلمات الفقهاء الأبرار، وكلّ من أتى بعده من علماء البلاد أمضى قوله وفعله، ولم ينكر ذلك عليه، ولا على المرتكبين له.

فبان أنّ المنع من التشبيه ممّا لا دليل عليه، وأنّ مقتضى الأصل جوازه، ومَن منع منه مُطالب بإقامة دليل عليه مُخرّج عن الأصل، ودون ذلك خرط القتاد[2]؛ لأنّ غاية ما يتصوّر تمسّكه به - تمسّك الغريق بالحشيش - أمور وهميّة:

---

(١) الزِبْرُ: الكتاب، والجمع زُبُور. الصحاح ٢: ٦٦٧ «زبر».

(٢) خرطت العود وأخرطه خرطاً: قشرته. وخرطت الورق: حتته، وهو أن تقبض على أعلاه ثمّ تمرّ يدك إلى أسفله. وفي المثل: «دونه خرط القتاد». الصحاح ٣: ١١٢٢ «خرط».
والقتاد: شجر له شوك. الصحاح ٢: ٥٢١ «قتد».

أحدها: أنّ ذلك فعل عبث.

وضعفه ظاهر عند أولي البصائر:

أمّا أوّلاً: فلأنّه لا دليل على حرمة كلّ عبث.

وأمّا الثاني: فلأن عدّ ذلك عبثاً يلحق قائله بأهل السوداء، ضرورة أنّ من أعظم ما تداول بين العقلاء عند إرادة إفهام شخص كُنه أمر معقول أو منقول، وهو تجسيم ذلك المعقول أو المنقول، حتّى يسارع الطرف الآخر إلى تلقّيه بالقبول، ولا تناله يد الإنكار من معاند أو مغفول.

وذلك أنّ مَن عدا نادر من كملي العقلاء لا يصلون إلى حقيقة الأمر إلاّ بالإحساس بالبصر، ولذا صار من السائر من المثل أنّه: «ليس البيان كالعيان» من حيث إنّ القوة الباصرة أقوى القوى المدركة، فكلّما أراد إفهامه على حقيقته ألبسوه لباس التشخّص الخارجي وأخرجوه إلى برج العيان، حتّى يسهل للعموم فهمه وإدراكه والنيل إلى كنهه وعمقه.

ولذا ترى أنّ أهل الهيئة صنعوا كرة من صفر، ورسموا عليها البروج والسيّارات؛ ليسهل تعليم المبتدئ مطالب الهيئة.

بل الله سبحانه لمّا أخبر آدم عليه السلام بوقعة الطّفّ، وأراد إفهامه حقيقتها، صوّر له مثالاً[1].

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢ الحديث ٤٤ باب «إخبار الله تعالى أنبياءه ونبينا صلى الله عليه وآله شهادته» وفيه:

وروى صاحب الدر الثمين في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾ (البقرة(٢):٣٧) أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبيّ والأئمة عليهم السلام، فلقّنه جبرئيل ⇦

وكذلك الله سبحانه لمّا أراد ستر جسد سيّدة النساءعليها السلام، أمر الملائكة فصوّروا لها صورة النعش، فأوصت أمير المؤمنين باتّخاذه لها قائلة: «إني رأيت الملائكة صوّرت لي صورته»[(١)].

وكذلك لمّا ضجّت الملائكة إلى الله سبحانه بالبكاء والنحيب «وقالوا: إلهنا وسيّدنا أتغفل عمّن قتل صفوتك، وابن صفوتك، وخيرتك من خلقك؟!

⇨

قل: «يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ علي، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن والحسين ومنك الإحسان».

فلمّا ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: «يا أخي جبرئيل، في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي»؟

قال جبرئيل: ولدك هذا يُصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب.

فقال: «يا أخي وما هي»؟

قال: يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً، ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه واقلّة ناصراه، حتّى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحد إلّا بالسيوف، وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه، وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنّان، فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى.

(١) روضة الواعظين: ١٥١ «مجلس في ذكر وفاة فاطمة الزهراء» وفيه:

قال أمير المؤمنينعليه السلام: «أربعة ليس إلى فراقهن سبيل: أمامة أوصتني بها فاطمة، ثمّ قالت: أوصيك يابن عم، أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته».

أوحى الله عزّ وجلّ إليهم: قرّوا ملائكتي، فوعزّتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين.

ثمّ كشف الله عزّ وجلّ عن مثال من ولد الحسين عليه السلام، فسرّت الملائكة بذلك، فإذا الحجّة المنتظر عجلّ الله تعالى فرجه قائم يصلّي، فقال الله عزّ وجلّ: بذلك القائم أنتقم منهم».

كما نصّ على ذلك مولانا الباقر عليه السلام في وجه تسمية مولانا الحجّة عجل الله تعالى فرجه بالقائم، في خبر أبي حمزة الثمالي المروي في العلل[1].

وكذلك الله سبحانه لمّا أراد أن يُري الملائكة عبادة عباده له، خلق لكلّ مؤمن مثالاً في العرش، يركع المثال بركوعه، ويسجد بسجوده، فتراه الملائكة ويصلّون عليه، ويستغفرون له.

إلى غير ذلك ممّا يقف عليه الخبير بالأخبار والسير.

فالتمثيل والتشبيه ليس بأمر حادث مبتدع، بل هو أمر عقلائي قديم متّبع، يرتكبه العقلاء لغاية جعل المعقول والمنقول محسوساً، ليرسخ فوراً في ذهن من رآه.

وبالجملة، فالغاية العقلائيّة العظيمة في صنع شبيه ما جرى بالطفّ، هو تجسيم الواقعة لينال عموم الناس إلى حقيقة الحال، فيحزنوا ويبكوا، ليؤجر الباكي ببكائه، ومحدّث الشبيه بإبكائه، إذْ قد ورد في الصّحاح والمستفيض

---

(١) انظر: علل الشرائع ١: ١٦٠ باب ١٢٩.

بل المتواتر من أخبار الفريقين، بكاء النبيّ صلى الله عليه وآله لمصاب الحسين عليه السلام عند إخبار جبرئيل به، وبكاء علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام معه لذلك[1].

(١) كامل الزيارات: ١٢١ باب ١٦ «ما نزل به جبرئيل عليه السلام في الحسين بن علي أنّه سيقتل» وفيه:

لما هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام ، أخذ بيد علي فخلا به مليّاً من النهار، فغلبتهما العبرة...».

وفيه أيضاً: ١٢٥:

دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تدمع، فسألته: مالك؟

فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام أخبرني أنّ أمّتي تقتل حسيناً، فجزعت وشقّ عليها، فأخبرها بمن يملك من ولدها، فطابت نفسها وسكنت».

والمستدرك على الصحيحين ٤: ١٩ وفيه:

حدّثني سلمان قال: دخلت على أُمّ سلمة وهي تبكي، فقلتُ ما يبكيك؟

قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: مالك يا رسول الله؟

قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً».

ومسند أحمد ٣: ٢٤٢، ومجمع الزوائد ٩: ١٩٠، وصحيح ابن حبّان ١٥: ١٤٢، والمعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٦، وموارد الضمآن ٧: ١٩٨، والإكمال في أسماء الرجال: ١٧٢، واللفظ لمسند أحمد:

عن أنس بن مالك: أنّ ملك المطر استأذن ربّه أن يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله فأذن له، فقال لأمّ سلمة: «أملكي علينا الباب لا يدخل أحد».

قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبيّ صلى الله عليه وسلم وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي صلى الله عليه وسلم: أتحبه؟

قال: «نعم».

⇦

وبكاء أمير المؤمنين عليه السلام عند مروره بأرض كربلاء في بعض حروبه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله[(١)].

وكذا ورد في أخبار الفريقين: «أنّ من بكى للحسين عليه السلام[(٢)]، أو أبكى

⇨

قال: أما أنّ أمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أمّ سلمة فصرّتها في خمارها.

قال: قال ثابت: بلغتها أنّها كربلاء.

(١) الإرشاد ١: ٣٣٢ وفيه:

عن جويرية بن مسهر العبدي، قال: لما توجّهنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفّين، فبلغنا طفوف كربلاء، وقف عليه السلام ناحيةً من العسكر، ثمّ نظر يميناً وشمالاً واستعبر ثمّ قال: «هذا – والله – مُناخُ ركابهم وموضع منيّتهم».

فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما هذا الموضع؟

قال: «هذا كربلاءُ، يقتلُ فيها قومٌ يدخلون الجنّة بغير حساب»، ثمّ سار.

فكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتّى كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه بالطفّ ما كان، فعرف حينئذ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما أنبأهم به.

ومجمع الزوائد ٩: ١٩١ وفيه:

وعن أبي هريمة، قال: كنت مع علي رضي الله عنه بنهر كربلاء، فمرّ بشجرة تحتها بعر غزلان، فأخذ منه قبضة فشمّها، ثمّ قال: «يحشر من هذا الظهر سبعون ألفاً، يدخلون الجنّة بغير حساب». رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) كامل الزيارات: ٢٠١ الباب ٣٢ «ثواب من بكى على الحسين بن علي عليه السلام» وفيه:

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتّى تسيل على خدّه بوّأه الله بها في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه فينا لأذى مسّنا من عدّونا في الدنيا بوّأه الله بها في الجنّة مبوأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار».المضض: وجع المصيبة. الصحاح ٣: ١١٠٦ «مضض».

أو تباكى وجبت له الجنّة»[١].

وإنّ «من ذُكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله تعالى، ولم يرض له بدون الجنّة»[٢].

إلى غير ذلك من الأخبار التي لا يسعنا هنا استقصاؤها، وفي ما سطّرناه كفاف لمن كان له إنصاف، ومن لا إنصاف له لا يدع الجحد والخلاف.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ٢٠٥ وفيه:

عن أبي عمّارة المنشد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: «يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين ابن علي عليه السلام».

قال: فأنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، قال: فوالله مازلت أنشده ويبكي حتّى سمعت البكاء من الدار.

قال: فقال لي: «يا أبا عمارة، من أنشد في الحسين بن علي عليه السلام فأبكى خمسين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فبكى فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين فتباكى فله الجنّة».

(٢) ثواب الأعمال للصدوق: ١١١ وفيه:

عن أبي هارون المكفوف، قال: قال لي أبو عبد الله: «يا أبا هارون، أنشدني في الحسين» فانشدته...، فلمّا فرغت، قال: «يا أبا هارون، من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشرة كتب لهم الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى خمسة كتب لهم الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام فبكى وأبكى واحداً كتب لهما الجنّة، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على الله عزّ وجلّ ولم يرضى له بدون الجنّة».

ثمّ إنّ في التشبيه المذكور واستطراق الشوارع به فوائد أُخر عقلائيّة شرعيّة مترتّبة عليه:

فمنها: ملئ قلوب عموم الناس بوقوع هذه الفاجعة العظمى، حتّى لا يبقى للإنكار مجال ضرورة.

إنّ الثبت في الكتب إنّما ينفع في إلزام العلماء، وأمّا العامّي فليس له من الكتب حظّ، فلولم يكن للوقعة شبيه في الخارج نالتها يد الإنكار، كما أنّ وقعة الغدير نالتها يد الإنكار من عموم العامّة، مع أنّ كتبهم بنقلها وروايتها مشحونة متواترة.

ولقد عثرت بعد يسير تتبّع في كتب أهل السنّة والجماعة، فضلاً عن كتبنا، على أكثر من أربعين رواية متكفّلة لنقل وقعة الغدير[١].

ولو كان للوقعة مثال في الخارج في كلّ سنة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام، لكانت القضيّة إلى الآن مسلّمة عند عموم الناس، ولم يسع أحد إنكارها.

ولقد اعترض منذ ثلاثين سنة[٢] تقريباً ابن باشى العسكر على جمع كانوا يلطمون على الصدور في صحن مولانا سيّد الشهداء أرواحنا فداه: بأنّه ما هذه الغوغاء في المجامع والطرقات، وما غرضكم بذلك؟!

---

(١) مسند أحمد ١: ٨٤ و ١١٨ و١١٩ و١٥٢ و ج ٤: ٢٨١ و٣٧٢ وج ٥: ٣٤٧ و ٣٦٦ و ٣٧٠، وسنن ابن ماجة ١: ٤٥، وسنن الترمذي ٥: ٢٩٧، وفضائل الصحابة للنسائي: ١٤، والمستدرك على الصحيحين ٣: ١١٠ و ١١٦ و ٣٧١ و٥٣٣، ومعجم الزوائد ٧: ١٧ وج ٩: ١٠٣.

(٢) في سنة ١٣١٥هـ تقريباً ؛ لأنّ تاريخ تأليف هذه الرسالة هو سنة ١٣٤٥، كما مثبت في آخرها.

فرأى أنّه إن أجاب: بأنّا نطلب بذلك الأجر؛ لاحتاج إلى إثبات أنّ فيه أجراً، ولا يمكنه ذلك في تلك الحال، فقال: إنّا لمّا وجدناكم أنكرتم وقعة الغدير على تواترها عندكم، التزمنا بالغوغاء في أيام هذه الوقعة في المجامع والشوارع؛ كي لا يسعكم إنكار وقوع هذا الظلم العظيم من يزيد لعنه الله، ولو كنّا نلتزم في وقعة الغدير بمثله لما وسعكم إنكارها.

ومنها: التفات عموم الناس برؤية هذه التشبيهات إلى قبح الظلم ووخم عاقبته ومبغوضيّته حتّى يجتنبوه، فإنّ السواد إذا رأوا أنّ العموم يستقبحون أفعال بني أُميّة، ويسبّوهم، دعاهم ذلك إلى الاجتناب عن الظلم؛ حذراً من السبّ والفضيحة الدنيويّة أقلاًّ.

ومنها: أن تتحقّق عند جميع أهل الملل خروج يزيد بأفعاله بما صنع بأهل بيت نبيّنا صلى الله عليه وآله من هذا الدين، حتّى لا يحتجّ الكفّار بشربه للخمر واشتغاله بالملاهي على حلّها في شرعنا.

ومنها: رؤية ا لكفّار التشبيهات في الشوارع، ورقّتهم - بموجب الرقّة البشريّة - لذريّة نبيّنا صلى الله عليه وآله الملازمة للرغبة في الإسلام.

ولقد أنتجت التشبيهات في بلاد إيران وقفقاسيا والهند وغيرها تشرّف جمع منهم إلى الإسلام، ونذر الكتابيّين والوثنيّين وعبدة النار والبقر لأهل البيت عليهم السلام، ودفعهم في كلّ سنة أموالاً خطيرة إلى الشيعة ليصرفوها في عزاء سيّد الشهداء أرواحنا فداه.

ولقد أدّى الحال إلى وضع شركة في تلك البلاد من تجّار النصارى بين أنفسهم وبين سيّد الشهداء عليه السلام، وكانوا يصرفون سهمه عليه السلام من الربح في عزائه، وكان يبلغ اُلوفاً، كما لا يخفى على مَن أحاط خبراً بأحوال تلك البلاد، وهذه كلّها ثمرة المواكب المحزنة في الشوارع والمجامع.

ولقد نقل لنا متواتراً منذ نشأنا إلى الآن، وشاهدنا في بعض أسفارنا بأبصارنا، أنّ الكفّار - حتّى الوثنيّين منهم - عند مرور التشبيهات في الشوارع يقفون، ويكشفون رؤوسهم احتراماً، ويبكون بمقتضى الرقّة البشريّة، بل يضربون أحياناً بالأيدي على الرؤوس ضرباً خفيفاً.

قد جرت عادة عبدة النار في بعض أقطار الهند على صنع شبيه «حجلة القاسم»[1] من خشب، وإعدادهم يوم عاشوراء ناراً جزيلاً، وحملهم «الحجلة»، ودخولهم من جانب إلى النار، وخروجهم من جانب آخر، وعدم تأثير النار فيهم، ولا في «الحجلة».

ولعلّ أساس ذلك من مسلم دخل فيهم قديماً، وأظهر التديّن بدينهم، ودلّهم على ذلك، فبقي بينهم عادة.

---

(١) في هامش النسخة المطبوعة ورد: «الحجلة، محركة، واحدة حجال العروس: وهي بيت يزيّن بالثياب والأسرّة والستور، ومنه الحديث: (عقولهم كعقول ربّات الحجال)».

مجمع البحرين ١: ٤٦٥ «حجل».

انظر: الكافي ٥: ٦ الحديث٦ باب «فضل الجهاد» وفيه: «يا أشباه الرجال ولا رجال، وحلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال، لوددتُ أنّي لم أركم ولم أعرفكم».

إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والشعائر الفخيمة التي تجعل الفعل حسناً ممدوحاً، بعد عدم ورود منع من المولى فيه، ويجزئ الله سبحانه منشيء التشبيه، عن أنفسهم، وعنّا، وعن الإسلام خيراً.

أمّا عن أنفسهم ؛ فلإبكائهم الناس واستحقاقهم لذلك الأجر الجزيل.

وأمّا عنّا فبحملهم ما لولاهم لكنّا مكلّفين بتحمّله لتحصيل المقاصد المزبورة.

وأمّا عن الإسلام ؛ فلتشييدهم له، وترغيبهم الكفّار فيه.

ثانيها: أنّ ذلك موجب لهتك حرمة رؤساء الدين وأئمّته، وتشبيه الرعيّة بهم.

وأنت خبير بوضوح فساده ؛ ضرورة أنّه ليس الغرض هو تشبيه النفس بالنفس، والشخص بالشخص، بل هو تشبيه محض للصورة والزيّ واللباس ؛ لتذكار أحوالهم، وللتأثرّ ممّا جرى عليهم.

فهو نظير تشبيه أمير المؤمنين عليه السلام بالأسد - الذي هو حيوان مفترس - تارة، وباليعسوب[(١)] أخرى، وبالزناد القادح[(٢)] - الذي هو جماد - ثالثة،

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٦: ٢٦٩ وفيه:

عن أبي ذر وعن سلمان، قالا: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد علي رضي الله عنه فقال: «إنّ هذا أوّل من آمن بي، وهو أوّل من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصّديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأُمّة، يفرق بين الحقّ والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين».

اليعسوب: ملك النحل، ومنه قيل للسيّد: يعسوب قومه. الصحاح ١: ١٨١ «عسب».

(٢) العقد النضيد والدر الفريد: ١٣٤ وفيه:

⇦

وبالشجرة رابعة[١]، وبالسيف[٢] - هو حديد - خامسة، وتشبيه الأتقياء بالخيل المحجّلة[٣]، كلّ ذلك بلحاظ صحيح، فأين التشبيه المبحوث عنه من الهتك المنهيّ عنه؟!

⇨

خرج معاوية ذات يوم إلى خارج دمشق راكباً على بغلة شهباء للتفرّج...، فلمّا أصحر إذا شيخ قد أقبل من صدر البريّة...، فقال له معاوية: كيف خلّفتَ أبا تراب؟

فقال الشيخ: فمن أبو تراب؟

قال: علي بن أبي طالب.

فقال: خف، ولمَ لا تقول: الميزان الراجح، والطريق الواضح والزناد القادح...».

وفي المزار للشهيد الأوّل: ٤٧:

«... السلام على الصراط الواضح والنجم اللائح والإمام الناصح والزناد القادح ورحمة الله وبركاته».

والزند والزنادة: خشبتان يستقدح بهما، العليا زند، والسفلى زنده. كتاب العين ٧: ٣٥٦.

والقَدّاح: الحجر الذي تُورى منه النار...، والقَدْح: فعل القادح بالزند وبالقداح ليوري. كتاب العين ٣: ٤٠ «قدح».

(١) كنز العمال ١١: ٦٠٨ الحديث ٣٢٩٤٣ وفيه:

«أنا وعلي من شجرة واحدة والناس من أشجار شتّى».

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ٦١ وفيه:

عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «... عليّ سيف الله على أعدائه».

(٣) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ١٠٥ وفيه:

وقال [الإمام الباقر عليه السلام] أيضاً: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ مبتدياً: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ البينة (٩٨) : ٧، هم أنت وشيعتك، وميعادي وميعادكم الحوض إذا حشر الناس، حيث أنت وشيعتك شباعاً مرويين غُرّاً مُحجّلين».

والغرّة، بالضم: بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم. الصحاح ٢: ٧٦٧.

⇦

نعم، الإنصاف إنّ جعل المتجاهر المعروف بالفسق شبيه هؤلاء الأطهار، والمعلنة بالفسوق شبيهة الطاهرات، هتكٌ يجب اجتنابه بجعل شبيههم وشبيههنّ الأخيار أو مجهول الحال أقلاً، وجعل المعلن بالفجور شبيه شمر وحرملة وسنان ونحوهم، والمعلنة بالفجور شبيهة نساء الأعداء.

بل الأحوط لزوماً ترك شبيهة حرم أهل الطفّ أصلاً، أو تشبيه رجل بهنَّ بوضع عباءة على رأسه، وستره وجهه بها.

وتوهّم كونه مشمولاً لما دلّ على حرمة تشبّه الرجال بالنساء[1] ولبسهم لباسهن، لا وقع له؛ لأنّ المراد بالتشبيه الممنوع منه إنّما هو التشبيه التام، بحيث لا يتميّز الرجل عن المرأة، ولا المرأة عن الرجل بوجه؛ لأداء ذلك إلى مفاسد عظيمة لا تحصى.

ولقد بُلّغنا سابقاً أنّ في بعض البلدان تتشكّل المرأة -التي زوجها مشغول عنها - بالغلمان بشكل الولد، وتكلّفه بأن يأتيها من حيث يأتي الغلمان، وأنّ النساء المساحقات تتشكّل الراكبة منهنّ بشكل الرجل تشبيهاً تامّاً، حتّى أنّها تسوّد محلّ شاربها، فيركبها ويساحقها.

⇦

وحجل في صفة الخيل (خير الخيل الأفرح المحجل) هو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد، ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين ؛ لأنّهما مواضع الأحجال وهي الخلاخيل والقيود. النهاية في غريب الحديث ١: ٣٤٦.

(١) روضة الواعظين: ٣١٠ وفيه:

وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن المشبّهين من الرجال بالنساء، والمشبّهات من النساء بالرجال.

وأنّ الفاسد من الذكور قد يلبس لباس النساء ويدخل في مجامعهنّ؛ ليطلع على أشكالهنّ، ويجد من يفجر بها منهنّ.

ولعلّ ذلك ونحوه هي أسباب المنع من تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، فتحريم التشبّه بهما إنّما هو للمنع من هذه النتائج التي لا تحصل إلّا بالتشبّه التام الذي لا يتميّز به عمّن شبّه نفسه به.

وأين ذلك، وكيف هو من لبس الرجل إزاراً أو عباءة على رأسه، فوق ثياب الرجال، وستر وجهه، وركوبه الناقة العريانة؛ لتجسيم الظلم الوخيم الصادر من أعداء الدين لغرض إبكاء الناس والفوز بالأجر، مع علم الناس بأنّه رجل؟!

ولئن تنزّلنا غاية التنزّل، وسلّمنا المنع من مطلق اللبس حتّى مثل لبس الإزار على ثيابه، فذلك لا يوجب إلّا المنع من التّشبه بنساء أهل الطفّ، وأين ذلك من مطلق التشبيهات المتداولة الخالية عن لبس الرجل لباس المرأة؟!

ثالثها: أنّ في التشبيه هتكاً لهم من جهة أُخرى، وهي: أنّ إظهار ما جرى عليهم من الذلّ والصغار والاستهانة والاستحقار هتك لهم عليهم السلام.

وفيه: أوّلاً: أنّه استفاضت الأوامر الأكيدة في الأخبار بذكر ما جرى عليهم من الذلّ والصغار والهتك والإضجار في المجامع الكبار، والتفجّع عليهم، والبكاء[1].

---

(١) الكافي ٤: ٥٨٣ الحديث ١١ باب «فضل الزيارات وثوابها» وفيه:

⇦

بل العقل السليم يقضي بحسن إشاعة ما جرى عليهم، بل لزومه؛ وذلك أنّ من ضروري مذهبنا أنّ تحمّلهم لما جرى عليهم لم يكن لعجزهم عن الدفع ضرورة، وأنّهم بسبب بلوغهم في العبادة والإطاعة إلى درجة، صاروا بها مصداق قوله سبحانه: «**عبدي أطعني تكن مثلي إذا قلت لشيء كن فيكون**»[1].

⇨

عن معاوية بن وهب: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام...، فوجدته في مصلاه... فسمعته وهو يناجي ربّه ويقول: «... وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا».

والأمالي للشيخ المفيد: ٣٤١ وفيه:

ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا دمعة، إلّا بوأه الله بها حقباً».

والحقب بالضم: ثمانون سنة، ويقال: أكثر من ذلك، والجمع أحقاب. الصحاح ١: ١١٤ «حقب».

والعوالم في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ عبد الله البحراني وفيه:

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة، إنّ نساء أُمّتي يبكين على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة، فإذا كان يوم القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكلّ من بكى منهم على مصاب الحسين عليه السلام أخذنا بيده وأدخلناه الجنّة، يا فاطمة كلّ عين باكية يوم القيامة إلّا عين بكت على مصاب الحسين عليه السلام فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنّة».

(١) إرشاد القلوب للديلمي ١: ١٥٦ وفيه:

⇦

كانوا قادرين على إفناء الأعداء، بل جميع العالم بكلمة واحدة في طرفة عين، كما يشهد بذلك: أنّ يزيد لعنه الله لمّا أذن لهم في الرجوع، وخرجوا وساروا يسيراً، ندم على ترخيصه إيّاهم في الرجوع؛ لأنّهم يفضحونه ببيان ما جرى عليهم منه، فأرسل جيشاً لإرجاعهم، فوعظهم مولانا السجاد عليه السلام فلم يتعظوا، فطرح عصى كانت بيده بقدر ذراع فصارت ثعباناً كثعبان موسى عليه السلام، وبلعت الجيش إلّا اثنين منهم، فأمرهما بالرجوع وإخبار يزيد بما جرى.

فقيل له عليه السلام: أين كانت هذه العصا في كربلاء؟!

⇨

وروي أنّ الله تعالى يقول في بعض كتبه: «يا ابن آدم، أنا حيّ لا أموت، أطعني في ما أمرتك أجعلك حيّاً لا تموت، يا ابن آدم، أنا أقول للشي كن فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون».

وبحار الأنوار ٩٠: ٣٧٦ وفيه:

في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، أنا غنيّ لا أفتقر، أطعني في ما أمرتك أجعلك غنيّاً لا تفتقر، يا ابن آدم أنا حيّ لا أموت، أطعني في ما أمرتك أجعلك حيّاً لا تموت، يا ابن آدم، أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني في ما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون».

وشجرة طوبى للشيخ محمّد مهدي الحائري ١: ٣٣، المجلس الثاني عشر وفيه:

قال عزّ من قائل: «عبدي أطعني حتّى أجعلك مثلي أقول للشيء كن فيكون، تقول للشيء كن فيكون».

فقال عليه السلام ما حاصله: إنّا إلى الخروج من باب الشام كنّا ملتزمين بأمر من الله سبحانه بتحمّل ما يجري علينا، وقد وفينا بعهدنا، والآن هم أعجز وأذلّ من أن يصيبونا بشوكة.

فقبولهم عليهم السلام لهذه المصائب مع قدرتهم على الدفع؛ لما كان بالنظر إلى حكم بالغة إلهيّة، كإنجائهم جمّ غفير في الآخرة بشفاعتهم، وإرائة العباد كيفيّة الإطاعة اللازمة عليهم، وتسلّي من تصيبه مصيبة بتذكر مصائبهم[1].

---

(١) في هامش النسخة المطبوعة التي اعتمدنا عليها في التصحيح: كما قال الشاعر:

أمست رزيّتكم رزايانا التي ... سلفت وهوّنت الرزايا الآتية

وهذا البيت من قصيدة للشاعر الشيخ عبد الحسين الأعسم الزبيدي النجفي، ولد في حدود سنة ١١٧٧هـ، وتوفّي سنة ١٢٤٧هـ.

كان عالماً، فقيهاً أصوليّاً، ثقة، محققاً مدقّقاً، مؤلّفاً، أديباً شاعراً مُفلقاً، مشهوراً.

أعيان الشيعة ٧: ٤٥٢.

وأولها:

قد أوهنت جلدي الديار الخالية ... من أهلها ما للديار وماليه

والبيت الذي قبله:

تبتلّ منكم كربلا بدم ولا ... تبتلّ منّي بالدموع الجاريه

والبيت الذي بعده:

وفجائع الأيام تبقى مدّة ... وتزول وهي إلى القيامة باقية

وغير ذلك من الحكم، لزم عقلاً إفشاء ما جرى عليهم، حتّى يعمّ التسلّي لأهل المصائب، ويلتفت عموم الناس إلى ما ينبغي تحمّله في مقام إطاعة الربّ تعالى وتقدّس، فإشاعة ما جرى عليهم من الذلّ والصغار، وتحمّلهم في مقام العبوديّة، مع القدرة على الدفع، ما يعجز عن تحمّله أواسط البشر، لازمة عقلاً فضلاً عن النقل.

وبعبارة أُخرى: علّة وقوع هذه الفاجعة هي العلّة في لزوم إشاعتها.

وثانياً: أنّه لو تمّ ما ذكر وجهاً للإشكال، للزم المنع من إظهار ما جرى عليهم حتّى باللسان نظماً ونثراً، مع أنّ جواز ذلك من ضروريّات المذهب.

رابعها: أنّ تشبيه المؤمن الموحّد بالكافر الملحد شمر ونحوه لا يجوز لوجهين:

أحدهما: ما ورد من أنّ «من تشبّه بقوم فهو منهم»[1].

وفيه: أوّلاً: أنّه ليس المبحوث عنه من التشبّه الممنوع منه؛ لأنّه عبارة عن التشبّه، مع حبّ أن يعدّ من صنف المشبّه به طوعاً ورغبة واستحساناً لشيمه وعمله، كلبس المتفرنجين لباس الإفرنج، والتزامهم بأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وشيمهم.

فحال الخبر المانع من التشبّه حال ما ورد مستفيضاً: من أن «من أحبّ قوماً حُشر معهم، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم»[2].

---

(١) عوالي اللئالي ١: ١٦٥ الحديث ١٧٠ الفصل الثامن، وسنن أبي داود ٢: ٢٥٥ الحديث ٤٠٣١ باب «في لبس الشهرة» ومجمع الزوائد للهيثمي ١٠: ٢٧١ باب «من تشبه بقوم فهو منهم».

(٢) بشارة المصطفى: ١٢٦.

وأين ذلك من التشبّه بعدوّ الدين كارهاً له، مبغضاً إيّاه، لغاية الإبكاء رجاء للأجر والمثوبة؟!

ولو سلّم تنزّلاً ومماشاة صدق التشبّه عليه، وقبول سنده ودلالته وعمومه، فلا شكّ في أنّ عمومات الإبكاء أرجح منه سنداً ودلالة واعتضاداً.

ثانيهما: أنّ فيه إذلالاً للنفس واستهانة، وهو حرام.

وفيه ما في سابقه، مضافاً إلى منع حرمة مثل هذا الإذلال الذي فيه غرض صحيح عقلائي، وهو الإبكاء ونحوه، بل يمكن دعوى أنّ هذا الإذلال من أعظم المجاهدات؛ لأنّه يشبّه نفسه بأبغض الخلق إليه طلباً لمرضاة الله سبحانه، والله أجلّ من أن يحرم من الأجر من أذلّ نفسه لأجله.

خامسها: أنّ التشبّه سبب لسخرية أهل سائر الأديان والمذاهب على الشيعة، فلا يجوز.

وفيه أوّلاً: أنّه دعوى محضة تشهد بفسادها البديهة، ضرورة أنّ أهل سائر المذاهب من فرق الإسلام لا يعقل تمسخرهم بذلك؛ لأنّ السخرية لا تكون إلّا من المبغض، ولا يعقل بغضهم لسيّد شباب أهل الجنّة ؛ فإنّهم وإن لم يقولوا بإمامته إلّا أنّهم يشاركونا في القول بأنّه سبط نبيّهم صلوات الله عليه، ولا يعقل أن يكونوا أقلّ من النّصارى الذين كانوا يعظّمون رسول ملك الروم؛ لكونه من حوافد داود[1].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٨٢ وفيه:

⇦

وقد شحنت كتب أهل السنّة والجماعة بالأخبار الصحاح عن النبيّ صلى الله عليه وآله الناطقة بالملازمة بين حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وحبّ الحسين عليه السلام[(١)] ؛ بأنّه سيّد شباب أهل الجنّة[(٢)].

⇨

عن أبي الأسود محمّد بن عبد الرحمن، قال: «لقيني رأس الجالوت بن يهوذا، فقال: والله، إنّ بيني وبين داود سبعين أباً، واليهود تلقاني فتعظّمني، وأنتم ليس بين ابن النبيّ وبينه إلاّ أب واحد وقد قتلتم ولده؟!

وكان يزيد يتخذ مجالس الشراب واللهو والقيان والطرب ويحضر رأس الحسين بين يديه، فحضر مجلسه رسول ملك الروم وكان من أشرافهم، فقال: يا ملك العرب، هذا رأس من؟

قال: مالك ولهذا الرأس؟

قال: إنّي إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء شاهدته، فأحببت أن أُخبره بقضيّة هذا الرأس وصاحبه ليشاركك في الفرح والسرور.

قال: هذا رأس الحسين بن علي.

قال: ومَن أُمّه؟

قال: فاطمة بنت رسول الله.

فقال النصراني: أفّ لك ولدينك، لي دين أحسن من دينكم، إنّ أبي من حفدة داود عليه السلام، وبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظّمون قدري ويأخذون من تراب قدمي تبركاً بأنّي من الخواص. وقد قتلتم ابن بنت نبيكم، وليس بينه وبينه إلّا أمّ واحدة، فقبّح الله دينكم...».

(١) مسند أحمد ٢: ٢٨٨، وفضائل الصحابة للنسائي: ٢٠ والمستدرك ٣: ١٦٦ وفيها:

عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني، يعني حسناً وحسيناً».

وسنن ابن ماجة ١: ٥١ الحديث ١٤٣ فضل الحسن والحسين، وفيه:

«من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٨١، وفيه:

⇦

وببكائه صلّى الله عليه وآله لمصاب الحسين عليه السلام[١]، وجعله صلى الله عليه وآله بأمر من الله سبحانه مودّته، ومودّة أبيه، وأُمّه، وأخيه، وأولاده، أجر الرسالة بنصّ الآية[٢]، وروايات الفريقين[٣].

⇨

عن حذيفة عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «أتاني جبرئيل عليه السلام، فقال: إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، ثمّ قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: غفر الله لك ولأمّك يا حذيفة».

وانظر: مسند أحمد ٥: ٣٩١ – ٣٩٢، وفضائل الصحابة للنسائي: ٥٨، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩: ١٨٣، والمصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٢ الحديث ٥ «ما جاء في الحسن والحسين»، والأمالي للشيخ المفيد: ٢٣ الحديث ٤ المجلس الثالث، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٦٤ باب «إمامة السبطين».

(١) كامل الزيارات: ١٢٥ الحديث ٨ باب «ما نزل به جبرئيل...» وفيه:

«عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تدمع، فسألته: ما لك؟ فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام أخبرني أنّ امّتي تقتل حسيناً، فجزعت وشقّ عليها، فأخبرها بمن يملك من ولدها فطابت نفسها وسكنت».

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿**قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ الشورى (٤٢) : ٢٣.

(٣) الكافي ١: ٤١٣ الحديث ٧ باب «فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية» وفيه:

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ الشورى (٤٢) : ٢٣ قال عليه السلام: «هم الأئمّة عليهم السلام».

ومجمع الزوائد للهيثمي ٧: ١٠٣ وفيه:

وعن ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت ﴿**قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ قالوا يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

⇦

فكيف يعقل سخريّتهم لذلك، وهم محبّون له، ومبغضون لعدوّه؟!

وكيف يعقل بغضهم له؟!

مع أنّ الإمام الشافعي - الذي هو أحد أعمدة مذهبهم - قد بالغ في حبّهم نظماً ونثراً في وقائع عديدة فمنها:

ما نقله البيهقي عن الربيع بن سليمان أحد أصحاب الشافعي، قال: قيل للإمام الشافعي رحمه الله: إنّ أُناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة لأهل البيت الطيّبين عليهم السلام، فإذا رأوا واحداً منّا يذكرها، يقولون: هذا رافضيّ، فأنشأ الشافعي:

إذا في مجلس ذكروا عليّاً وسبطيه وفاطمة الزكيّة

فأجرى بعضهم ذكراً سواه فأيقن أنّه لسلقلقيّة[1]

إذا ذكروا عليّاً أو بنيه تشاغل بالروايات العليّة

⇨

قال: «علي وفاطمة وابناهما».

والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٧٢، وفيه:

قال الحسن بن علي: «وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قُل لّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

(١) السلقلق، كسفرجل، والسلقلقية: هي المرأة تحيض من دبرها. كما صرّح به في القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣: ٢٤٦ «سلق».

ولسان العرب ١٠: ١٦٣ «سلق».

وانظر: تاج العروس ١٣: ٢٢٢ «سلق».

وقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضيّة
برئت إلى المهيمن من أناس يرون الرفض حبّ الفاطميّة
على آل الرسول صلاة ربّي ولعنته لتلك الجاهليّة[١]

وقال الحافظ أبو عبد الله جمال الدين محمّد بن أبي المظفّر يوسف الزّرندي المدني في كتابه «معراج الوصول في معرفة آل الرسول»: قال الإمام الشافعي:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[٢]

إلى غير ذلك ممّا نقله في الباب الثاني والستّين من ينابيع المودّة[٣].

ولئن اتّفق بغض نادر منهم للحسين عليه السلام، فهو بمقتضى الأخبار المرويّة من طرقهم صحيحاً - فضلاً عن طرقنا - ابن زنا أو...، بل هو كافر ملحد، بمقتضى أخبار الفريقين الناطقة بأنّ من أبغض حسيناً فقد أبغض رسول الله صلى الله عليه وآله[٤]، فإنّ مبغض الرسول صلى الله عليه وآله كافر، فكذا مبغض الحسين عليه السلام.

---

(١) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ١١١، وفيه:

«فأجرى بعضهم ذكرى سواه...».

وفي ينابيع المودّة ٣: ٩٧ - ٩٨ باب ٦٢. «فأجرى بعضهم ذكراً سواه...»، «وقال تجاوزا ياقوم عن ذا...».

(٢) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ١٨ وينابيع المودّة ٣: ١٠٣ باب ٦٢.

(٣) ينابيع المودّة ٣: الباب الثاني والستون في إيراد مدائح الإمام الشافعي وتفسير بعض الآيات والأحاديث الواردة في كثرة ثواب من بكى على الحسين وآل بيته رضي الله عنهم.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٩ - ٢٦٠ الحديث ٥ الباب ٢٤، وفيه:

⇦

وورد أيضاً في أخبار الفريقين صحيحاً مستفيضاً قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «حسين منّي وأنا من حسين»[١].

وعليه فمن أبغض الحسين فقد أبغض الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

وقوله: «لا يبغض أهل هذا البيت إلّا منافق»[٢] بضميمة قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾[٣].

⇦

عن الأصبغ بن نباتة، قال: خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ويده في يد ابنه الحسن، وهو يقول: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ويده في يده هكذا، وهو يقول: خير الخلق بعدي وسيّدهم أخي هذا... ولقد سئل رسول الله –وأنا عنده– عن الأئمّة بعده فقال للسائل: ﴿**وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾ البروج (٨٥) : ١ إنّ عددهم بعدد الشهور.

فقال السائل: فمن هم يا رسول الله؟

فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على رأسي فقال: أوّلهم هذا وآخرهم المهدي، من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني، ومن أحبَّهم فقد أحبّني، ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن أنكرهم فقد أنكرني...».

والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٦، وفيه:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ الحسن والحسين عليهما السلام: «من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

(١) الإرشاد ٢: ١٢٧، والعمدة لابن البطريق: ٤٠٦، الحديث ٨٣٩، وذخائر العقبى: ١٣٣، ومسند أحمد ٤: ١٧٢، وسنن الترمذي ٥: ٣٢٤، الحديث ٣٨٦٤، والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٧٧، وتحفة الأحوذي ١٠: ١٩٠، والمصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٥.

(٢) كفاية الأثر للخزاز القمي: ١١٠ وذخائر العقبى: ١٨، وينابيع المودّة للقندوزي ٢: ١١٦، وفيها: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يحبنا أهل البيت إلاّ مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلّا منافق شقي».

(٣) النساء (٤) : ١٤٥.

وبالجملة، فنسبة البغض للحسين عليه السلام إلى أهل السنّة والجماعة بهتان عليهم أجارنا الله تعالى منه، وكيف ينسب ذلك إليهم، وهم لا يزالون ينذرون الأموال والتحف لأبي الفضل العبّاس عليه السلام، الذي هو أحد خدّام الحسين؟!

ولقد كان يأتينا قبل الحرب العمومي من إسلامبول من أهل السنّة والجماعة، بتوسط تجار الشيعة نذورات من النقود ومصوغات الذّهب والفضّة لأبي الفضل عليه السلام، لنصرفها عليه، ولعمري إنّي طول عمري ما لاقيت سنيّاً وفتشته إلّا وجدته محبّاً لأهل البيت عليهم السلام.

وثانياً: إنّ من سخر من أهل السنّة والجماعة على التشبيهات، ننقض عليه تارة بمجالس ذكرهم، وأخرى بما تداولوه من حمل هودج أُمّ المؤمنين عائشة في كلّ سنة من مصر إلى الحجّ[1]، وزيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وصرف أموالاً خطيرة في ذلك.

---

(١) لاحظ: «أزمة سياسية بين مصر والسعودية بسبب محمل الحجّ» بقلم إبراهيم كامل:
المحمل الشريف: فهو عبارة عن هودج من عدّة قطع من القماش المزخرف بالآيات القرآنية يحمل على جمل خاصّ، وكان يسير من بلاد مصر وتركيا وسوريا متزامناً مع مناسك الحجّ، ابتداءً من عصر المماليك، حين خرجت «شجرة الدر» قاصدة الحجّ، واستمرّ حتّى ملك آل سعود، وتحديداً في عهد الملك عبد العزيز آل سعود.
وفي عهد الملك عبد العزيز وقعت حادثة تقاتل بعض الحجاج النجديين المنتمين للإخوان (فرقة عسكرية وهابية مناصرة لآل سعود) مع عسكر المحمل المصري في عام ١٣٤٤هـ.
واتّفق الملك عبد العزيز مع المصريّين أخيراً على أنّه لا حاجة للمحمل بعد توفّر الكسوة، ووقّع معهم بعد تولي الملك فاروق الحاكم المعاصر معاهدة على وفق القوانين الدولية عام ١٣٥٥هـ تضمّنت السماح للمصريّين بالتطوّع لعمارة الحرمين الشريفين.

وكذلك حملهم لشبيه هودج النبيّ صلى الله عليه وآله من الشام إلى الحجّ[1].

(١) في كتابه «دمشق في مطلع القرن العشرين» يوضح «أحمد حلمي العلاّف» كيف كانت ترتب شؤون الحجيج أيام الدولة العثمانية، والتفاصيل الدقيقة لكلّ مراسم المحمل الشامي بدءاً من الإعداد له، ومروراً بمسيرته، وانتهاءً بالاحتفالات التي يقيمهما الدمشقيّون بعد عودة الحجّاج من الأراضي المقدّسة، وكانت هذه التفاصيل قد عُرضت في أحد الأعمال الدراميّة السورية «الخوالي» لبسّام الملاّ، واتكأت على هذا المرجع لتقديم صورة عن حياة الناس، عاداتهم وطقوسهم في أيام الحجّ البعيدة تلك.

تبدأ مراسم المحمل في اليوم الأوّل لعيد الفطر، وتسمّى «مراسم الزيت والشمع والمحمل»، حيث تصطف الفرق العسكرية أمام المسجد الأموي، وتؤدّي التحية لوالي المدينة وقائدها العسكري، وبعض كبار الموظفين، وبعد الانتهاء تجري حفلة إخراج الشموع والزيوت المهيّأة لإرسالها مع موكب الحجّ إلى الحرمين الشريفين.

في «يوم الزيت» وهو الثاني من شوال كلّ عام، يتمّ الاحتفال بنقل الزيت من «كفر سوسة» أحد ضواحي دمشق في الماضي، وهو أحد أحيائها اليوم، ضمن ظروف على ظهور الإبل حتّى «الكيلار» في البحصة، وهو المستودع الخاص بأدوات محمل الحجّ.

أمّا في اليوم الثالث من شوال (يوم الشمع) فينقل الشمع باحتفال رسمي أيضاً، من الدار التي سكب فيها في «كفر سوسة» ووزنه ثلاثة قناطير، وماء الورد من محصول قرية «المزّة» - وهو حي المزّة المشهور في دمشق اليوم - ووزنه نحو قنطار، والملبّس ووزنه عشر أرطال، ويُحمل الشمع على أعناق الرجال ملفوفاً بالشال «الكشمير» لإهدائة إلى الحرمين.

وفي يوم السنجق، يُخرج السنجق الشريف «الراية أو اللواء» وهو كلمة فارسية، من القلعة حيث يُحتفظ به، وينقل باحتفال مهيب إلى دائرة المشيرية، ليستقبله المُشير ويضعه في قصره.

⇦

⇨

أمّا اليوم الرابع من هذه المراسم، فهو (يوم المحمل)، حيث يخرج موكب الحجّ الشريف مع المحمل والسنجق إلى حي الميدان، ثمّ باب مصر، ومنه إلى قرية القدم التي فيها قبة جامع «العسالي»، وتحت هذه القبة، يوضع المحمل نحو عشرة أيام، ريثما تنتهي أسباب السفر إلى الحجاز.

التشرف بإمارة الحجيج: من هنا كان يبدأ المحمل رحلته.

يعتبر «آل سعد الدين» من أعرق العائلات الدمشقية، وأكثرها ارتباطاً بطقوس محمل الحجّ الشامي، حيث كان لشيوخ الأُسرة السعديّة موقعهم المميّز في احتفالات المحمل ؛ لأنّ دارهم كانت المحطة الأهم لاستراحة المحمل الشريف، الذي كان شعاراً لسيادة السلطان العثماني على الحرمين الشريفين.

يوضع (المحمل) على ظهر جمل جميل الشكل قوي وعال لا يستخدم لأي عمل سوى الحجّ، ويحمل إضافة للمحمل الكسوة السلطانية إلى الكعبة الشريفة.

وحين كان المحمل يتوقّف في دار سعد الدين يتقدّم شيوخ الأُسرة ووجهاؤها ليلقموا الجمل قطعاً من اللوز والسكر، فيتهافت الناس على التقاط الفضلات من فم الجمل تبركاً وتحبباً ؛ لأنّه يحمل أعظم شعار يجتمع إليه المسلمون عند ذهابهم إلى الحجّ.

وبعد وصول المحمل إلى العسالي، ينتظر تجمّع الحجاج يوماً أو يومين، حيث تسير قافلة أمير الحجّ في طريقها إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كانت الدولة العثمانية تتحمّل نفقات الحجّ، وتعهد بإمارته لواحد من كبار العسكريين في دمشق، أو من زعماء العشائر العربية في فلسطين، ويهيأ هذا الأمير للخروج بالحجّ، قبل حلول الموسم بثلاثة أشهر، فيقوم أوّلاً بـ«الدورة» أي زيارة المناطق الجنوبية من دمشق لجمع المال اللازم، وقد يكون الوالي نفسه أمير الحجّ، وهي مهمّة صعبة وخطيرة ؛ لأنّ من واجباته أن يدفع عن الحجّاج اعتداءات القبائل التي تنوي بهم شرّاً، وقد تولّى أسعد باشا العظيم – والي دمشق – إمارة الحجّ مدّة ١٤ عاماً، وكان الباشاوات في مختلف أنحاء السلطنة العثمانية يتوقون إلى هذا اللقب.

تتكون قوافل الحجّ الشامي من عدّة فئات تقوم بخدمة الحجاج والسهر على راحتهم وحمايتهم، ولكلّ من هذه الفئات وظائفها:

⇦

⇨
فالسقاة،، كانوا يحملون القرب لنقل المياه من البرك والآبار إلى الحجيج.
والبرّاكون، هم أصحاب الدواب التي تنقل الحجاج، وتكون من البغال والبراذين.
والعكّامة، وهم أصحاب الجمال والهوادج التي تنقل الحجاج أيضاً.
وأصحاب المشاعل، وهم حملة القناديل ومشاعل الزيت، وطائفة أصحاب الخيم.
ولكلّ هؤلاء رؤساء ومعاونون كثيرون، مهيؤون لتأمين راحة الحجاج، فأهل حي الشاغور وقصبة دوما للجمال، وأهل الصالحية كان أكثرهم للسقاية والمشاعل وللبراكة، والبياطرة منهم أيضاً، والجنود يخدمون أنفسهم، أمّا الأمير وأتباعه فإن مئات الأشخاص يكونون تحت خدمته وخدمة معاونيه.
كان أمير الحجّ يخرج من سراي الحكم «المشيريّة أو العسكريّة» على رأس موكب الحجّ بين ١٥ – ١٧ شوال، ويتّخذ طريقه: الميدان، مجتازاً باب المصلّى، ثمّ الميدان الفوقاني، إلى باب الله أو بوابة مصر، في ممرّ يمتدّ نحو ثلاثة كيلومترات متجهاً إلى قرية مزيريب، وبعد خروج الحجّ ببضعة أيام «من يومين إلى خمسة» تخرج قافلة الحجّ الشامي من الطريق نفسه، يتلوها قافلة الحجّ الحلبي، ومعهم حجاج العجم، ويبقى الجميع في مزيريب حتّى يتمّ خروج الموكب بأجمعه، وكانت رحلة الحجّ الشامي تستغرق أربعة أشهر من شوال حتّى صفر.
الحبوب والمحبوب:
بعد انتهاء مناسك الحجّ، يتجمّع الحجاج في المدينة المنوّرة حول المحمل والسنجق ويعودون في نفس الموكب الذي ذهبوا به، وحين يقارب وصولهم إلى دمشق، تستعد الحكومة والأهالي لاستقبالهم باحتفالات كبرى.
وكان معروفاً عند الناس قولهم أثناء مغادرة الحجاز: «يأكلون الحبوب ويفارقون المحبوب»، والحبوب نوع من الحلوى تطبخ فيه الحبوب المتنوعة كالحمص والقمح واللوبياء والفاصولياء مع السكر، وعادة ما يصنع يوم عاشوراء في العاشر من محرّم، والمحبوب هو الرسول – صلى الله عليه وسلم –.
في العودة، يكون مع القافلة رجل يُدعى «أمين الصر»، – والصر – هو بعض الهدايا التي كانت توزع على عربان بين الحرمين تملقاً لهم وخوفاً من بطشهم، ويحوي هذا الصر مختلف المتاع من أحذية، ومحارم وهي مناديل قطنية أو حريرية كان بعضها يصنع في دمشق أو تحضر من إستانبول، والعُقل، والعباءات والجوارب.
⇦

فحيث لا مرض في قلوبنا لم نكن نسخر بفعلهم هذا، فمن سخر منهم بتشبيهات الطفّ، فهو مريض لا عبرة بقوله وفعله.

وكذا من سخر من الكفّار، ننقض عليه بما يرتكبونه في عيد الصليب[1].

وثالثاً: إنّ استهزاء أعداء الدين بعمل حسن دينيّ لا يسلب حُسن العمل، ولا يجعله قبيحاً، ولا يلزم تركه، كما أنّ نبح الكلاب لا يمنع من سير القافلة

⇨

أمّا «الجوخة دار» (الجوقة دار) وهي كلمة تركية الأصل تعني فتيان السلطان أو القصر السلطاني، ثمّ أصبحت الكلمة تطلق على رسول السلطان أو الوالي، فيقوم في الحجّ بدور الرسول الذي يرسله أمير الحج إلى دمشق ليبشّر الناس بعودة الحجّاج قبل وصولهم ببضعة أيام، وينفصل «الجوخة دار» عن الحجاج في تبوك، يصل قبلهم بسبعة أيام، ويبشر الناس بسلامة الحجّ ونظافته من الوباء والأمراض والمصائب، وبمجرّد وصول «الجوخة دار» يبدأ الناس بالسفر إلى مزيريب أو غباغب أو الكسوة، حاملين مختلف الأطعمة لملاقاة حجاجهم من أقارب وأصحاب.

أمّا الدولة فتعيّن يوماً لاستقبال موكب الحجّ، يأتي فيه الناس مهللين مكبّرين، يصطفّون على جوانب الطرق من بوابة مصر في العسالي، إلى دار الحكومة وهي مكان القصر العدلي في دمشق اليوم. وتطلق مدفعية قلعة دمشق عند وصول الموكب عشرين طلقة متقطعة، وفي تلك الأثناء يمرّ الموكب ثانية في دار آل سعد الدين الذين يناولون جمل الحجّ اللوز والسكر كما فعلوا عند ذهابه إلى الحجاز.

(١) الكامل في التاريخ ١: ٣٢٩ - ٣٣٠ وفيه:

«ثمّ ملك قسطنطين المعروف بأمه هيلاني في جميع بلاد الروم...

وفي السنة السابعة من ملكه سارت أُمّه هيلاني الرُّهاوية، كان أبوه سباها من الرُّهاء، فأولدها هذا الملك، فسارت إلى البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أنّ المسيح صلب عليها، وجعلت ذلك اليوم عيداً، فهو عيد الصليب، وبنَت الكنيسة المعروفة بقمامة، وتسمّى القيامة، وهي إلى وقتنا هذا يحجّها أنواع النصارى».

عند العقلاء، وإلّا للزم الرسول الأكرمﷺ أن لا يظهر نبوّته لسخرية أبي جهل، وأبي لهب، وأمثالهما به، ولزم أن لا يصلّي أحد عند بعض المستهزئين بها من الكفّار والمرتدين.

ولئن كان التمسخر على التشبيه موجباً للمنع منه، للزم المنع من مطلق إقامة العزاء والبكاء، وذكر أسماء النساء على المنابر؛ لأنّ من يسخر بالتشبيه يسخر بذلك كلّه.

ولقد اعترض منافق على مؤمن في ذكر أسماء حرم الطفّ على المنابر؟

فأجابه بقراءة قوله سبحانه: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا...**﴾[1] الآية، فإنّه لو كان ذكر أسماء الحرم قبيحاً لمّا سمّى الله تعالى مريم في كتابه المجيد.

سادسُها: اقتران التشبيهات بضرب آلات اللّهو من الطبل والمزمار ونحوهما.

وأنت خبير بأنّ المحرّم ليس نفس الآلة، ولا استعمالها بأيّ نحو كان، بل المحرّم إنّما هو ضربها على الكيفيّة الملهية، فحال تلك الآلات حال حنجرة الإنسان، فالصوت الذي يخرج منها على وجه الغناء حرام، والخارج منها لا على تلك الكيفيّة ليس بحرام.

وحينئذ، فإنْ ضُربت تلك الآلات على الكيفيّة الملهية كان حراماً محرّماً، يجب تركه، والنّهي عنه بكلّ ما يمكن، لكن اقتران هذا المحرّم

---

(١) التحريم (٦٦): ١٢.

بالتشبيه لا يجعل التشبيه محرّماً ؛ لأنّهما شيئان متباينان مقترنان في الوجود، لا تلازم بين حرمة أحدهما وحرمة الآخر، ولا مانع من حلّ أحدهما أو حرمة الآخر.

فتلخّص ممّا ذكرنا كلّه: أنّ حرمة التشبيه ممّا لا دليل عليه، وأنّ الأصل جوازه، وكذا ضرب الرأس والظهر بسلاسل من حديد، بل وضرب الرأس بالسيف وإخراج الدم مالم يكن فيه خوف الضرر؛ إذ لا دليل على حرمة إدماء الجسد حتّى يكون ذلك أصلاً ثانوياً معدلاً عن أصالة الإباحة حتّى يحتاج الجواز إلى الدليل المخرج عن الأصل الثانوي، فما صدر مِنْ بعض مَنْ سبق من علمائنا رضوان الله تعالى عليهم من التأمل في جواز ذلك[١]، بل جواز اللّطم على الصدور المدمي، لم أقف على مستنده.

وأوهن منه التأمّل في جواز اللطم الموجب لإحمرار الجسد.

ويمكن الاستيناس لجواز التشبيه بما مرّ من تمثيل الله سبحانه مثال الطفّ لآدمعليه‌السلام، ومثال مولانا القائمعليه‌السلام للملائكة، وتمثيله مثال المؤمن في العرش وتمثيله النّعش للحوراء الإنسيةعليها‌السلام.

ولإدماء الرأس بالسّيف والسلسلة بضرب زينب جبينها بمقدّم المحمل، وسيلان الدّم من تحت قناعها[٢]، بل استدلّ الفاضل القمي رحمه الله لحلّ

---

(١) في هامش النسخة المطبوعة: «يعني جواز إدماء الرأس بالسيف» منه دام ظلّه.

(٢) العوالم، الإمام الحسينعليه‌السلام: ٣٧٣ - ٣٧٤ وفيه:

«... فالتفتت زينبعليها‌السلام فرأت رأس أخيها، فنطحت جبينها بمقدم المحمل، حتّى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها، وأومأت إليه بحرقة، وجعلت تقول:

⇦

التشبيه لإبكاء الناس بعموم: «من أبكى» في ما مرّت إليه الإشارة من الأخبار[١].

ولعلّه بالنظر إلى أنّ شموله لآحاد المبكين يستلزم بعد حذف المتعلّق لشمول الآحاد أسباب البكاء.

وكذا استدلّ لذلك بعموم قوله سبحانه: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[٢].

قال : وأيّ شعار لله أعظم من التذكار للشعائر الحسينيّة، التي عظّمها صلوات الله عليه يوم الطفّ، إحياءً لدين جدّه ببذل نفسه، وجمع من ولده وإخوته وأرحامه وأحبّته، ونهب ثقله، وسبي عياله وأطفاله على يد شرّ الخلق وأرذلهم وأعصاهم لله سبحانه ابن مرجانة، كما اعترف بتوقّف بقاء

⇦

يــا هــلالاً لمــا اســتتمّ كمــالاً غالــه خســفه فأبــدا غروبــاً

مــا توهّمــت يــا شــقيق فــؤادي كــان هــذا مقــرّراً مكتوبــاً

يــا أخــي فــاطم الصــغيرة كلّمهــا فقــد كــاد قلبهــا أن يــذوبا

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٣١ الحديث ٤ المجلس السابع عشر، وفيه:
«عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: قال الرضا عليه السلام: من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».
وانظر : جامع الشتات : ٢٨٢.
(٢) الحج (٢٢) : ٣٢.

طريقة جدّه على بذل نفسه المقدّسة، والأنفس الزاكية ممّن معه، ونقله الإمبراطور الروسي في تاريخه.

وبهذا التقريب يمكن الاستدلال المطلوب بقوله سبحانه: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[1] بعد تفسير «القربى» في المتواتر من أخبار الفريقين بعليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام؛ إذ أيّ مودّة أعظم من إقامة عزائهم بكشف الرؤوس والصدور واللطم عليها في المجامع والشوارع، وتجسيم ما جرى عليهم الموجب للبكاء عليهم، والحزن لحزنهم.

وبالجملة، فرجحان إقامة عزاء سيّد المظلومين سلام الله عليه، والبكاء على مصابه، واللّطم على الرؤوس والصدور في الطرقات والمجامع، وتهيئة التشبيهات، ممّا لا ريب ولا إشكال فيه، ولا في كونه من أعظم الشعائر الإسلاميّة والعبادات المندوبة.

نعم، يعتبر فيها قصد القربة، وتعريتها عمّا هو منهي عنه، كضرب آلات اللهو على الكيفيّة المطربة، وتشبّه الرجال بالنساء تشبّهاً تامّاً ؛ إذ لا يطاع الله سبحانه من حيث يعصى[2]، سيّما وسيّد الشهداء - أرواحنا فداه -

(١) الشورى (٤٢) : ٢٣.

(٢) معاني الأخبار: ٢٤٠ الحديث ١ باب «معنى العبادة»، وفيه:

عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، قال: سأل عيسى بن عبد الله القمّي أبا عبد الله عليه السلام، وأنا حاضر فقال: ما العبادة؟

قال: «حسن النية بالطاعة من الوجه الذي يطاع منه».

إنّما بذل النّفس والأولاد والأرحام والأحباب والمال والعيال؛ لإحياء دين جدّه الأكرم صلى الله عليه وآله، فلا يعقل رضاه بما منع منه في الدين.

هذا ما وسعه الوقت من الكلام في المقام في اليوم الرابع عشر من صفر ١٣٤٥.

وأنا الفاني عبد الله المامقاني عفي عنه

طبعت في المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف على نفقة جمع من إخواننا المؤمنين.

(٦)

نظرة دامعة
حول مظاهرات عاشوراء

تأليف

الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي

(١٣١١ هـ ـ ١٣٩٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

إلــى أيــن الفــرار ولا مفــرّ   أمـا فـي هـذه الـدنيا مقـرّ
لقـد عـمّ الفسـاد فـلا صـلاح   ولكن كلّ ما في الكون شرّ
وطبّــق هــذه الــدنيا ضــلال   تجــرّع ســمّه بــرّ وبحــر
وأنكرت النفوس الدين حتّى   كـأن لـم يأتهـا نهـي وأمـر
ولا عجـب فـإن الـدين حـقّ   وطعم الحقّ في الأفـواه مـرّ
ومــا دينــيّ هــذا العصــر إلّا   كمسجون على كفّيـه جمـر

أجل واللّه، إنّه ليجدر بالرجل الدينيّ في عصره الحاضر، أن يثب فؤاده من بين جنبيه جزعاً، وأن ينخلع قلبه عن موضعه أسفاً، عندما يلقي ببصره إلى ما حوله، فلا يجد هنا وهناك إلّا أضاليل وأباطيل، تتدحرج إلى قومه بين المضائق والمنفرجات، وتتدافع نحوهم خلال الثنايا والعقبات، حتّى إذا اتصلت بأحدهم اتصال الأفعى ببدن السليم، تسلّقت إلى كرة دماغه بسلّم التمويه

والخداع، فتربّعت على دسته[١] الرحيب كملك على عرشه، ثمّ أخذت تلعب دورها في روحه وبدنه، فلا تلبث إلّا كريثما تشرب الصهباء[٢]، فتدبّ حتّى تبعث به إلى مركز جيشها المتألّب، كجندي جهّز بآخر طرز من آلات الفناء، وعند ذلك تهجم به في طليعة أنصارها، على سياج دينه الأقوم، وسرادقه[٣] الأعظم؛ لتستطيح منه عمده الرفيع، وتستبيح من حرمته كلّ فظيع وشنيع.

بينما نجد شخص الدين الكريم قد أفرد في ميدانه، واصفرّت كفّه من أنصاره وأعوانه، وهو يدير بعينيه يميناً وشمالاً، فلا يجد إلّا من يخزّه[٤] بسيفه، أو يركزه[٥] برمحه، أو يستهدفه بسهمه، وكلّما احتوشت شخصه الموقر خباشات[٦] من البشر، رفع عقيرته بالاستنصار، وصرخ منادياً بالويل والدمار، فلا يسمع من أبنائه إلّا أصواتاً خافتة، وأنفاساً هافتة، لاتسمن من جوع ولا تؤمن من خوف.

---

(١) الدست، له عدة معاني، والمراد به هنا صدر المجلس، ففي تاج العروس ٣: ٥٠ «دست» الدست: صدر المجلس. والمراد أنّ هذه الأضاليل والأباطيل هيمنت على صدر مجلس الشخص، كناية عن هيمنتها عليه.

(٢) الصهباء: الخمر، سمّيت بذلك للونها، الصحاح ١: ١٦٦، «صهب».

(٣) السرادق: واحد السرادقات التي تمدّ فوق صحن الدار، الصحاح ٤: ١٤٩٦، «سردق».

(٤) خزّه بسهمه واختزّه: أي طعنه، الصحاح ٣: ٨٧٧، «خزز».

(٥) ركزت الرمح أركزه: غرزته في الأرض، الصحاح ٣:، ٨٨٠، «ركز».

(٦) الخباشات من الناس: الجماعة من قبائل شتّى، تاج العروس ٩: ١٠١، «خبش».

وهكذا أصبح هذا الدين في وسط معترك رهيب، مفعم بالمخاطر والأهوال، مكتظّ بالخيل والرجال، محتشد بالأفاعي والصِلال[١]، مشتبك بالعصي والحبال، فيوسط معترك قد زقا[٢] فيه الضجيج وعلا منه العجيج، وارتفعت فيه الضوضاء إلى أجواز[٣] الفضاء، إلى عنان السماء.

وقد وقف أبناؤه من دونه على كثب، كوقفة المتفرّج، ينظرون إلى ما ينال جسمه الزكي، في كلّ ليل إذا يغشى، أو نهار إذا تجلّى،[٤] من جروح وقروح، وتخريق وتمزيق، حتّى لقد كادت تتناثر أشلاؤه أوزاعاً[٥]، ويذهب روحه الطاهر شعاعاً.

وهو لايبرح فيما بين ذلك كلّه يستثير حفائظ أبنائه بذكرى تلك الأعمال الكبيرة والتضحيات الخطيرة، التي قام بها آباؤهم العظام في سبيل نشر دعوته وبثّ تعاليمه، تلك التعاليم العالية التي لم يصدع بها صاحبها صلّى اللّه عليه وآله وسلّم إلّا لكي يقيل بها هذا العالم من كبوته[٦]، وينشله من هوّته[٧]، فينهج به إلى

(١) الصِلُّ: الحيّةُ التي لا تنفع منها الرقية، يقال: إنّها لَصِلٌّ صَفاً: إذا كانت مُنكرة مثل الأفعى. ويقال للرجل إذا كان داهياً مُنكراً: إنّه لَصِلُّ أصلال: أي حيّة من الحيّات. الصحاح ٥: ١٧٤٥ «صلل».

(٢) زقا، يزقي: صاح، وكلّ صائح زائق، الصحاح ٦: ٢٣٦٨، «زقا».

(٣) جوز كلّ شيء وسطه، والجمع الأجواز، الصحاح ٣: ٨٧١، «جوز».

(٤) تجلّى الشيء: أي تكشّف، الصحاح ٦: ٢٣٠٥، «جلا».

(٥) يقال: أتيتهم وهم أوزاع: أي متفرّقون، تاج العروس ١١: ٥٠٩، «وزع».

(٦) كبا، يكبو، كبواً وكبوة: عثر، تاج العروس: ١١٥، «كبو».

(٧) الهوة: الوهدة العميقة، الصحاح ٦: ٢٥٣٨، «هوى».

سبيل السعادة والخير، ويحيد بأهله عن مهاوي الشقاء والضير.

فهل ياترى يجدر بنا - ونحن أبناء أُولئك الآباء - أن ندع تلك التعاليم القيّمة تذهب على مشهد منّا ضحيّة لتعاليم الغرب التي اندلعت ألسنتها في بلاد الإسلام، فطفقت تتوصّل إلى تزريق سمومها القتّالة في أدمغة المسلمين بكلّ حيلة ووسيلة، وتتذرّع إلى بثّ بذورها الفتّاكة بكلّ مالديها من نخوة وقوّة، حتّى انخدع بها من الشبيبة المسلمة عدد ليس بالقليل ممّن افتتن بحبّ المدنيّة الحاضرة المبهرجة بمظاهرها الخلاّبة، فانقلبوا إلى قومهم يحملون على متونهم ألوية الباطل والضلال، يريدون أن يفيؤا بها على رؤوسهم، بالرغم من كلّ وازع إلهي، أورادع دينيّ.

فكأنّهم - وهم أبناء أولئك المجاهدين في سبيل هذا الدين - يريدون أن يرجعوا بقومهم القهقرى إلى عهد الجاهليّة الأُولى، عهد الكفر والإلحاد، والجحود والعناد، ذلك العهد المظلم، الذي لم تكد تنجلي غبرته بنور الإسلام، إلّا بعد أن تكبّد دعاة الحقّ عليهم الصلاة والسلام في سبيل تأييده وتوطيد أركانه من النكبات والمفادات ما يعجز القلم عن تحديده، ويقصر الكلم عن تعديده.

وهذا التاريخ الإسلامي الباهر، لايزال ماثلاً أمام أعيننا، يذكّرنا بصحائفه البيضاء، بما قام به أُولئك المجاهدون العظام والزعماء الكرام من الأعمال المجهدة، التي خلّدت لهم مدى الدهر أجمل الذكر وأعظم الشكر.

فأواه ثمّ أواه، أين أولئك الآباء الصلحاء عن هؤلاء الأبناء الأعقّاء[١]، لينظروا إليهم كيف خلّفوهم في الوديعة التي تركوها بين أيديهم قائمة على أكداس من أشلائهم الموزّعة، وأوصالهم المقطّعة؟!

وكيف أصبحوا يشنّون الغارة إثر الغارة على معقلها الحصين، ليفتتحوا منه منفذاً يجهزون منه على آخر نفس من أنفاس حياتها العزيزة؟!

فكأنّ الغرب بعدّته وعديده، وسلاحه وكراعه، ودسائسه ووساوسه[٢]، لم يكفهم مؤنة ذلك الجهاد والجلاد، حتّى برزوا إلى ساحة الوغى منظمين إليه، ومتطوّعين بين يديه، يعبّدون له السبل والسكك[٣]، ويقتلعون من طريقه الشوك والحسك[٤]، ثمّ لا يأتي عليهم يوم بعد آخر إلّا ويمدّونه بما شاء من مال ورجال، ويبذلون له من أنفسهم كلّ رخيص وغال، من حيث يشعرون أولا يشعرون، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون.

وليت الخطب قد وقف عند هؤلاء الأعقّاء، ولم تضف إلى بليّتنا بهم بليّتنا بالسذج والبسطاء، من الذين يضعون أنفسهم مواضع المصلحين من هذه الأمّة، ثمّ هم يفسدون أكثر ممّا يصلحون، ويهدمون أكثر ممّا يبنون، لاقصداً

---

(١) عقّ والدَهُ يَعُقُّ عُقُوقاً ومَعَقَّةً، فهو عاقٌّ وعُقَقٌ، والجمع عَقَقَةٌ. الصحاح ٤: ١٥٢٨ «عقق».

(٢) الوساوس بالفتح: هو الشيطان، لسان العرب ١٦، ٢٥٤، «وسس».

(٣) السكك، جمع سكّة والسكّة المأبورة: هي الطريق المستوية المصطفة من النخل، والسكة الزقاق، وقيل: سمّيت الأزقة سككاً لا صطفاف الدور فيها كطرائق النخل، الصحاح ٤: ١٥٩٠ «سكك».

(٤) الحسك: نبات له ثمرة خشنة، تعلق ثمرته بصوف الغنم ووبر الإبل في مراتعها، تاج العروس ١٣: ٥٤٠، «حسك».

منهم إلى ذلك، ولكن جهلاً منهم بأسباب الإصلاح الذي يريدون إدخاله على أمّتهم.

وكم بين ظهرانينا من هؤلاء المصلحين الذين لايميّزون بين سوانح الخير، وبوارح[١] الشرّ، قد منيت بهم هذه الأمّة من حيث ترضى أولا ترضى، فألقت بخطامها[٢]إلى أيديهم، أو مدّوا أيديهم فأخذوا بخطامها، ثمّ طفقوا يسيرون بها على الجادة طوراً، وعلى غير الجادة أُخرى؛ ذلك لأنّ القائد لم يتعرّف الطريق قبل أن يأخذ بخطام ناقته، وقد ارتبكت[٣]عليه السبل والمذاهب، فراح يخبط بها الأرض خبط عشواء في ليلة ظلماء، لايدري ولا ناقته تدري، متى تعترضهما الهوة في الطريق فتبعث بهما جميعاً إلى حيث لا قائد ولا مقود، ولا سائد ولا مسود.

إنّي وأيم اللّه لا أريد بكلمتي هذه أن أزلزل بأولئك النفر في مراكزهم مهما كبر على الأمّة شيء من أقوالهم وأعمالهم، ولكنّى أريد أن يتدبّروا قبل أن يتهوّروا، أريد أن يتعلّموا أكثر ممّا علموا، أريد أن تسعد بهم الأمّه أكثر ممّا تشقى، أريد أن يكونوا أكياساً[٤] أذكياء، لابسطاء بلهاء؛ لئلا تنطلي عليهم دسائس الباطل ووساوس الضلال، ولئلا تموّه عليهم الحقائق بألسنة المكر والخداع، فكم قد قتل من الحقائق بسيف التمويه الذي لايزال

---

(١) سوانح، جمع سانح: وهو ما يتبرك به، والبارح يتشاءم به، تاج العروس ٤: ٩٧، «سنح».

(٢) الخطام: الزمام: وخطمت البعير، زممته، الصحاح ٥: ١٩١٤، «خطم».

(٣) ارتبك: أي اختلط. الصحاح ٤: ١٥٨٦ «ربك».

(٤) الكَيْسُ: خلاف الحمق ٨: ٤٥٣، «كيس».

مسلولاً على هواديها[١]، ينحر منها في كلّ يوم على قدر ما تسنح له الفرصه وينفسح له المجال؟!

فإلى مَ نقابل اليقظة بالسنة[٢]، والنباهة بالبلاهة، والكياسة بضعف الرأى وضعة[٣] المدار؟!

وإلى مَ لا تثقّف عقولنا التجارب، ولا توقظنا العبر والمثلات، وقد أصبحت ملأ السمع والبصر، وعداد الرمل والحجر؟!

حتّام أيّها القوم نُطمع فينا عادية هذا الدهر، فلا يأتي علينا يوم واحد إلّا ويوقفنا أمام رزيّة جديدة، وبليّة شديدة.

ألم يكفه بالأمس ما أنزله بمشاهد القدس في البقيع[٤] من الخطب الفادح، والعمل الفاضح، الذي ملأ صدور المسلمين قيحاً، وفجّر عيونهم دماً، ولا يزال الشغل الشاغل لأفكارهم وخواطرهم؟!

---

(١) الهادي: العنق، وأقبلت هوادي الخيل: إذ بدت أعناقها، الصحاح ٦: ٢٥٣٤، «هدى» والمعنى: أنّ سيوف التمويه لاتزال مسلولة على أعناقها.

(٢) السنة: النعاس يبدأ في الرأس، فإذا صار إلى القلب فهو نوم، لسان العرب ١٣: ٤٤٩، «وسن».

(٣) والضّعة: خلاف الرفعة في القدر، لسان العرب ٨: ٣٩٧، «وضع».

(٤) في سنة ١٣٤٤ هـ استفتى قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد علماء المدينة المنوّرة في جواز البناء على القبور، وتقبيل الأضرحة، والذبح عند المقامات، حيث يتناول الزائرون لها تلك اللحوم. فأجاب العلماء -وكان عددهم خمسة عشر شخصاً- بعدم جواز ذلك ووجوب منعه ومعاقبة من يفعله.

⇦

⇨
وقد نشرت هذه الفتوى في أكثر الصحف الصادرة آنذاك كجريدة أمّ القرى الصادرة في مكّة المكرّمة، وجريدة العراق الصادرة فيه.

وكان الهدف الرئيسي من هذه الفتوى هو تهيئة الرأي العام لهدم المراقد في الحرمين الشريفين. وفعلاً فقد تمّ في الثامن من شوّال من تلك السنة هدم قبور الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام في بقيع الغرقد في المدينة المنوّرة. وفي مقبرة المعلّى في الحجون في مكّة المكرّمة، والمراقد الموجودة في الطائف.

وقد ضمّ بقيع الغرقد في المدينة المنوّرة عشرة آلاف مرقد من مراقد الصحابة والشهداء والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، منها: مرقد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، ومرقد الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهم عند عمّهم العبّاس بن عبدالمطّلب تحت قبّته التي كانت مشادة.

وعلى رواية أنّ هناك مرقد الصديقة الزهراء عليها السلام، وكذلك مراقد عمّات الرسول صلى الله عليه وآله وزوجاته -عدا السيدة خديجة الكبرى والسيّدة ميمونة بنت الحارث- وعقيل بن أبي طالب، وإبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام مالك بن أنس، ونافع شيخ القرّاء، وحليمة السعدية.

كما طال الهدم مرقد عمّ الرسول صلى الله عليه وآله حمزة بن عبد المطّلب، وغيره من شهداء أحد مثل مصعب بن عمير، وجعفر بن شمّاس، وعبد الله بن جحش.

وقد امتدّ التدمير إلى مرقد حبر الأمّة عبد الله بن عبّاس في الطائف، وقد كانت عليه قبّة مشادة لاتزال صورتها موجودة على صفحات التاريخ.

وعندما امتدّ الزحف العسكري إلى مكّة المشرّفة عمدوا إلى آثارها فدمّروها، وهدموا المراقد الشريفة في مقبرة المعلّى في الحجون، فهدموا قبّة عبد المطّلب جدّ النبيّ صلى الله عليه وآله، ومرقد عمّه أبي طالب.
⇦

حتّى جاءنا اليوم يريد أن يزيد على الإبالة ضغثاً[(١)]، وأن يذرّ على الجرح ملحاً، فيبتزّ من أيدينا أغلى مجوهراتنا، وأعزّ مقدّساتنا، ألّا وهي المظاهرات العزائيّة، التي اعتاد الشيعة القيام بها كلّ عام في العشر الأول من شهر محرّم الحرام، حزناً على سبط الرسول، وقرّة عين الزهراء البتول عليه الصلاة والسلام.

وذلك كاللطم على الصدور في الشوارع، والضرب على الظهور بالسلاسل، وإدماء الرؤوس بالسيوف، وتمثي ل فاجعة الطفّ بالصورة التي يسمّونها «الشبيه».

وما كان أجدرنا بالتغاضي اتّجاه هذه العادية الطارية، لولا ما اكتنفها من الهتاف العالي، المنبعث عن كثير من الألسن والأقلام، التي أخذت على نفسها أن ترحّب بكلّ عادية تأمل من ورائها القضاء على شيء من المقدّسات الدينيّة مهما كبر ذلك بعين اللّه وعين رسولهﷺ.

وما أدري، وليتني كنت دريت، ما الذيي يؤلم أولئك الهاتفين من تلك الشؤون، ولمّا يلطم لهم صدر بين الصدور، أو يقرع لهم ظهر بين الظهور، أو يدم لهم رأس بين الرؤوس؟!

⇦

كما دخلوا إلى مدينة جدّة فهدموا قبّة حوّاء أمّ البشريّة الأولى وخرّبوا قبرها، كما طال الهدم بيت رسول اللهﷺ، ومنزل فاطمة الزهراء عليها السلام، ومنزل حمزة بن عبد المطّلب، ودار الأرقم ابن أبي الأرقم، ومكان العريش التاريخي الذي أشرف منه رسول اللهﷺ على معركة أحد. انظر مقدّمة «دعوة الهدى الى الورع في الأفعال والفتوى».

(١) ضغث على إبالة: أي بليّة على أخرى كانت قبلها، الصحاح ٤: ١٦١٩ «أبل».

أفلغيرهم تراهم يرثون ويتوجّعون، أم ران[1] على قلوبهم ما كانوا يعملون؟!

عبثاً يحاول أولئك الهاتفون أن يقضوا على ذلك الروح الدينيّ، في الوقت الذي أدركت فيه الطائفة نجاح تلك الأعمال بالنظر إلى مقصدها الأسمى وغايتها الوحيدة التي ترمي إليها من وراء تلك المظاهرات والتمثيلات.

فلقد يحسب الغبيّ أنّ جلّ ما يقصده المتظاهرون من تلك الأعمال ليس إلّا إيلام أجسامهم وأرواحهم، ولم يعلم بأنّ لهم في تلك الأعمال أسراراً ورموزاً تعود عليهم بأكبر الفوائد، وتتقدّم بهم في جميع شؤونهم الأدبيّة والاجتماعيّة والسياسية.

كيف لا، وهذا التذكار الحسينى ليلقي عليهم في كلّ سنة من دروس التضحية والمفاداة في سبيل الحقّ ما يهبط بسعر الحياة في سوقهم الاجتماعيّة إلى درجة الصفر.

حتّى لقد أدرك فلسفة ذلك التذكار كثير من مستشرقي فلاسفة الغرب، وكتبوا عنه في مؤلّفاتهم فصولاً طويلة ومقالات ضافية.

منهم ذلك الدكتور «جوزف» الفرنسوي في كتابه «الإسلام والمسلمون»، فقد ذكر في جملة كلام له مسهب يتعلّق ببيان فلسفة مآتم الحسين عليه السلام وأسرار شهادته عليه السلام ما نصّه مترجماً إلى العربيّة عن الترجمة الفارسيّة بقلم أحد العلماء:

---

(١) الرين: الطبع والدنس، الصحاح ٥: ٢١٢٩ «رين».

«ومن جملة الأمور السياسيّة التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصيغة مذهبية منذ قرون، وجلبت لهم قلب البعيد والقريب، هي قاعدة التمثيل باسم الشبيه في مآتم الحسين عليه السلام.

وقد قرّر حكماء الهند التمثيل لأغراض ليس هذا موضع ذكرها، وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أوربا وأخرجته بعامل السياسة بصورة التفرّج، وصارت تمثّل الأمور المهمّة السياسية في دور التمثيل للخاصّة والعامّة، وجلبت القلوب بسببه، وأصابت بسهم واحد غرضين معاً: تفريج النفوس، وجلب القلوب في الأمور السياسيّة.

والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصيغة دينيّة، ويمكن القول بأنّ الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود.

وكيف كان، فالأثر الذي ينبغي أن يعود من التمثيل، إلى قلوب الخواصّ والعوام، قد عاد.

ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم، وذكر المصائب الواردة في فضل البكاء على مصاب آل محمّد، إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب، تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواصّ هذه الفرقة وعوامها فوق حدّ التصور، وهذا هو السبب الذي أوجب أن لانسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة إلى الآن أن ترك بعضهم دين الإسلام أو دخل في سائر الفرق الإسلاميّة.

هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة، في مجالس خصوصيّة وأمكنة معيّنة، وحيث إنّ الفرق الأخرى قلمّا تشترك معهم في المجالس،

اخترعوا تمثيلاً خاصاً، وصاروا يدورون به في الأزقة والشوارع أمام جميع الفرق المختلفة، فتتأثر قلوب جميع الفرق من القريب والبعيد عين الأثر الذي يحصل من التمثيل.

ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجّه الأنظار من الخاصّ والعامّ، حتّى قلّد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلاميّة والهنود واشتركوا معهم في ذلك، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد.

ويغلب على الظنّ أنّ أصول التمثيل بين الشيعة قد تداول من زمن الصفويّة[1] الذين هم أوّل من نال السلطنة بقوّة المذهب، وأجاز العلماء والرؤساء الروحانيّون هذه الأصول.

ومن جملة الأمور التي أوجبت رقيّ هذه الفرقة وشهرتهم في كلّ مكان، هو تعرّفهم، بمعنى أنّ هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوّة والشوكة والاعتبار، بواسطة المآتم والمجالس والشبيه واللطم والدوران، وحمل الألوية والرايات في عزاء الحسين عليه السلام.

ومن الأمور الطبيعيّة المؤيّدة لفرقة الشيعة في تأثير قلوب سائر الفرق، هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم، وهذا التأثير من الأمور الفطرية؛ لأنّ كلّ

---

(١) سيأتي منّا أنّه أقدم تاريخاً من ذلك، و أنّه كان متداولاً عند الشيعة منذ المائة الرابعة «المؤلّف».

انظرا: ص ٢٦٥ من هذا المجلَد.

أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم ويحبّ نصرة الضعيف والمظلوم على القوي، والطبائع البشريّة أميل إلى الضعيف والمظلوم ولو كان مبطلاً، من الظالم ولو كان محقّاً، لاسيما إذا مرّت عليه السنون والأعوام.

وهؤلاء مصنّفوا أوربا – مع أنّهم لايعتقدون بهم – يذعنون بالمظلوميّة لهم، ويعترفون بظلم وتعدّي قاتليهم، وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسماءهم إلّا مشمئزين، وهذه الأمور الطبيعية لايقف أمامها شيء، وهذا السرّ من المؤيّدات الطبيعيّة لفرقة الشيعة».

ومنهم ذاك الحكيم الألماني المسيو «ماربين»، فقد ذكر في جملة كلام له طويل في كتابه «السياسة الإسلاميّة»[(١)] مانصّه معرّباً عن الترجمة الفارسية أيضاً:

«إنّ عدم معرفة بعض مؤرّخينا بحقيقة الحال، أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون، ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام.

---

(١) في الذريعة ٢٢: ٢٤: «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام للسيّد ميرزا حسن ابن السيّد علي القزويني... وفي آخره تعريب كلام موسيو ماربين الألماني في فلسفة شهادة الإمام الحسين عليه السلام».

وفي معجم المطبوعات النجفية: ٢١٥: «السياسة الحسينيّة: مسيو ماربين والدكتور جوزيف. المطبعة العلوية سنة ١٣٤٧هـ ، بحجم الكفّ، اللغة فارسية، ٥٨ صفحة.

وفي الأعلام للزركلي ٢: ٢٤٣: «وللفيلسوف الألماني ماربين كتاب سمّاه «السياسة الإسلامية» أفاض فيه بوصف استشهاد الحسين».

فإنّا لم نر في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الحسين من الحسّيات السياسيّة والثورات المذهبيّة، بسبب إقامة عزاء الحسين.

وكلّ من أمعن النظر في رقيّ شيعة علي، الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم في مائة سنة، يذعن بأنّهم فازوا بأعظم الرقيّ، فإنّه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة علي والحسين في الهند إلّا ما يعدّ بالأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة من حيث الجمعيّة إذا قيسوا بغيرهم، وكذلك هم في سائر نقاط الأرض.

وإذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهظة والقوّة الهائلة بالشيعة، نرى دعاتنا لم يحظوا بعشر ترقيات هذه الفرقة وإن كانت قسسنا تحزّن القلوب بذكر مصائب المسيح، ولكن لابذلك الشكل والأسلوب المتداول بين شيعة الحسين، ويغلب على الظنّ أنّ سبب ذلك هو أنّ مصائب الحسين أشدّ حزناً وأعظم تأثيراً من مصائب المسيح.

وإنّي اعتقد بأنّ بقاء القانون الإسلامي، وظهور الديانة الإسلاميّة، وترقّي المسلمين هو مسبّب عن قتل الحسين وحدوث تلك الوقائع المحزنة.

وهكذا مانراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة وإباء الضيم ما هو إلّا بواسطة عزاء الحسين، وما دامت في المسلمين هذه الملكة والصفة لايقبلون ذلّا ولا يدخلون في أسر أحد.

ينبغي لنا أن ندقّق النظر في ما يذكر من النكات الدقيقة الحيويّة في مجالس إقامة العزاء، ولقد حضرت دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين في إسلامبول مع مترجم، فسمعتهم يقولون:

الحسين الذي كان إمامنا ومقتدانا، ومن تجب طاعته ومتابعته علينا، لم يتحمّل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد، وجاد بنفسه وعياله وأولاده وأمواله في سبيل حفظ شرفه، وعلوّ حسبه ومقامه، وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا، والشفاعة يوم القيامة، والقرب من اللّه، وأعداؤه قدخسروا الدنيا والآخرة.

فرأيت بعد ذلك وعلمت أنّهم في الحقيقة يدرّس بعضهم بعضاً علناً، بأنّكم إن كنتم شيعة الحسين وأصحاب شرف، إن كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، لا تحملوا الذلّ، بل اختاروا الموت بعزّة على الحياة بذلة، حتّى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة، وتحظوا بالفلاح.

ومن المعلوم حال الأمّة التي تلقى إليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللحد، في أيّ درجة تكون من الملكات العظيمة والسجايا العالية.

نعم هكذا أمّة تحوي كلّ نوع من أنواع السعادة والشرف، ويكون جميع أفرادها جنداً مدافعين عن عزّهم وشرفهم، هذا هو التمدّن الحقيقي اليوم، هذا هو طريق تعليم الحقوق، هذا هو معنى تدريس أصول السياسة».

هذا ما ذكره ذانك المستشرقان الغربيّان عن فلسفة تلك المظاهرات العزائيّة، التي تقوم بها الطائفة الشيعيّة من عام إلى آخر، تذكاراً لذلك الإمام الشهيد.

وأنت ترى أنّهما قد فطنا إلى كثير من أسرارها الخفيّة، ورموزها المختبئة حتّى عن كثير من أبنائها وأصدقائها.

وليت فلاسفتنا الأقربين قد أدركوا ولو طرفاً يسيراً ممّا أدركه أولئك الفلاسفة الأبعدون، كي يعلموا بأنّ تلك المظاهرات هي من أهمّ المقدّسات الطائفيّة والنواميس المذهبيّة التي لايمكن القضاء عليها بقوّة التمويه مهما أفرغ عليه من مبرقشات[1] الثياب.

وأنّى للمموّه ين أن يقضوا على عادة يمتدّ بها التاريخ منذ عهد البويهيين إلى اليوم؟!

أي منذ عشرة قرون تقريباً، كما يرشدك إلى ذلك ابن الأثير، في ما ذكره من حوادث بعض السنين على عهد ملوك آل بويه في المائة الرابعة[2].

---

(١) البرقشة: شبه تنقيش بألوان شتّى، تاج العروس ٩: ٦٠، «برقش».

(٢) قال: «في هذه السنة ٣٥٢ هـ عاشر المحرّم أمر معزّ الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء، منشّرات الشعور، مسوّدات الوجوه، قد شققن ثيابهنّ، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههنّ على الحسين بن علي (رضي الله عنهما).

ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنيّة قدرة على المنع منه، لكثرة الشيعة، ولأنّ السلطان معهم» الكامل في التاريخ ٨: ٥٤٩، ذكر عدّة حوادث في سنة ٣٥٢ هـ.

وقال في موضع آخر: «في هذه السنة ٣٥٣ عاشر المحرّم أغلقت الأسواق في بغداد يوم عاشوراء، و فعل الناس ما تقدّم ذكره، فثارت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنية جرح فيها كثير ونهبت الأموال» المصدر السابق، ذكر عدّة حوادث لسنة ٣٥٣.

ويقول في حوادث سنة ٣٥٨: «في هذه السنة عاشر المحرّم عمل أهل بغداد ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق وتعطيل المعايش وإظهار النوح والمآتم بسبب الحسين ابن علي (رضوان الله عليهما).

ومن ذلك تعرف أنّ الإنكار على تلك العادة بكلمة «لم تكن» لم ينبعث في الحقيقة إلّا عن الجهل بالتاريخ، ولا ريب أنّ تلك الكلمة لم تدخل العراق إلّا عن طريق نجد، الذي اعتاد الإنكار بها على أيّ عمل مستحدث، بالرغم ممّا عليه طريقة عامة المسلمين وكافة أهل الدين - إلّا من شذّ - من التمسّك بالبراءة في كلّ مشتبه الحكم إلى أن يقوم الدليل على تحريمه.

وليت شعري متى أصبح التمثيل عادةً سيئةً، وهذه الطوائف الإسلامية كلّها كانت تحترم بالأمس «المحمل» الذي كان يمثّل به الشاميّون محمل النبي صلى الله عليه وآله،[1] كما أنّها تحترم اليوم «الهودج» الذي يمثّل به المصريون كلّ سنّة

(١) في كتابه «دمشق في مطلع القرن العشرين» يوضح «أحمد حلمي العلاف» كيف كانت ترتّب شؤون الحجيج أيام الدولة العثمانية، والتفاصيل الدقيقة لكلّ مراسم المحمل الشامي بدءاً من الإعداد له، ومروراً بمسيرته، وانتهاء بالاحتفالات التي يقيمها الدمشقيّون بعد عودة الحجّاج من الأراضي المقدّسة، وكانت هذه التفاصيل قد عرضت في أحد الأعمال الدرامية السورية «الخوالي» لبسام الملاّ، واتكأت على هذا المرجع لتقديم صورة عن حياة الناس، عاداتهم وطقوسهم في أيام الحجّ البعيدة تلك.

تبدأ مراسم المحمل في اليوم الأول لعيد الفطر، وتسمّى «مراسم الزيت والشمع والمحمل»، حيث تصطف الفرق العسكرية أمام المسجد الأموي، وتؤدّي التحية لوالي المدينة وقائدها العسكري، وبعض كبار الموظفين، وبعد الانتهاء تجري حفلة إخراج الشموع والزيوت المهيأة لإرسالها مع موكب الحجّ إلى الحرمين الشريفين.

في «يوم الزيت» وهو ا لثاني من شوال كلّ عام، يتمّ الاحتفال بنقل الزيت من «كفر سوسة» أحد ضواحي دمشق في الماضي، وهو أحد أحيائها اليوم، ضمن ظروف على ظهور الإبل حتّى «الكيلار» في البحصة، وهو المستودع الخاص بأدوات محمل الحجّ.

⇦


أمّا في اليوم الثالث من شوال (يوم الشمع) فينقل الشمع باحتفال رسمي أيضاً، من الدار التي سكب فيها في «كفر سوسة» ووزنه ثلاثة قناطير، وماء الورد من محصول قرية «المزّة» - وهو حي المزّة المشهور في دمشق اليوم - ووزنه نحو قنطار، والملبّس ووزنه عشر أرطال، ويحمل الشمع على أعناق الرجال ملفوفاً بالشال «الكشمير» لإهدائه إلى الحرمين.

وفي يوم السنجق، يخرج السنجق الشريف «الراية أو اللواء» وهو كلمة فارسية، من القلعة حيث يحتفظ به، وينقل باحتفال مهيب إلى دائرة المشيرية، ليستقبله المشير ويضعه في قصره.

أمّا اليوم الرابع من هذه المراسم، فهو (يوم المحمل)، حيث يخرج موكب الحجّ الشريف مع المحمل والسنجق إلى حي الميدان، ثمّ باب مصر، ومنه إلى قرية القدم التي فيها قبة جامع «العسالي»، وتحت هذه القبة، يوضع المحل نحو عشر أيام، ريثما تنتهي أسباب السفر إلى الحجاز.

التشرف بإمارة الحجيج: من هنا كان يبدأ المحمل رحلته.

يعتبر «آل سعد الدين» من أعرق العائلات الدمشقية، وأكثرها ارتباطاً بطقوس محمل الحجّ الشامي، حيث كان لشيوخ الأسرة السعديّة موقعهم المميّز في احتفالات المحمل ؛ لأنّ دارهم كانت المحطة الأهم لاستراحة المحمل الشريف، الذى كان شعاراً لسيادة السلطان العثماني على الحرمين الشريفين.

يوضع (المحمل) على ظهر جمل جميل الشكل قوى وعال لايستخدم لأي عمل سوى الحجّ، ويحمل إضافة للمحمل الكسوة السلطانية إلى الكعبة الشريفة.

وحين كان المحمل يتوقّف في دار سعد الدين يتقدّم شيوخ الأسرة ووجهاؤها ليلقموا الجمل قطعاً من اللوز والسكر، فيتهافت الناس على التقاط الفضلات من فم الجمل تبركاً وتحبّباً؛ لأنّه يحمل أعظم شعار يجتمع إليه المسلمون عند ذهابهم إلى الحج.



⇨

وبعد وصول المحمل إلى العسالي، ينتظر تجمّع الحجاج يوماً أو يومين، حيث تسير قافلة أمير الحجّ في طريقها إلى مدينة الرسولﷺ.

كانت الدولة العثمانية تتحمّل نفقات الحجّ، وتعهد بإمارته لواحد من كبار العسكريين في دمشق، أو من زعماء العشائر العربية في فلسطين، ويتهيّأ هذا الأمير للخروج بالحجّ قبل حلول الموسم بثلاثة أشهر، فيقوم أولاً بـ«الدورة» أي زيارة المناطق الجنوبية من دمشق لجمع المال اللازم، وقد يكون الوالي نفسه أمير الحجّ، وهي مهمّة صعبة وخطيرة؛ لأنّ من واجباته أن يدفع عن الحجاج اعتداءات القبائل التي تنوي بهم شراً، وقد تولّى أسعد باشا العظم – والي دمشق – إمارة الحجّ مدة ١٤ عامّاً، وكان الباشاوات في مختلف أنحاء السلطنة العثمانية يتوقون إلى هذا اللقب.

تتكون قوافل الحجّ الشامي من عدّة فئات تقوم بخدمة الحجاج والسهر على راحتهم وحمايتهم، ولكلّ من هذه الفئات وظائفها:

فالسقاة، كانوا يحملون القرب لنقل المياه من البرك والآبار إلى الحجيج.

والبّراكون، هم أصحاب الدواب التي تنقل الحجاج، وتكون من البغال والبراذين.

والعكّامة، وهم أصحاب الجمال والهوادج التي تنقل الحجاج أيضاً.

وأصحاب المشاعل، وهم حملة القناديل ومشاعل الزيت، وطائفة أصحاب الخيم.

ولكلّ هؤلاء رؤساء ومعاونون كثيرون، مهيؤون لتأمين راحة الحجاج، فأهل حي الشاغور وقصبة دوما للجمال، وأهل الصالحية كان أكثرهم للسقاية والمشاعل وللبراكة، والبياطرة منهم أيضاً، والجنود يخدمون أنفسهم، أمّا الأمير وأتباعه فإن مئات الأشخاص يكونون تحت خدمته وخدمة معاونيه.

كان أمير الحجّ يخرج من سراي الحكم «المشيرية أو العسكرية» على رأس موكب الحجّ بين ١٥ – ١٧ شوال، ويتّخذ طريقه: الميدان، مجتازاً باب المصلّى، ثمّ الميدان الفوقاني، إلى باب الله أو بوابة مصر، في ممرّ يمتدّ نحو ثلاثة كيلومترات متّجهاً إلى قرية مزيريب، وبعد خروج الحجّ ببضعة أيام «من يومين إلى خمسة» تخرج قافلة

⇦



الحجّ الشامي من الطريق نفسه، يتلوها قافلة الحجّ الحلبي، ومعهم حجاج العجم، ويبقى الجميع في مزيريب حتّى يتمّ خروج الموكب بأجمعه، وكانت رحلة الحجّ الشامي تستغرق أربعة أشهر من شوال حتّى صفر.

الحبوب والمحبوب:

بعد انتهاء مناسك الحجّ، يتجمّع الحجاج في المدينة المنوّرة حول المحمل والسنجق ويعودون في نفس الموكب الذي ذهبوا به، وحين يقارب وصولهم إلى دمشق، تستعد الحكومة والأهالي لاستقبالهم باحتفالات كبرى.

وكان معروفاً عند الناس قولهم أثناء مغادرة الحجاز: «يأكلون الحبوب ويفارقون المحبوب»، والحبوب نوع من الحلوى تطبخ فيه الحبوب المتنوعة كالحمص والقمح واللوبياء والفاصولياء مع السكر، وعادة ما يصنع يوم عاشوراء في العاشر من محرّم، والمحبوب هو الرسولﷺ.

في العودة، يكون مع القافلة رجل يدعى «أمين الصر»، والصر - هو بعض الهدايا التي كانت توزع على عربان بين الحرمين تملّقاً لهم وخوفاً من بطشهم، ويحوى هذا الصر - مختلف المتاع من أحذية، ومحارم وهى مناديل قطنية أو حريرية كان بعضها يصنع في دمشق أو تحضر من استانبول، والعُقل، والعباءات والجوارب.

أمّا «الجوخة دار» أو «جوقة دار» وهي كلمة تركية الأصل تعني فتيان السلطان أو القصر السلطاني، ثمّ أصبحت الكلمة تطلق على رسول السلطان أو الوالي، فيقوم في الحجّ بدور الرسول الذى يرسله أمير الحجّ إلى دمشق ليبشّر - الناس بعودة الحجّاج قبل وصولهم ببضعة أيّام، وينفصل «الجوخة دار» عن الحجّاج في تبوك، يصل قبلهم بسبعة أيام، ويبشر الناس بسلامة الحجّ ونظافته من الوباء والأمراض والمصائب، وبمجرّد وصول «الجوخة دار» يبدأ الناس بالسفر إلى مزيريب أو غباغب أو الكسوة، حاملين مختلف الأطعمة لملاقاة حجّاجهم من أقارب وأصحاب.



هودج أمّ المؤمنين عائشه رضي اللّه عنها[١].

وليس في حجّاج المسلمين من لم يشاهد أبّهة ذلك الهودج الموقّر، حينما يسير بين الجماهير محاطاً بالجند والسلاح، وقد تقدّم أمامه الموسيقيّ يعزف له بألحانه المطربة، حتّى لقد قتل الجند المصري في هذه السنة عند «وادي منى» ثلاثة من الوهابيين دفاعاً عن موسيقي الهودج.

⇨

أمّا الدولة فتعيّن يوماً لاستقبال موكب الحجّ، يأتي فيه الناس مهلّلين مكبّرين، يصطفّون على جوانب الطرق من بوابة مصر في العسالي، إلى دار الحكومة وهي مكان القصر العدلي في دمشق اليوم. وتطلق مدفعية قلعة دمشق عند وصول الموكب عشرين طلقة متقطعة، وفي تلك الأثناء يمرّ الموكب ثانية في دار آل سعد الدين الذين يناولون جمل الحجّ اللوز والسكر كما فعلوا عند ذهابه إلى الحجاز.

(١) لاحظ «أزمة سياسية بين مصر والسعودية بسبب محمل الحجّ» بقلم إبراهيم كامل: المحمل الشريف؛ فهو عبارة عن هودج من عدّة قطع من القماش المزخرف بالآيات القرانية يحمل على جمل خاصّ، وكان يسير من بلاد مصر وتركيا وسوريا متزامناً مع مناسك الحجّ، ابتداءً من عصر المماليك، حين خرجت «شجرة الدر» قاصدة الحجّ، واستمرّ حتّى ملك آل سعود، وتحديداً في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود.

في عهد الملك عبد العزيز وقعت حادثة تقاتل بعض الحجّاج النجديين المنتمين للإخوان (فرقة عسكرية وهابية مناصرة لآل سعود) مع عساكر المحمل المصري في عام ١٣٤٤ هـ.

واتفق الملك عبدالعزيز مع المصريين أخيراً على أنّه لا حاجة للمحمل بعد توفّر الكسوة، ووقّع معهم بعد تولي فاروق الحكم معاهدة على وفق القوانين الدولية عام ١٣٥٥ هـ تضمّنت السماح للمصريّين بالتطوّع لعمارة الحرمين الشريفين.

وإذا كان التمثيل عادة سيئة، فلماذا تنكره الألسن والأقلام على ممثّلي فاجعة الطفّ خاصّة، ولا تنكره على ممثّلي «المحمل» و«الهودج»؟

لماذا لاتنكره على الإفرنج، وقد غصّت مدنهم بقاعاته وساحاته؟

لماذا لاتنكره على النصارى في اتّخاذ الصلبان؟ وليست هي إلّا تمثيلاً للخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام.

وها أنّي وإن كنت أعترف للمنكرين بوجود شيء ما من السخافات في ضمن التمثيل الحسيني، غير أنّي لاأرى أنّ ذلك ممّا يدعو إلى حظره وتحريمه، بل اللازم على محبّ الإصلاح أن يدعو أولئك النفر الذين يقومون بتنظيم ذلك التمثيل إلى تهذيبه وتنزيهه ممّا يشوّه صورته أو يشين سمعته؛ ليبرز إلى الناس بصورة محتشمة تروق الناظرين إليه، وتعجب الواقفين عليه.

وهكذا القول في مواكب اللطم التي تتجوّل في الأزقّة والشوارع، فإنّها وإن تجاوزت حدود الآداب الشرعيّة أحياناً، غير أنّ ذلك لايوجب تحريم التجوّل عليها في السبل والمذاهب، فإنّ اللازم الاتّفاقي لايكاد يغيّر حكم الملزوم إذا خالفه في الحكم بضرورة العلم.

ولماذا لانعذر أولئك اللاطمين –وجلّهم من الشباب – إذا دفعهم الغرور الشخصي في سنة ما إلى الملاكمة مع بعضهم؟! في الوقت الذي نقرأ فيه على صفحات الجرائد أنباء الملاكمات المدهشة، التي تجرى بتوسّط الكراسي والمناضد في أهمّ المجالس النيابيّة المنعقدة في عواصم أوربا، وهي تلك المجالس التي لاتضمّ إليها إلّا الصفوة المنتخبة من عقلاء الأمّة ومفكّريها، وهم على الأغلب يؤمون مقصداً واحداً وينتمون إلى ديانة واحدة، ولا يبعثهم على ذلك التلاكم إلّا الانشطار الحزبي.

وبهذا الانشطار عينه ينبعث أولئك اللاطمون إلى التلاكم فيما بينهم أحياناً، عندما يتزاحم فريقان منهم لدى جادّة واحدة، طلباً للسبق في ذهاب أو إياب، مهما كان المقصد واحداً والديانة واحدة.

فهلّم معي أيّها الصديق لأضع يدي في يدك، فنذهب جميعاً إلى أولئك المفنّدين فنسأل منهم: لماذا استباحوا تفنيد ذلك الفريق اللاطم، ولم يستبيحوا تفنيد الفريق المنتخب، وكلاهما يتلاكمان ويتشاجران؟!

لماذا ينتقصون العمل شرقيّاً، ولا ينتقصونه غربيّاً، والعمل واحد من كلّ وجه؟!

لماذا يرحّبون بعادات الغرب على هنّاتها وعلاّتها، ثمّ ينكرون على الشرق كلّ عاداته وأخلاقه؟!

أليس ذلك كلّه من تأثير القوّة على الضعف، والرفعة على الضعة، وتلاشي نفسيّة الشرقي إزاء نفسية الغربي؟!

على أنّ الشيعة لو أرادوا أن يحبسوا اللطم بين جدران البيوت وحيطان الدور، لخسروا أكثر أغراضهم التي يرمون إليها من وراء تلك المظاهرات، لذلك فإنّي لا أعتبر المنع عن سير تلك المواكب إلّا خطأً فاحشاً في العلم، وبالأخص إذا جعل الوجه في منعه سخريّة بعض المتفرّجين من أولئك اللاطمين.

فإنّ سخرية الأغيار لوصحّ لنا أن نتّخذها وجهاً للمنع عن مثل هذا العمل العبادي، لصحّ لنا أن نتّخذها وجهاً للمنع عن كثير من العبادات، التي يسخر منها من لايعرفها من الأجانب.

ولا سيّما مثل الحجّ، الذي لايكاد يعزب عن فكر المانع مايوجد فيه من الأعمال المستغربة، التي لايمكن لشخص ما أن يقف على حكمها الكبيرة، بعقليّتة الصغيرة.

ولا شكّ أنّ المانع لايرضى للرجل المسلم أن يمتنع عن الحجّ، أو عن التظاهر بشيء من عباداته المشروعة؛ محتجّاً بما يجلبه عليه من سخرية الأعداء أو استهزاء الغرباء.

كيف، والأنبياء عليهم الصلوات والسلام لم ينهضوا بنشر دعوتهم الإلهيّة إلّا بين هزؤ المستهزئين وسخريّة المستسخرين؟! وما من ملّة على وجه الأرض إلّا ولها من الأعمال والشعائر ما تسخر منه سائر الملل الأخرى.

فهل بلغك لحدّ اليوم أنّ ملّة من تلك الملل، أضربت عن القيام بشيء من أعمالها وشعائرها فراراً من سخرية الآخرين واستهزائهم؟

إذاً فلماذا لانثبت على المبدأ أمام أولئك الجهلاء، ثمّ نقول لهم كما قال نوح لقومه: ﴿**إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾[(١)] ﴿**اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[(٢)].

أجل، إنّ على محبّ الإصلاح أن يتحرّى مواضع النقص من تلك الأعمال، ثمّ يسعى جهده في ملافاتها بكلّ ما أوتيه من قوّة ورباطة جأش، وليس له في أيّة شريعة سماويّة أو وضعيّة أن يقذفها بالكراهة، بل التحريم،

---

(١) هود (١١): ٣٨.

(٢) البقرة (٢): ١٥.

سيّما وأنّ القيام بتلك الأعمال من القيام بواجب المودّة في القربى التي أمر اللّه بها في صريح كتابه المجيد[١]، ومن الحزن لحزنهم عليهم السلام الذي ندب إليه أشياعهم وأتباعهم في جملة من الروايات المستفيضة عنهم[٢].

وزد إلى ذلك قول صادقهم عليه السلام، فيما رواه عنه خالد بن سدير «لقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»[٣].

على أنّ في السيرة المستمرة على مشهد ومسمع من أكابر أهل الدين، غير متبرّمين ولامنكرين، لغنى عن إقامة الحجج وإدلاء البراهين.

ومن الرواية المتقدّمة آنفاً المرويّة عن صادق أهل البيت عليهم السلام يمكنك أن تعرف الحكم في إدماء الرؤوس؛ إشعاراً بالحزن على شهيد الطفّ، فإنّ إطلاق الأمر باللطم على الخدود لما يقضي باستحبابه ورجحانه وإن استلزم الخدش والإدماء.

بل إنّ انبعاث الدم من الخدّ بسبب توالي اللطم عليه يكاد يعدّ لازماً عاديّاً له على الأغلب، بالنظر إلى رقّة جلدته وطراوة بشرته.

وما ضرّ المسلمين أن يسفحوا قليلاً من دمائهم على أبدانهم مواساة لتلك الأبدان الطاهرة، التي تضرّجت بدمائها فداء لقضيّتهم وخدمة لمصلحتهم؟

---

(١) قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، الشورى (٤٢): ٢٣.

(٢) راجع وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٨، باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام.

(٣) تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث ١٢٠٧.

أو ليس من الجفاء الممقوت أن يتحمّل أولئك الشهداء في سبيل أمّتهم كلّ تلك المصائب والنوائب، ولاتتحمّل هي في سبيلهم ما يريق من أبدانها ملء محجمة دماً؟!

ولئن احتجّ المانع عنه بكونه إضراراً بالنفس، فإنّ جُلّ أولئك الذين يدمون رؤوسهم بحدّ السيف لايعترفون له بتلك الحجّة، وإن شاء فليحفهم السؤال وليستخبرهم الحال، فسوف لايجد بينهم إلّا منكراً للضرر، أو مدّعياً للانتفاع.

ولا غرو، فإنّ كثيرين في الناس، من لاتستقيم صحّتهم إلّا بإسالة كمية وافرة من دمائهم، وربما أسالوا منه في السنة أكثر من مرّة واحدة.

على أنّ الإضرار بالنفس في سبيل مواساة ذلك الإمام الشهيد ممّا تحمّله كثير من أكابر رجال هذا الدين، ومنهم العبّاس ابن أمير المؤمنين عليهما السلام، وهو أفضل أولاد أبيه بعد أخويه الحسنين، فإنّه بعد أن اخترق بسيفه صفوف أهل الكوفة، ووصل المشرعة من شطّ الفرات، وكان قد أخذ منه العطش مأخذاً لايوصف، مدّ يده إلى الماء فاغترف منه غرفة، فلمّا أدناها من فمه ليشرب، ذكر عطش أخيه الحسين وأهل بيته، فرمى الماء من يده، وقال: ياماء لا ذقتك وأخي الحسين وعياله عطاشى[(١)].

إذاً، فما يمنع سائر أفراد المسلمين من قبول الضرر على أنفسهم في سبيل تلك المواساة، بعد أن قبله على نفسه مثل ذلك الرجل الكبير، أعني

---

(١) لم نعثر على هذا النصّ بخصوصه وهناك نصّ مشابه له في ينابيع المودّة وهو: «والله لا أذوق الماء وأطفاله عطاشى و...» ينابيع المودّة ٣: ٦٧، مقتل العبّاس.

العبّاس بن علي عليهما السلام، وهو من لاتجهل مكانته السامية في العلم بدين اللّه وأحكامه، وتمييز حلاله من حرامه.

ولو أردنا غضّ النظر من هذه الوجهة، فإنّه لايسعنا أن نتغاضى عن إطلاق الحكم بالتحريم، بعد أن لم نقف له في أصول الشرع وقواعد العلم على أيّ مبرّر يذكر.

وهنا أودّ أن أقفك على بضعة كلمات لبضعة رجال من كبار رجال الدين؛ لتكون لك بمثابة نموذج لنظرية سائر العلماء الأعلام في الموضوع:

قال شيخنا الأكبر المرحوم الشيخ جعفر في كتابه «كشف الغطاء»، بعد أن ذكر الأعمال التي تصنع في مقام عزاء الحسين عليه السلام من دق طبل إعلام، أو ضرب نحاس، وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور، مالفظه:

«وجميع ما ذكر وما يشابهه إن قصد به الخصوصيّة كان تشريعاً، وإن لوحظ فيه الرجحانيّة من جهة العموم فلا بأس به»[(١)].

وقال شيخنا المحقّق الميرزا القمّي رحمه الله في كتابه «جامع الشتات»، بعد ذكره ما ورد إليه من السؤال عن حكم تلك الأعمال والمظاهرات، ما ترجمته:

«إنّي لا أرى وجهاً للمنع عن ذلك، ويدلّ عليه عمومات رجحان البكاء والإبكاء والتباكي على سيّدالشهداء عليه السلام، ولا شكّ أنّه من الإعانة على البرّ»[(٢)].

---

(١) كشف الغطاء ١: ٥٤، نهاية مبحث القواعد المشتركة بين المطالب الفقهية.

(٢) جامع الشتات ٢: ٧٥٠.

وقال شيخنا الإمام الفقيه المتبحّر الشيخ زين العابدين الحائري عليه الرحمة في كتابه «ذخيرة المعاد» بعد ذكره السؤال الوارد إليه عن حكم التمثيل الحسيني بما يشتمل عليه من تشبه الرجل بالمرأة، ما ترجمته:

«لابأس بذلك، بل هو من المرغوب فيه، مالم يشتمل على محرّم خارجي كالغناء ونحوه»[(١)].

وقال أيضاً في جواب السؤال عن حكم استعمال الطبل والصنج في عزاء الحسين عليه السلام مع كونهما لايستعملان إلّا في مقام العزاء، ما ترجمته:

«لابأس به، بل هو من الأمور المطلوبة المحبوبة»[(٢)].

وفي الكتاب المذكور أسئلة كثيرة تتعلّق بالمقام، ضربنا عنها صفحاً طلباً للاختصار[(٣)].

وقال شيخنا العلاّمة المحدّث الكبير الخضر بن شلاّل في مزاره «أبواب الجنان وبشائر الرضوان» في جملة كلام له متّسع الأطراف، مالفظه:

«قد يستفاد من النصوص التي منها مادلّ على جواز زيارته ولو مع الخوف على النفس[(٤)]، جواز اللطم عليه والجزع لمصابه بأي نحو كان لو علم

---

(١) ذخيرة المعاد: ٣٦٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ورد في كامل الزيارات: ٢٢٧، الباب ٤٠ (دعاء رسول الله وعلي وفاطمة والأئمّة لزوّار الحسين عليه السلام). روايات عديدة تشير إلى هذا الأمر، منها عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله قال: قال لي: «يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف...»، الحديث ١ - تسلسل ٣٣٥.

أنّه يموت من حينه، فضلاً عمّا لايخشى منه الضرر على النفس التي قد تكون عند كثير من الناس أهون من المال الذي قد قامت ضرورة المذهب على مزيد فضل بذله في مصابه وزيارته».

وخلاصة القول: أنّ حجج المانعين التي تترآى لنا من خلال مقالهم، لاتزيد على أربع مواد، نفهرسها لك في ما يأتي، مشفوعة بخلاصة ماقدّمناه من الملاحظات عليها، لتقف على حقيقة ما ورد في الموضوع من النقد والردّ بصورة منتظمة:

المادة (١): إنّ التمثيل وما يتّصل به من مظاهرات عاشوراء ممّا لم يكن عند الشيعة في الأعصر الغابرة، فهو بدعة محرّمة.

والجواب عن ذلك: إنّ التمثيل وما يتّصل به كان متداولاً عند الشيعة منذ عصر البويهيين، أي منذ عشرة قرون تقريباً.

ولو قدّر أنّه أمر مستحدث، فلايلزمه أن يكون بدعة محرّمة، كيف والبدعة كما قد تكون معروضة للكراهة أو الحرمة، كذلك قدتكون معروضة للوجوب أو الاستحباب، فهي في الحقيقة من الأمور التي تنقسم إلى الأحكام الخمسة، ويكفي في استحبابها أن تتناولها عمومات بعض المستحبّات.

ولا يجب أن تكون من المنصوص عليها بالخصوص، كما هو الشأن في قضيّة التمثيل وما يتّصل به من مظاهرات عاشوراء، فإنّها مضافاً إلى ما ورد في بعضها من النصوص الخاصة، لاتكاد تعدوها العمومات الحاثّة لتابعيهم على البكاء والإبكاء عليهم، والجزع لمصابهم، وإظهار أمرهم، والقيام بواجب مودّتهم، إلى غير ذلك من الأدلّة العامة الشاملة لتلك الشؤون وغيرها، ممّا ينطبق عليه شيء من تلك العناوين الراجحة.

ولو قطع النظر عن جميع تلك الأدلّة الخاصّة والعامّة، فلابدّ عند ذاك من المصير إلى المرجع الوحيد، ألا وهو الأصل في المسألة، ومن المعلوم لدى الأصوليّين أنّ مقتضاه حينئذ البراءة ليس إلّا.

المادة (٢): إنّ التمثيل يشتمل على كثير من السخافات والأمور المستهجنة.

والجواب عن ذلك: إنّ اشتماله على تلك الأمور لايسوّغ المنع عنه بتاتاً، وإنّما اللازم -بناء عليه- هو الاهتمام بتنزيهه عمّا فيه.

المادة (٣): إنّ تجوّل مواكب اللطم في الأزقة والشوارع مدعاة للخروج عن حدود الآداب الشرعيّة، ومجلبة لسخرية الأغيار واستهزائهم.

والجواب عن ذلك: إنّ خروج اللاطمين عن تلك الحدود بسبب تجوّلهم ليس إلّا أمراً اتّفاقياً؛ فلا سبيل إلى اتّخاذه وجهاً لمنعهم عن التجوّل شرعاً.

وأمّا ما يجلبه عليهم من سخرية الأغيار واستهزائهم، فقد عرفت أنّه من لوازم المغايرة في الديانة، وكم لأولئك الأغيار من الأعمال ما يجلب عليهم سخريتنا واستهزائنا، إذاً فليسقط الاحتجاج بالسخرية والاستهزاء.

المادة (٤): إنّ إدماء الرؤوس بالسيف موجب لإدخال الضرر على النفس، والإضرار بالنفس حرام بلا كلام.

والجواب عن ذلك: إنّ أولئك المدمين لرؤوسهم لايعترفون بدخول الضرر عليهم من قبل ذلك الإدماء، فلا وجه للإنكار عليهم بعمل لايكون ضرريّاً بالقياس إليهم، ولو قدّر أنّ فيهم من يتضرّر بإدماء رأسه اختصّت الحرمة به دون غيره.

هذا، ومن المرجّح عندي أنّ بعض المانعين ممّن أحترم شخصيّتهم، لم يقصد المنع عن القيام بتلك الأعمال مطلقاً، وإن شفّ عن ذلك ظاهر كلامه الذي أرسله على عواهنه؛ لأنّ علمنا بحسن نوايا ذلك البعض ليضطرّنا إلى تأويل كلامه بالرغم من ظهوره في خلاف التأويل، واللّه الموفّق للصواب، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

كلمة حول الرسالة

لسيّدنا الأعظم حضرة آية الله السيّد حسن صدر الدين دامت بركاته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو الكلام الفحل والقول الجزل، فزاد الله في شرف راقمه.

حسن صدر الدين

(٧)

كلمة حول التذكار الحسيني

تأليف

الشيخ محمد جواد الحچّامي

(١٣١٢ هـ ـ ١٣٧٦ هـ)

بسم الله ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه

لقد أوقفني الحبّ الصميم[1] والولاء الصادق لسيّد الشهداء الحسين بن عليعليه‌السلام وآله النُجباء[2] موقفَ الحُزن والأسى، أنا وفوج[3] من صَفْوَة إخواني[4] «بحال للنواظر غير حال»[5]، قلوب واجدة[6]، وأنفاس هامدة[7]،

---

(١) أي الحبّ الخالص والشديد. انظر: الصحاح ٥ : ١٩٦٨ «صمم».

(٢) رجل نجيب : أي كريم بيّن النجابة. الصحاح ١ : ٢٢٢ «نجب».

(٣) الفَوْجُ: الجماعة من الناس، والجمع فُؤُوجٌ وأفواج، وجمع الجمع أفاوجُ وأفَاوِيج. الصحاح ١ : ٣٣٦ «فوج».

(٤) صَفْوَةُ الشيء: خالصُه، ومحمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله صَفْوَةُ الله من خلقه ومُصطَفاه. الصحاح ٦: ٢٤٠١ «صفا».

(٥) عجز بيت للشاعر معروف الرصافي (ت ١٣٦٤ هـ) من قصيدة له بعنوان «إلى كم أنت تهتف بالنشيد»، وتمام البيت والذي قبله:

قد الْتَفعَوا بأسمال بَوَال مُشاةً في السهول وفي الجبال
يَجِدُّون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حال

وزيِّ غير مازيّ الجنود

ديوان معروف الرصافي ١٥٠.

و«غير حال» بمعنى غير طيّب، أي حالته كانت سيّئة. انظر: الصحاح ٦ : ٢٣١٧ «حلا».

(٦) أي شديدة الحزن، و تَوَجَّدْتُ لفلان: أي حزنتُ له. الصحاح ٥٤٧:٢ «وجد».

(٧) أي ساكتة. الصحاح ٢: ٥٥٦ «همد».

وعيون مُغروورقة[١]، وذلك حيث يقام التذكار الحسيني للحادثة الكبرى، والكارثة العظمى، التي حيّرت العقول والحواس، فضربت أخماساً لأسداس.

ولا غرو[٢]، فقد ميّزت تلك الواقعة ـ ببوتقة[٣] الامتحان والاختبار ـ التبر[٤] من الصفر، والإيمان من الكفر، مثّلت للعالم بأسره أخلاقاً محمديّة، إلى شجاعة حيدريّة، إلى إباء عربيّ، وتصلّب دينيّ، أبيا لهعليه السلام أن يضرع[٥] إلى الدنيّة فيمدّ يد المبايعة إلى ملحد بغيض، لا يعرف من الحقّ موضع قدم، ولا مغرز إبرة.

فجاد بنفسه ونفيسه، وآله وعياله، تضحيةً للدّين، وفداءً لشريعة جدّه سيّد المرسلينصلى الله عليه وآله **﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَة وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَة﴾**[٦].

---

(١) أي مملوءة بالدمع. انظر: الصحاح ٤ : ١٥٣٦ «غرق».

(٢) الغَرْوُ : العجب، وغَرَوْت أي عجبت، يقال : لا غَرْو : أي ليس بعجب. الصحاح ٦: ٢٤٤٦ «غرا».

(٣) البوتقة والبودقة هي البوطة.

في كتاب العين ٧ : ٤٢٦ «بوط» : البوطة : التي يذيب فيها الصاغة ونحوهم من الصنّاع.

وفي لسان العرب ٧ : ٢٦٦ «بوط» : البوطة : التي يذيب فيها الصائغ المعدن ونحوه من الصنّاع.

وفي تاج العروس ١٠ : ٢٠٦ «بوط» بعد أن ذكر معنى البوطة قال : قلت : وهي البودقة والبوتقة.

(٤) التِبْرُ : ما كان من الذهب غير مضروب، فإذا ضُرب دنانير فهو عين، ولا يقال تبرٌ إلّا للذهب، وبعضهم يقوله للفضة أيضاً. الصحاح ٢ : ٦٠٠ «تبر».

(٥) ضَرَعَ الرجل ضَرَاَعةً : أي خضع وذلَّ. الصحاح ٣ : ١٢٤٩ «ضرع».

(٦) الأنفال (٨): ٤٢.

فأبانَ وأظهرَ لمن تعامى وتبصّر ما أبطنه هؤلاء المعاندون، من حسيكة[١] النفاق والإلحاد في الدّين، وباطنة المروق عمّا انتحلوه من الإسلام ذريعةً لأطماعهم، ووسيلةً لأغراضهم.

وإليك شاهداً على ذلك ما ارتكبوه منه ومن عياله من الهمجيّة القحّة[٢]، والوحشيّة الفاضحة التي يتحامى عرينتها[٣] ويتقاصر دونها وحوش الزنج والبربر.

وبينا أعوم في تيار الأفكار في فوائد تلك التضحية والفداء، وعوائد هذا التذكار، المعيد للذاكرة غيضاً من فيض[٤]، وبَرْضَاً من عِدّ[٥]، الجدير بأن يجدّ المعادي جدّه، ويجهد جهده في إطفاء مناره ومحو آثاره، إذ همزني[٦] بعض أصحابي الوقوف، فأشرفني على العدد المحزن (١٦٦١) من جريدة «الأوقات العراقيّة»، فتطلّعت على مقال عنوانه «يوم عاشوراء».

فازددتُ على ما أنا فيه من الوجد والكآبة، فتصاعدت لذلك حسراتي، وتصوّبت عبراتي، فإنّ العنوان يرمز غالباً إلى المعنون، فأطلقتُ

---

(١) أي ضِغِنٌ وعداوة. الصحاح ٤ : ١٥٧٩ «حسك».

(٢) القُحُّ : الخالص من اللؤم والكَرم ومن كلّ شيء. لسان العرب ١١ : ٤٢ «قحح».

(٣) العرين والعرينة : مأوى الأسد الذي يألفه. لسان العرب ٩ : ١٧٤ «عرن».

(٤) أي قليل من كثير. الصحاح ٣ : ١٠٩٦ «غيض».

(٥) البَرْضُ: الماء القليل. الصحاح ٣: ١٠٦٦ «برض».

العِدّ: الماء الذي له مادة لا تنقطع، كماء العين والبئر.الصحاح ٩٠٢:٣ «همز».

(٦) أيّ أشار عليَّ ودفعني للاطلاع على هذه الجريدة. «انظر: الصحاح ٣ : ٩٠٢ «همز».

عنان النظر رغبةً بذلك العنوان في مضمار ذلك المقال برويّة وإمعان، وسبرتُ غوره[١] من مبدئه إلى منتهاه، وإذا جلّ مغزاه بل كلّه لا يتجاوز صريح الكذب، وقبيح المين[٢] على العلم وحملته العلماء الأعلام، والقصد إلى إلقاح فتنة عمياء، وبث بذور التعصّب المذهبي بين إخواننا المسلمين، وإليك ذلك فاضحك أو فابكي.

قالت الجريدة ـ ولا أنقل إلّا عنها، ولا أنتقد إلّا عليها، حيث لا يهمّني مَن قال، وإنّما يهمّني المقال ـ بعد أن ذكرت اعتياد الجعفريين في هذه الأيام ـ أي في العشرة الأولى من محرّم الحرام ـ على إقامة المآتم والتعازي، وتنظيم المواكب المخترقة للشوارع، حاملة للأعلام والمشاعل ليلاً، وتدفّق الجماهير عراة الصدور، حاسرة الرؤوس، تندب ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله :

«وقد شعر أصحاب السيادة حضرات العلماء الأعلام[٣] حفظهم الله تعالى بهذه الحقيقة، وأدركوا بثاقب بصرهم وما وهبهم الله من عقل راجح وعلم غزير، ما لهذه الأعمال من التأثير السيّئ في سمعة الإسلام في العالم، وفي نظر الأجانب، فقاموا يستنكرون إتيانها، وينهون عنها»[٤].

فهلمّ معي أيّها القارىء نسأل من الجريدة : ما مرادها من الأعمال التي قام العلماء باستنكار إتيانها والنهي عنها:

---

(١) سَبَرْتُ الجُرحَ أَسْبُرُهُ: إذا نظَرت ماغَوْرُه. الصحاح ٢ : ٦٧٥ «سبر».

(٢) المَيْنُ : الكذب. الصحاح ٦ : ٢٢١٠ «مين».

(٣) إشارة للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨ هـ) صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل».

(٤) انظر: رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١٦٩:٢.

[١] أهي المآتم والتعازي؟

[٢] أم هي المواكب المنظّمة، الحاملة للأعلام والمشاعل ليلاً.

[٣] أم هي الجماهير المتدفّقة، العراة الصدور، الحاسرة الرؤوس؟

فإن قالت: الأوّل، فغفرانك اللهمّ غفرانك من هذه الجرأة على العلم والعلماء والعقل، والفريّة[١] الصريحة. وهذه العرب ببابك من النجف، إلى بقيّة العراق، إلى إيران، إلى الهند، إلى سورية، إلى سائر الأقطار الإسلاميّة، تُقيم المآتم الحسينيّة، وتأمر بإقامتها، وتتسابق إليها، وتتنافس فيها، ولم نسمع بمنكر ولا مستنكر لها، فضلاً عن محرّم ناه عنها.

وكيف؟! وهذه كتبهم مشحونة بالأحاديث المستفيضة عن أئمّتهم عليهم السلام الحاضّة على إقامة العزاء، والحاثّة على البكاء وإظهار الحزن والأسى بما هو غنيّ عن البيان، يظفر به مَن له أدنى إلمام بكتبهم ومجاميعهم في ذلك الموضوع.

وحسبك من واضح الدلالة، وقاطع البرهان على ذلك حديث دعبل[٢] المشهور المسطور في غالب كتب الشيعة، وبعض كتب أهل السنّة كمعاهد

---

(١) أي الكذب. الصحاح ٦: ٢٤٥٤ «فرا».

(٢) أبو علي، وقيل: أبو جعفر، دعبل بن علي بن رزين الخزاعي. وقيل: إنّ دعبلاً لقبه واسمه الحسن، وقيل: عبدالرحمن، وقيل: محمّد.

وهو شاعر مطبوع مفلّق، من أهل الكوفة، ولد فيها سنة ١٤٨ هـ، وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلدان كدمشق ومصر وخراسان.

كان رحمه الله متفانياً في حبّ أهل البيت(عليهم السلام) وهو الذي يقول: حملتُ خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لستُ أجد أحداً يصلبني عليها.

⇦

التنصيص[١]، يوم وفوده على الرضا عليه السلام وبكائه البكاء الغزير عند إنشاده تائيّته المشهورة[٢].

⇨

أخذ الشعر عن أستاذه صريع الغواني مسلم بن الوليد واستقى من بحره، وله عدّة مؤلّفات منها: «الواحدة» في مناقب العرب ومثالبها، وكتاب «طبقات الشعراء»، وله ديوان شعر مجموع.

ذكر النجاشي في رجاله ١ : ٣٧١ عن ابن أخيه أنّه رأى الإمام الكاظم عليه السلام، ولقي الإمام الرضا عليه السلام.

وعدّه ابن شهر آشوب في المعالم : ١٣٩ من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام .

وذكره العلاّمة الحلّي في الخلاصة: ٧٠، وابن داود في رجاله : ١٤٧ في القسم الأوّل من رجالهما.

قتل رحمه الله وهو شيخ كبير سنة ٢٤٦ هـ ، وسبب قتله أنّ مالك بن طوق بعث رجلاً ليقتله وأعطاه عشرة آلاف درهم، فلحقه في الأهواز وقتله هناك.

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢ : ١٩٨.

(٢) وهي قصيدة شعريّة رائعة، تعتبر من أحسن الشعر وأسنى المدائح، قالها دعبل في أهل البيت عليهم السلام، وأنشدها أوّل مرّة بحضور الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، بعد أن بويع بولاية العهد في زمن المأمون، وذكر العلاّمة الأميني في الغدير ٢ : ٣٤٩ أنّ عدد أبياتها هو مائة وواحد وعشرون بيتاً، والموجود في ديوانه المطبوع: ١٢٤ ـ ١٢٥ مائة وخمسة عشر بيتاً.

علماً بأنّ كثيراً من المصادر لم تذكر القصيدة كاملةً، بل من البيت الثلاثين منها : (مَدارسُ آيات...) لأنّ دعبل أنشدها الإمام الرضا عليه السلام من هذا البيت، ولم ينشدها من أوّلها الذي هو في التشبيب والغزل، الذي يقول فيها:

تَجاوبنَ بالإرنانِ والزَّفراتِ ... نوائِحُ عُجمُ اللَّفظِ والنَطِقاتِ

يُخَبِّرنَ بالأنفاس عَن سرِّ أنفُس ... أُسارى هَوىً ماض وآخرَ آتِ

فأسعدنَ أو أسعفْنَ حتّى تَقوَّضَتْ ... صُفوفُ الدُجى بالفَجر مُنهزماتِ

⇦

وما رواه الماوردي الشافعي ـ المتوفّى سنة ٤٥٠ هـ في كتابه أعلام النبوّة ـ عن عائشة، قالت : دخل الحسين بن علي على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يوحى إليه، فبرك على ظهره وهو منكب ولعب عليه، فقال جبرئيل: يا محمّد، إنّ اُمّتك ستفتن بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك، ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: في هذه الأرض يُقتل ابنك، اسمها الطفّ.

⇨

قال الأصفهاني في الأغاني ٢٠ : ١٦٢: قال دعبل : دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان فقال لي: «أنشدني شيئاً ممّا أحدثت» فأنشدته : (مدارسُ آيات...) حتّى انتهيت إلى قولي :

إذا وُتِروا مدّوا إلى واتريهم   أكُفّاً عن الأوتارِ مُنْقبضاتِ

فبكى الإمام حتّى اُغمي عليه، وأومأ إلي خادم كان على رأسه: أن اسكت. فسكت ساعة.

ثمّ قال لي: «أعد». فأعدتُ حتّى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأولى ـ وأومأ الخادم إليّ : أن اسكت. فسكتُ، ومكثت ساعة اُخرى، ثمّ قال لي: «أعد»، فأعدت حتّى انتهيت إلى آخرها، فقال لي: «أحسنت» ثلاث مرات.

ثمّ أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضُرب باسمه، ولم تكن دُفعت إلى أحد بعد، وأمر لي مَن في منزله بحليّ كثير أخرجه إليّ الخادم، فقدمتُ العراق فبعتُ كلّ درهم منها بعشرة دراهم اشتراها منّي الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم.

قال ابن مهرويه: وحدّثني حُذيفة بن محمّد: أنّ دعبلاً قال له: إنّه استوهب من الرضا عليه السلام ثوباً لبسه ؛ ليجعله في أكفانه، فخلع جبّة كانت عليه فأعطاه إياها.

انظر: تأريخ بغداد ٨ : ٣٨٢، تنقيح المقال ١ : ٤١٧، شذرات الذهب ٢ : ١١، الغدير ٢ : ٣٦٣ و٣٨٥، لسان الميزان ٢ : ٤٣٠، معجم الأدباء ١١ : ٩٩، ميزان الاعتدال ٢ : ٢٧: ٢٦٧٣، وفيات الأعيان ٢ : ٢٦٦.

فلمّا ذهب جبرئيل، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أصحابه والتربة بيده ـ وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمّار وأبو ذر ـ وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يارسول الله؟ فقال: «أخبرني جبرئيل أنّ ابني الحسين يُقتل بعدي بأرض الطّف، وجائني بهذه التربة فأخبرني أنّ فيها مضجعه»[1].

هل ترى أنّ علياً عليه السلام لم يشارك النبيّ صلى الله عليه وآله بالبكاء، وكلّ منهما ثكلى؟!

أمّ أنّ باقي الصحابة يحجمون عنه مع فعل النبيّ وعلي له؟!

بل من الضروري المحقّق أنّ الكلّ اشتركوا في البكاء.

وهل هذا إلّا عين إقامة العزاء، عزاء وأيّ عزاء؟! المقيم له النبيّ المختار، والباكي فيه كبار الصحابة الأخيار.

وإذا ثبت رجحان البكاء عليه، وإقامة العزاء له في حياته، فيثبت بالأولوية القطعيّة رجحانهما بعد وفاته، إذاً فكيف يجسر عاقل ـ فضلاً عن عالم فقيه ـ على استنكار مثل ذلك أو النهي عنه؟! أعاذنا الله من مفتريات الأنقال، ومحرّمات الأقوال.

وإن قالت الجريدة: مرادي الثاني ـ أي المواكب المنظّمة، الحاملة للأعلام والمشاعل ـ زد على ذلك التمثيل والتشبيه، المعبّر عنه بلسان العامّة بالسبايا والشبيه، فإنّ الجريدة وإن أغفلت ذكر تلك الزيادة أوّلاً، وتعرّضها أخيراً عند نقلها تحريم المحرّم، حيث قال: «فإنّه حفظه الله لم يكتفِ بتقبيح إقامة السبايا في الشوارع وتنظيم المواكب، بل حرّمها تحريماً باتاً»[2].

---

(١) أعلام النبوّة: ١٠٨.

(٢) قال في رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٦٨-١٦٩ «ما زلت بحمد الله سبحانه وحُسن توفيقه صادحاً ـ منذ دخولي البصرة من ⇦

فهو من سوء التعبير وإدماجه، وإلّا فهي الجديرة بالذكر أوّلاً وآخراً، ولكنّا لسنا بصدد انتقادها من هذه الوجهة، أو من وجهة الخروج عن القواعد العربيّة، كخفضها «الجعفريين» وهم مرفوعون، وغير ذلك ممّا لا يخفى على الناقد البصير.

فنقول: التمثيل والتشبيه ـ بما هو حكاية عن شيء غابر بشيء حاضر، بتمثيل حركاته وسكناته وتنقّلاته وكلماته، مشاهدة بالعيان والحاسّة البصريّة، بعد ما لم تكن مشاهدة إلّا بالقوّة الخياليّة ـ أمر عاديّ قديم، تستعمله غالب الفرق، من مسلمين وأجانب.

فهؤلاء المسلمون، من مصريّين وشاميّين، مازالوا أو لا يزالون ينفقون الأموال الطائلة الجسيمة، والحلل الفاخرة الثمينة، في سبيل تذكار هودج أو محمل عائشة أُمّ المؤمنين، حتّى يُساق بكلّ حفاوة واحترام، أمام موكبهم الموقّر إلى بيت الله الحرام وحرم النبيّ عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

⇨

شهر شعبان إلى اليوم ـ في الناس بالنهي لهم عمّا قد تعوّدوه من الإتيان بضروب المحرّمات والمنكرات والسخافات والحماقات، وجعلهم إياها من جملة الديانات الشرعيّة، خصوصاً مسألة التشبيهات التي يمثّلونها في عاشوراء، فصرت مُنوّهاً برفضها ومصرّحاً بما فيها من التحريم، لأنّي أراها مجلبةً لسخرية الملل الخارجة وداعياً من دواعي الاستهزاء.

فحرّمتها علناً منادياً بذلك بين الخلق، هادياً لهم إلى سبيل الحقّ والرشاد، ومقدّساً للدّين القويم عمّا جعله منه جماعة الجاهلين».

وناهيك اهتمام الأجانب في عقد المحافل والمحاشد والاجتماعات الضخمة الفخمة لرواياتهم التمثيليّة، فالتمثيل ليس بأمر حادث مُبتدع، بل عاديّ قديم متّبع.

ونحن وإن تحاشينا عن القول بوجود آية أو رواية تندب إليه، وتحضّ عليه، فلا نتحاشى عن القول بجوازه وإباحته بالنظر إلى ذاته وعنوانه الأوّلي، أي بما أنّه تمثيل وتشبيه، وإلّا فقد يكتسي الحرمة والمبغوضيّة أو الرجحان والمحبوبيّة بالنظر إلى العناوين الثانوية.

فمن الأوّل ما لو اشتمل على سخرية واستهزاء بمن يجب إعظامه وإجلاله، أو على إمساس بكرامة مسلم محترم، أو إلقاح الفتنة بين المسلمين، أو نحو ذلك من العناوين المحرّمة، فإنّه لا إشكال حينئذ في الحرمة والمبغوضيّة.

ومن الثاني ما لو كان مشتملاً على ما يحبّه المولى ويهواه، كتعظيم شعائره، ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[1] والقيام بواجب المودّة في القربى المسؤول عنها بقوله تعالى: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[2].

وهذا التذكار الحسيني قد اشتمل على كلا العنوانين، فأيّ شعائر الله أعظم من التذكار للشعائر الحسينيّة، التي عظّمها سلام الله عليه يوم الطفّ،

---

(١) الحجّ (٢٢): ٣٢.

(٢) الشورى (٤٢): ٢٣.

إحياء لدين جدّه، بتضحية نفسه وولده ونهب ثقله وسبي عياله على يد أشرّ الخلق والخليقة البغيّ ابن مرجانة؟!

أمّ أيّ مودّة في القربى ـ وهم علي وفاطمة وأبناؤهما الطاهرون عليهم السلام، باتّفاق جملة من المفسّرين، كالزمخشري[1] وغيره ـ أعظم من إقامة عزائهم وتذكارهم، والحزن لحزنهم، والفرح لفرحهم؟!

ومن ذلك يهون الخطب، ويسهل الأمر لو قالت الجريدة: مرادي الثالث، أي تعرية الصدور، وحسر الرؤوس. فإنّ الصدور العارية، والرؤوس الحاسرة، تفجّعاً وتوجّعاً، وتذكاراً لصدور مرضّضة، ورؤوس مقطّعة، لَمِنْ أوّل مراتب القيام بواجب المودّة في القربى المسؤول عنها، ومن أدنى تعظيم الشعائر السالف ذكرها.

وبعدئذ فهل يحسن للجريدة ويجمل بها أن تنسب للعلماء الأعلام ـ افتراءً وتزويراً ـ استنكارَ الإتيان بتلك المشروعات الراجحة والنهي عنها، وهي بمرأى منهم ومسمع ومنتدىً ومجمع، لم يَفه[2] أحد منهم بكلمة، ولم ينبس ببنت شفة[3].

---

(١) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) قال في تفسيره «الكشّاف عن حقائق التنزيل» ٣ : ٤٦٧ في تفسير قوله تعالى ﴿**قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ الشورى (٤٢) : ٢٣ : والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة. والمراد: في أهل القربى، وروي أنّها لمّا نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودّتهم؟ قال : «علي وفاطمة وابناهما».

(٢) أي لم ينطق بكلمة، والفوهُ : هو الفَمُ، والجمع أفواهٌ، وفاه بالكلام يفوه : لفظ به. الصحاح ٦: ٢٢٤٤ ـ ٢٢٤٥ «فوه».

(٣) أي لم يتكلّم بكلمة واحدة. الصحاح ٣ : ٩٨١ «نبس».

كيف، وهذه فتاواهم بين يديك معربةً عمّا قلناه، مصرحةً في ما ادّعيناه، فإليك اللهمّ نبرأ من هذه الفريّة، الذاهبة بالعار والويلات على مفتريها.

ثمّ إنّ الجريدة بعد ما خلطت الحابلَ بالنابل(١)، ونقضت ما أبرمَت(٢)، وحرّمت ما حلّله الشرع ورجّحه اجتهاداً في مقابلة النصّ، دخّلت المسألة في صورة سياسيّة، وتحكّكت تحكّكَ العقرب بالأفعى(٣) فكانت كالساعي إلى حتفه بظلفه(٤)، فقالت ـ بعد أن ذكرت أنّ أُمنيتها الوحيدة هي إعلاء كلمة الإسلام، وإزالة التعصّب المذهبي ـ: «إنّ هذه المواكب هي عامل من عوامل التفرقة ورمز يشير إليها».

ولم تحسّ ولم تبصر ـ ولا عجب، فإنّ حبّ الشيء يعمي ويصمّ ـ أنّ الحسين بن علي عليهما السلام مجمع علاقات وانتسابات لكثير من العالم البشري، فالعربي يتعلّق به وينتسب إليه بعربيّته وإن جحدَ رسالة جدّه ودعوته، والمسلم بسائر ملله ونحله يتعلّق به وينتسب إليه برسالة جدّه ونبوّته عليه، ولا اختصاص للشيعي عن غيره إلّا باعتقاده إمامته، وهذا لا يقضي له بالميّزة والاختصاص عمّن سواه من أولئك المنتسبين، بل الجدير بالجميع الاشتراك في إقامة تذكاره ونصب عزائه، حزناً على مصابه، وتقديراً لمساعيه المشكورة، وتخليداً لخدماته المحمودة.

---

(١) الحابِلُ: الذي يَنصب الحِبَالَة للصيد، وفي المثل «اختلطَ الحابِلُ بالنابِل»، ويقال: الحابِلُ: السَدَى في هذا الموضع، والنابلُ: اللُحمَةُ. الصحاح ٤: ١٦٦٥٠ «حبل».

(٢) أبْرَمتُ الشيء: أي أحكمتُه. الصحاح ٥: ١٨٧٠ «برم».

(٣) فلان يَتَحَكَّكُ بي، أي يتمرّس ويتعرّض لشرّي. الصحاح ٤: ١٥٨ «حكك».

(٤) ذهب دمه ظَلَفاً وَظُلَفاً: أي هدراً، ويقال: ذهب ظَلِيفاً: أي مجاناً، أخذه بغير ثمن، الصحاح ٤: ١٣٩٨ «ظلف».

اللهمّ إلاّ أن يسبق إلى القيام بواجب تلك العلاقة الحسينيّة بعض ذويها، فيفوز بفضيلة السبقة إليها، وحلاوة الشكر والثناء، من بقيّة المشاركين له بها على كفايته مؤونة القيام بواجبها، فإنّ الحسين عليه السلام ـ كما علمت ـ حسين الجميع: العربيّ، والسنيّ والشيعيّ. يعود فخره وشرفه إليهم على حسب تعلّقهم به وانتسابهم إليه، فهو جامعة من جوامعهم، ورابطة أكيدة من روابطهم، فكيف يكون تذكاره الشريف «عاملاً من عوامل التفرقة بينهم، ورمزاً مشيراً إليها»؟! كما زعمته الجريدة ودلّسته اختلاساً للحقّ والحقيقة، ودسّاً للسمّ في الدسم، وهل يكون الجامع مفرِّقاً؟!

أجل إنّ هذه التمويهات والاختلاسات غير الخافية على مَن له أدنى تعلّق بالسياسات، هي العوامل القويّة، والرموز الجليّة، المشيرة بيد وبنان إلى التفرقة والنفرة، والموقدة لنار الفتنة والخلاف، الباثّة لبذور التعصّبات المذهبيّة، التي كلّ من هؤلاء يبرأ منها، ويتوحّشها بصرف طبعه ومدنيّته، لا أن يحضّ عليها، وينبّه لها بمثل هذه الدسائس والهواجس، التي ربما تخفى على بعض البسطاء من الناس، فتهوي بهم إلى هوّة الشقاق والخلاف.

وإلّا فالناقد البصير أجل من أن يخدع بمثل هذه الأساطير، أو يطرب على مثل هذه التصدية[1] والمُكاء[2]، ولا يمتعض[3] أو يتمعّر[4] من تقدير

---

(١) الصَدَى : الذي يُجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها. الصحاح ٦ : ٢٣٩٩ «صدى».

(٢) المُكاءُ : الصفير، وقد مَكَا يَمْكُو مَكْواً وَمُكَاءً: صَفَرَ. الصحاح ٦ : ٢٤٩٥ «مكا».

(٣) لا يمتعض : أي لا يغضب ولا يشقّ عليه. الصحاح ٣ : ١١٠٧ «معض».

(٤) تَمَعَّرَ لونُه عند الغضب: تغيَّر. الصحاح ٢ : ٨١٨ «معر».

نابغة من نوابغ قومه على فضيلة جديرة بالتقدير وإن خالفه بالنحلة والمذهب.

فهذا السموأل[1] حيث وافقنا بالقوميّة العربيّة وإن خالفنا بالنحلة الدينية، نقدّر وفاءه المشهور، حتّى أُقيمت له رواية تمثيليّة في بعض مدارسنا النجفيّة.

ثمّ إنّ الجريدة لم تقنع بذلك حتّى زادت في الطين بلّة، وفي الطُنبور[2] نغمة، فقالت : «إنّني استفظع هذه المواكب، كما استفظع أعمال الوهّابيّين في الحجاز».

فليتها ضربت صفحاً، وطويت كَشْحَاً[3]، عن ذلك التشبيه الهائل، الآخذ بضبع التطرّف والتزلّف والتمايل عن قيل الحقّ إلى الباطل، فاكتفت بما زخرفته من قوارع كلامها التي أسكتت لهول دويّها الأسماع، فأينَ الصلاح

---

(١) قال السيوطي في شرح شواهد المغني ٢ : ٥٣٥: السَمَوْأل، بفتح المهملة والميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ولام: اسم عبراني، وقيل: عربي مرتجل، وهو منقول من اسم طائر، واسمه فعوعل بن عريض بن عاديا ـ بالمد والقصر ـ ابن قبا.

والسموأل بن عريض بن عاديا اليهودي، صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، وبه يضرب المثل بالوفاء؛ لأنّه أسلم ابنه ولم يخن أمانته في دروع أودعها عنده امرؤ القيس لمّا صار إلى القسطنطينية يطلب منه معونة القيصر، وقد توفّي نحو سنة ٥٦٠ .

انظر : الأغاني ٢٢: ١٢٢، العقد الفريد ١ : ٩٣، الجامع في تاريخ الأدب العربى : ٢٨٢.

(٢) الطُنْبُورُ : من آلات العزف، فارسي معرّب. الصحاح ٢ : ٧٢٦ «طنبر».

(٣) طويتُ كَشحي على الأمر: إذا أضمَرتَهُ. الصحاح ٣٩٩:١ «كشح».

والإصلاح اللذان سعت الجريدة بتمام سعيها إليهما، وأوقفت حياتها عليهما؟ فعليها وعلى صلاحها وعلى إصلاحها السلام.

كلمة لحضرة السيّد العلاّمة
جعفر الفضل من آل بحر العلوم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخفى على إخواننا المؤمنين ـ وفّقهم الله وإيانا لتعظيم شعائر الدّين ـ أنّ مسألة الشبيه والمواكب، وسائر ما تستعمله الشيعة وغيرهم في عزاء سيّد الشهداء، الحسين بن علي عليهما السلام، من دقّ الطبول، وطَقْطَقَةِ[2] الطوس، وضرب البوق، وغير ذلك من مظاهر الحزن والبكاء، ممّا وقع السؤال عنها سابقاً ولاحقاً من

---

(١) السيّد جعفر ابن السيّد محمّد باقر، أحد أحفاد السيّد محمّد مهدي الطباطبائي المعروف ببحر العلوم، عالم فاضل أديب، راوية لسير العلماء، حضر على علماء عصره، وكتب ما أملته عليه أساتذته. ألّف عدّة كتب منها : أسرار العارفين في شرح دعاء كميل، وتحفة الطالب في حكم اللحية والشارب، وتحفة العالم في شرح خطبة المعالم. توفّي(رحمه الله) سنة ١٣٧٧ هـ.

انظر: معارف الرجال ١: ١٨٢.

(٢) أي صوت الطوس، والطَقْطَقَةُ في أصل اللغة : أصوات حوافر الدوابّ. الصحاح ٤ : ١٤١٧ «طقق».

العلماء الأعلام، شيّد الله أركانهم، منهم شيخنا المحقّق الثالث أبو القاسم القمّي صاحب القوانين رحمه الله[1]، وقد أجاب في كتابه الموسوم بجامع الشتات، وهاك ترجمة الجواب:

«إنّي لا أرى وجهاً للمنع عن ذلك، ويدلّ عليه عمومات رجحان البكاء والإبكاء والتباكي على سيّد الشهداء عليه السلام ولا شكّ إنّه من الإعانة على البرّ».

ثمّ أخذ رحمه الله في المبالغة والإصرار على إثبات الجواز، حتّى جوّز ذلك وإن كان مشتملاً على تشبيه الرجال بالنساء، بدعوى أنّ المستفاد من تلك الأخبار المانعة من تشبيه أحدهما بالآخر[2]، هو الخروج من زيّ أحدهما

---

(١) الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمّد حسن الشفتي الجيلاني القمّي، اشتهر بالميرزا القمّي لتوطّنه بها. كان رحمه الله علماً من أعلام الشيعة الإمامية وفقهائها، محقّقاً متقناً منقّباً، تقياً ورعاً ثقة عدلاً، ويدل على فضله وتحقيقه كتابه «القوانين». حضر على أساتذة عصره، وتخرّج من عالي دروسه الكثير من العلماء والفضلاء. له عدّة مؤلّفات ـ إضافة للقوانين ـ منها: الغنائم، والمنهاج، ومرشد العوام، والإرث، وإرجوزة في المعاني والبيان. توفّي في قم سنة ١٢٣١ هـ.

انظر: معارف الرجال ١ : ٤٩.

(٢) منها : ما رواه الشيخ الكليني في الكافي ٨ : ٧١ حديث ٢٧، والشيخ الصدوق في علل الشرائع ٢: ٦٠ حديث ٦٣ أنّ علياً عليه السلام رأى رجلاً به تأنيث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : «أخرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لعن الله المتشبّهين من الرجال بالنساء والمتشبّهات من النساء بالرجال».

⇦

والدخول في زيّ الآخر، بحيث يُعدّ الرجل نفسه من صنف النساء، وبالعكس، وأمّا التشبيه بامرأة خاصّة في زمان قليل لغرض خاصّ، فهو خارج عن منصرف الأخبار».

إلى أن قال رحمه الله تعالى: «إنّ تشبيه الرجل نفسه بالشمر الرجز قاتل الحسين عليه السلام من أعظم المجاهدات، وفيه تحقير النفس وتذليل لها، وفعلُ ذلك لجلب مراضي الله تعالى من أعظم جلب الفيوضات الإلهيّة»[1].

هذا خلاصة ترجمة كلامه وحاصل مرامه.

ومنهم العلاّمة الأنصاري الشيخ مرتضى طاب ثراه[2] في رسالته العمليّة المسمّاة بسرور العباد، قال ما ترجمته:

⇨

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يزجر الرجل أن يتشبّه بالنساء، وينهى المرأة أن تتشبّه بالرجال في لباسها».

وروى سماعة عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال عن الرجل يجرّ ثوبه: «إنّي لأكره أن يتشبّه بالنساء».

انظر: وسائل الشيعة ٥: ٢٥ باب ١٣ من أبواب أحكام الملابس.

(١) جامع الشتات ٢: ٧٨٨.

(٢) الشيخ مرتضى ابن الشيخ محمّد أمين الأنصاري التستري النجفي، كان رحمه الله فقيهاً أصوليّاً متبحّراً في الأصول، لم يسمح الدهر بمثله، كان أهل زمانه يضربون به المثل في زهده وتقواه وعبادته وقداسته. حضر على أعلام عصره كالسيّد محمّد المجاهد وشريف العلماء والشيخ مولى ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثمّ اشتغل بالتدريس، وأطبقت الشيعة الإمامية على تقليده في شرق الأرض وغربها. ألّف عدّة كتب منها: المكاسب، كتاب الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، الخمس، الفرائد في علم الأصول، أصول الفقه. مات رحمه الله في النجف سنة ١٢٨١ هـ.

⇦

«إذا جرح شخص نفسه في تعازي الحسين عليه السلام بسيف ونحوه، بحيث يوجب الضرر ببدنه، فهو حرام. أمّا إذا كان بدرجة يرتفع ضرره وألمه، كالضرب على الصدر، على النحو المتعارف بين الناس، ولو أوجب الحمرة أو سواد البشرة، فلا ضرر في ذلك»(١).

أقول : ومقتضى هذا الكلام جواز إدماء الشخص عضواً من أعضائه بمقدار يأمن من الضرر، كما يفعله أهل القامات.

ثمّ قال رحمه الله: «إخراج الشبيه غير محرّم، إذا لم يرتكب فيه محرّم آخر، كالغناء وضرب الدفّ والمزمار»(٢).

وقد أقرّه على هذه الفتوى جملة المحشّين: منهم حجّة الإسلام الميرزا الشيرازي(٣)، والآخوند ملاّ محمّد كاظم الخراساني(٤).

⇨

انظر: معارف الرجال ٢ : ٣٩٩.

(١) سرور العباد: ٣٤.

(٢) سرور العباد: ٣٤.

(٣) السيّد ميرزا محمّد حسن ابن السيّد ميرزا محمود الشيرازي، كان رحمه الله فقيهاً أصولياً، ورعاً زاهداً، حضر درس الشيخ مرتضى الأنصاري، ثمّ استقلّ بالتدريس وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء والمجتهدين، هاجر إلى سامراء واستقرّ بها مع جمع غفير من تلامذته، وهو صاحب الفتوى المعروفة بتحريم التنباك. توفّي في سامراء سنة ١٣١٢ هـ، ودفن في مقبرته الخاصّة في صحن أميرالمؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف.

انظر: معارف الرجال ٢ : ٢٣٣.

(٤) الشيخ ملاّ محمّد كاظم ابن ملاّ حسين الهروي الخراساني النجفي، كان رحمه الله عالماً فاضلاً، أصولياً، له نظريات جديدة في علم الأصول، وكتابه «الكفاية»، خير شاهد على تبحّره في

⇦

هذا، وقد يُستدلّ لجواز التشبيه والتمثيل بما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «ما من مؤمن إلّا وله مثال في العرش، فإذا اشتغل بالركوع والسجود فعل مثاله مثل ذلك، فعند ذلك تراه الملائكة، فيصلّون عليه ويستغفرون له. وإذا اشتغل العبد بالمعصية، أرخى الله على مثاله ستراً»[1] الحديث.

ومن المعلوم أنّ ضرب الطبل إن قلنا بحرمته، فإنّما هو إذا حصل به الطَرب، كما هو مستعمل عند أهله، لا ما يوجب الحزن والجزع، بل الإنصاف أنّ الآلات الثلاث المذكورة ليست من الآلات المشتركة بين العنوانين، بل إنّما تُعدّ عرفاً من آلات الحزن لا غير، ولذا لم ترَ من العلماء من أنكر عليهم فعل ذلك خلفاً عن سلف، مع وقوع ذلك بمرأى منهم ومسمع، رزقنا الله شفاعة الحسين عليه السلام ووفقنا لتعظيم شعائره.

⇦

هذا العلم. حضر على فقهاء عصره كالشيخ راضي النجفي، والشيخ مرتضى الأنصاري، والسيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي، وتخرّج من عالي دروسه الكثير من العلماء والمجتهدين. ألّف كتباً كثيرة ـ إضافة للكفاية ـ منها : كتاب الإجارة، حاشية على رسائل أُستاذه الشيخ الأنصاري، وحاشيته على مكاسبه، وشرح التبصرة. توفّي (رحمه الله) في النجف سنة ١٣٢٩ هـ.

انظر: معارف الرجال ٢ : ٣٢٣.

(١) مفتاح الفلاح ٤٤٣ ـ ٣٤٤، وعنه في بحار الأنوار ٥٤: ٣٥٤.

كلمة للشيخ العلاّمة الهادي من آل كاشف الغطاء[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحزن والجزع، والنوح والندب، والعويل والنداء، والبكاء والتباكي والإبكاء، وإقامة مآتم العزاء على مصاب ريحانة خاتم الأنبياء، وسيّد شباب أهل الجنّة، من أفضل السُنن المشروعة والمستحبّات الراجحة، ومن شعار الصلحاء وأهل الولاء والوفاء، ومن أقوى علائم المودّة في القربى، ولا سيما في اليوم العاشر من المحرّم، الذي تتجدّد فيه أحزان أهل البيت وأحزان شيعتهم ومواليهم.

---

(١) الشيخ هادي ابن الشيخ عبّاس ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كان عالماً فاضلاً، أديباً شاعراً، درس على أفاضل عصره كالآخوند الخراساني صاحب الكفاية، والسيّد اليزدي صاحب العروة، والشيخ آقا رضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه. له مؤلّفات عديدة منها : منظومات في حقّ الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، وواقعة الطفّ، وشرح على الشرائع والتبصرة. توفّي رحمه الله في النجف سنة ١٣٦١ هـ.

انظر: ماضي النجف وحاضرها ٣ : ٢١٠.

اليوم الذي هو أعظم من يوم قُبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن يوم ماتت فيه سيّدة النساء وبضعة سيّد الأنبياء، ومن يوم قُتل فيه أميرالمؤمنين عليه السلام بالسيف، ومن يوم قُتل فيه الحسن الزكيّ المجتبى عليه السلام بالسمّ، كما في خبر ابن الفضيل الهاشميّ، المروي في الوسائل؛ معلّلاً ذلك بأنّ كلّ مَن مضى من أصحاب الكساء الخمسة ـ الذين كانوا أكرم الخلق على الله تعالى ـ يبقى بعده منهم مَن فيه للناس عزاء وسلوة، إلّا الحسين، فإنّه لما قُتل لم يبق بعده منهم مَن فيه عزاء للناس وسلوة، «فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة»[1].

(١) أخرج قسماً منه الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ١٤ : ٥٠٣ ـ ٥٠٤ حديث ٦، باب ٦٦ من أبواب «المزار وما يناسبه»، نقلاً عن علل الشرائع للشيخ الصدوق : ٢٢٥ حديث ١. وأخرجه كاملاً ـ عن علل الشرائع أيضاً ـ العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٩ ـ ٢٧١ حديث ١ باب ٣٢ «إنّ مصيبته صلوات الله عليه كانت أعظم المصائب» وتمام الحديث هو : محمّد بن عليّ بن بشّار القزوينيُّ، عن المظفّر بن أحمد، عن الأسدي، عن سهل، عن سليمان بن عبدالله، عن عبدالله بن الفضل، قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يا بن رسول الله، كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغمّ وجزع وبكاء، دون اليوم الّذي قُبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ واليوم الّذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام؟ واليوم الّذي قُتل فيه أميرالمؤمنين عليه السلام؟ واليوم الّذي قُتل فيه الحسن عليه السلام بالسمّ؟

فقال : «إنّ يوم قتل الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أنّ أصحاب الكساء ـ الّذين كانوا أكرم الخلق على الله ـ كانوا خمسة، فلمّا مضى عنهم النبيُّ، بقي أميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للنّاس عزاء وسلوة، فلمّا مضت فاطمة عليها السلام كان في أميرالمؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضى ⇦



منهم أميرالمؤمنين كان للناس في الحسن والحسين عليهما السلام عزاء وسلوة، فلمّا مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عزاء وسلوة.

فلمّا قُتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم،، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة».

قال عبدالله بن الفضل الهاشمي: فقلت له : يا بن رسول الله، فلِمَ لم يكن للنّاس في عليّ بن الحسين عليهما السلام عزاء وسلوة، مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام ؟

فقال : «بلى إنّ عليّ بن الحسين كان سيّد العابدين، وإماماً وحجّة على الخلق بعد آبائه الماضين، ولكنّه لم يلق رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولم يسمع منه، وكان علمه وراثة: عن أبيه عن جدّه عن النبيّ صلّى الله عليه وآله.

وكان أميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدهم الناس مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في أحوال تتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكّروا حاله من رسول الله صلّى الله عليه وآله وقول رسول الله صلّى الله عليه وآله له وفيه، فلمّا مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عزّوجلّ، ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلّا في فقد الحسين عليه السلام؛ لأنّه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيّام مصيبة».

قال عبدالله بن الفضل الهاشميّ : فقلت له : يا بن رسول الله، فكيف سمّت العامّة يوم عاشوراء يوم بركة؟

فبكى عليه السلام ثمّ قال : «لمّا قُتل الحسين عليه السلام تقرّب الناس بالشام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان ممّا وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنّه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن، إلى الفرح والسّرور والتبرُّك والاستعداد فيه، حكم الله بيننا وبينهم».

قال: ثمّ قال عليه السلام: «يا بن عمّ وإنّ ذلك لأقل ضرراً على الإسلام وأهله ممّا وضعه قوم انتحلوا مودّتنا وزعموا أنّهم يدينون بموالاتنا ويقولون بإمامتنا، زعموا أنّ



إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في عظم هذا اليوم، واستحباب الحزن والجزع، وإقامة سنن المصائب فيه(١)، مضافاً إلى التأسّي بالأئمّة الأطهار وصلحاء الأُمّة الأبرار.

وللحزن مظاهر وكيفيّات وحالات وهيئات، تختلف باختلاف أطوار الأُمم وعاداتها، واختلاف أزمانها وأحوالها. ولم ترد له من الشرع الشريف كيفيّة خاصة تعبديّة، ليقتصر عليها الحزين في حزنه، والنائح في نوحه.

⇨

الحسين عليه السلام لم يُقتل، وأنّه شُبّه للناس أمره كعيسى بن مريم، فلا لائمة إذاً على بني أُميّة ولا عتب على زعمهم، يا بن عمّ من زعم أنّ الحسين لم يُقتل فقد كذّب رسول الله وعليّاً وكذّب من بعده من الأئمّة عليهم السلام في إخبارهم بقتله، ومن كذّبهم فهو كافر بالله العظيم، ودمه مباح لكلّ من سمع ذلك منه».

قال عبدالله بن الفضل : فقلت له: يا بن رسول الله، فما تقول في قوم من شيعتك يقولون به؟ فقال عليه السلام:«ما هؤلاء من شيعتي، وأنا بريء منهم».

قال : فقلت : فقول الله عزّوجلّ : ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ قال : «إنّ أُولئك مسخوا ثلاثة أيّام ثمّ ماتوا ولم يتناسلوا، وإنّ القردة اليوم مثل أُولئك وكذلك الخنزير وسائر المسوخ، ما وجد منها اليوم من شيء فهو مثله لا يحلُّ أن يؤكل لحمه».

ثم قال عليه السلام : «لعن الله الغُلاة والمفوّضة فانّهم صغّروا عصيان الله، وكفروا به وأشركوا وضلّوا وأضلوا فراراً من إقامة الفرائض وأداء الحقوق».

(١) وسائل الشيعة ١٤ : ٥٠٠ ـ ٥١٠، باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين عليه السلام وما أصاب أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً يوم عاشوراء واتّخاذه يوم مصيبة».

وللبكاء والإبكاء أسباب سائغة، ووسائل مباحة، تمثّل ما جرى في الطفّ من الفجائع، وما انتهك فيه من الفظائع، تمثيلاً قوليّاً أو فعليّاً.

كما أنّ للحزن مظاهر شتّى، منها خروج المواكب المحزنة المبكية، والجماعات النائحة اللاطمة على الرؤوس والصدور وغيرهما، فإنّ إعلان الحزن ممّا ينبغي لكلّ مؤمن موحّد، ليكون من مصاديق مَن حزن لحزنهم عليهم السلام، ففي خبر الريّان المروي في الوسائل وغيرها: «إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العُلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا»[1].

فعلى أهل الولاء والوفاء الاحتفال بشهادة سيّد الشهداء، والتظاهر بمظاهر الحزن والبكاء، والأخذ بالآداب والسنن الجارية في هذا المضمار، المتكفّلة ببيانها كتب الحديث والأخبار، والله الموفّق للصواب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٣ حديث ٥ باب ٦٦ من أبواب المزار، نقلاً عن أمالي الشيخ الصدوق: ١١٢ حديث ٥، وعيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ١: ٢٩٩ حديث ٥٨.

صورة السؤال المرفوع لحجج حول التذكار الحسيني وأجوبتهم عنه

لا ريب في أنّ مظاهر الحزن بأنحائها التي تقوم بها الشيعة في محرّم الحرام، مأخوذة عن السلف الصالح، والسيرة تقضي باستمرارها منذ القرون العديدة، وهؤلاء علماؤنا الأعلام الّذين ازدانت بأنوارهم سماء هذه الأيام، نتحف القرّاء بكلمات بعضهم، جواباً عن سؤال رُفع لملاحظاتهم، وهذا نصّ السؤال:

ما يقول مولانا حجّة الإسلام... مدّ ظلّه في المواكب المحزنة التي اعتاد الجعفريّون اتّخاذها في العشرة من المحرّم، تمثيلاً لفاجعة الطفّ، وإعلاماً بما انتهك فيها من حرمة الرسول صلى الله عليه وآله في عترته عليهم السلام، وإعلانهم الحزن لذلك الفادح بكافّة أنواعه: من ندب ونداء وعويل وبكاء، وضرب الأكفّ على الصدور، وبالحديد على الرؤوس والظهور، إلى غير ذلك ممّا هو معلوم ومشهور، منظمّاً إلى بروزهم بهيئاتهم المعروفة، وحالاتهم الموصوفة، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر، أم لا؟ أفتونا مأجورين.

وهاك نصّ الأجوبة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«كلّ ما يُعدّ إقامة عزاء، كالوجوه المذكورة، فهو جائز.

نعم، إذا كان عملاً محرّماً، كلبس الثوب المختصّ بالنساء في بعض التشبيهات بالنسبة للرجال، يجتنب عنه، والله العالم».

محمّد اليزدي الفيروزآبادي[1]

(١) السيّد محمّد ابن السيّد محمّد باقر الحسيني اليزدي الفيروزآبادي، كان عالماً، مسلّم الفضيلة والاجتهاد، عرف بالتقوى والوثاقة ولين الجانب، صار مرجعاً للتقليد بعد وفاة السيّد اليزدي. تتلمذ على أفاضل عصره كالشيخ حسن الأردكاني والآخوند الخراساني والسيّد اليزدي. توفّي في سامراء سنة ١٣٤٥ هـ ودفن في النجف الأشرف.
انظر: معارف الرجال ٢ : ٣٨٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

«لا ينبغي الشبهة في جواز الأُمور المذكورة في السؤال وإدماء الرأس بالسيف، بل لو أفتى فقيه متبحّر بوجوب ذلك في مثل هذه الأزمنة ـ التي صمّم جمعٌ على إطفاء أنوار أهل البيت عليهم السلام فيها ـ لم تمكن تخطئته، نعم يجتنب الرجل لباس المرأة على وجه لا يتميّز عنها، وبالعكس، ومن ضرب آلات اللهو على الكيفيّة التي يُضرب بها للّهو والطرب، لا على الكيفيّة المرسومة في العزاء السائغة، والله العالم».

حرّره الفاني عبدالله المامقاني عفى الله عنه[1]

---

(١) الشيخ عبدالله ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عبدالله المامقاني النجفي، عالم عامل، تقي ورع ثقة أمين، حضر على أفاضل عصره كالشيخ هاشم التبريزي الأرونقي، والشيخ غلام حسين الدربندي التركي والشيخ حسن ميرزا، وحضر أبحاث العلماء المعاصرين وبحث والده الشيخ حسن، ألّف عدّة كتب أشهرها تنقيح المقال، وله أيضاً: منهاج المتّقين، نهاية المقال في تكملة غاية الآمال، مرآة الكمال في الآداب والسنن، مقباس الهداية في علم الدراية. توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٥١ هـ.

انظر: معارف الرجال ٢ : ٢٠.

وتقدّم هذا النصّ في رسالة المؤلّف ـ المواكب الحسينيّة ـ في هذا الجزء ص ٢٠٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

«تمثيل فاجعة الطفّ مقدّمة للبكاء والجزع على الحسين عليه السلام، وكذا إعلان الحزن بأنواعه، مباح، بل مستحبّ في مثل المراثي ومجالس الذكر ونحوهما».

المرتضى كاشف الغطاء(١)

---

(١) الشيخ مرتضى ابن الشيخ عباس ابن الشيخ حسن كاشف الغطاء، عالم فاضل، فقيه أصولي، أديب شاعر. حضر على أعلام عصره كوالده الشيخ عبّاس والشيخ محمّد حسين الكاظمي والشيخ محمّد طه نجف والسيّد محمد كاظم اليزدي والآخوند الخراساني. له عدّة مؤلّفات منها: فوز العباد في المبدأ والمعاد، والآيات الجليّة في تزييف شبه الوهابية، حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري. توفّي رحمه الله سنة ١٣٤٩ هـ.
انظر: ماضي النجف وحاضرها ٣: ١٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنّ خروج المواكب المحزنة، التي تمثّل فاجعة الطفّ، وإعلان الجزع والحزن لذلك الفادح الجليل، بكافّة مظاهره وأنواعه، من السنن المشروعة والمستحبّات الراجحة».

من الأقل الهادي آل كاشف الغطاء[1]

---

(١) تقدمت ترجمته في الصفحة: ٣٠٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

«قال سبحانه وتعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ*لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَل مُّسَمًّى**﴾[1]، ولا ريب أنّ تلك المواكب المحزنة، وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية، من أعظم شعائر الفرقة الجعفريّة، شيّد الله أركانها.

ونحن إذا لم نقل باستحبابها ورجحانها؛ لتوفّر الأدلّة من الأخبار والأحاديث المتظافرة المشعرة بمحبوبيّة تلك المظاهرات لأهل البيتعليهم السلام فلا أقلّ من القول بالجواز والإباحة.

وما يتداول ويستعمل فيها من ضرب الطبول ونحوه، غير معلوم اندراجه في ما عُلم حرمته من آلات اللهو والطرب، نعم لو عُلم كونها منها فاللازم تنزيه تلك الأعمال الشريفة ممّا يشينها ويحبط أجرها وفضلها الجسيم.

---

(١) الحجّ (٢٢) : ٣٢ ـ ٣٣.

وما أحسب التعرّض للسؤال عن تلك الأعمال، التي استمرّت السيرة عليها منذ مئات من السنين، من مشاهدة أعاظم العلماء لها، وصلحاء أهل الدين، مع عدم النكير من واحد منهم، لا حديثاً ولا قديماً، مع أنّها بمرأى منهم ومسمع، ما أحسب وضعها في مجال السؤال والتشكيك إلّا دسيسة أمويّة، أو نزعة وهّابيّة، يريدون أن يتوصّلوا بذلك إلى إطفاء ذلك النور الذي أبى الله إلّا أن يتمّه ولو كره الكافرون.

كما أنّي لا أرتاب في أنّه لو تمّت لهم هذه الحيلة، ونجحت ـ لا سمح الله ـ هذه الوسيلة، وعُطّلت تلك المواكب والمراسم في سنتين أو ثلاث، سرى الداء، واستفحل الخطب، وتطرّقوا إلى السؤال والتشكيك فيما يقام في بلاد الشيعة من المآتم، وجعلو ذلك باباً إلى إماتة تلك المحافل والمحاشد التي بإحيائها إحياء الدِّين، وبإماتتها إماتة ذكر الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم .

ومَن له أقلّ إلمام ووقوف على المجتمعات والجمعيّات التي عُقدت في هذه الأعصار في مصر ودمشق وغيرهما، وما أصبحت تنشره من المقالات والمؤلّفات في إحياء ذكر بني اُميّة وتنزيههم وتبرير أعمالهم، وتبرئتهم من قتل الحسن والحسين سلام الله عليهما، والتنويه بذكر يزيد، وأنّه من الخلفاء الراشدين والأئمّة المرضيّين، عرفَ من أين جاءت هذه البليّة، وسرى هذا السمّ الخبيث، التي تريد أن تقضي على حياة الشيعة، وتزهق روح الشريعة.

ولا يروّج هذا إلّا على السذّج والبسطاء والمغفّلين، الّذين يقتلون الدّين باسم الدّين من حيث لا يشعرون.

فالرجاء والأمل من جميع إخواننا المؤمنين ـ ثبّتهم الله بالقول الثابت، وأيّدهم بروح منه ـ ترك الخوض في مثل هذه الأُمور المتسالم عليها خلفاً عن سلف، والتي هي من أعظم الوسائل إلى نيل الشفاعة، والدخول في سفينة النجاة وأبواب الرحمة.

وليصرفوا أوقاتهم الثمينة في الاتّفاق والتعاضد والتعاون على البرّ والتقوى، في ما يعود إلى إصلاح شؤون دينهم ودنياهم، وجمع كلمتهم على الحقّ والهدى إن شاء الله تعالى. ولا يؤتوا ما يوجب اختلاف الأُمّة وتفرقة الكلمة، والله ولي التوفيق وبه المستعان».

محمد الحسين آل كاشف الغطاء(١)

(١) الشيخ محمّد حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمّد رضا كاشف الغطاء، عميد الطائفة الجعفرية وزعيمها، وعلم من أعلام الفرقة الناجية وناصرها، منبع العلوم والآداب، وكعبة الفضل التي إليها تحث الركاب، سرّ الفصاحة وبحر البلاغة. تخرّج في المبادىء على أعلام عصره من النجفيين، وفي الفقه والأصول على الزعيم الديني الكبير السيّد محمد كاظم صاحب العروة الوثقى، وله الرواية عن الحاج الميرزا حسين الخليلي. ألّف رحمه الله عدداً كبيراً من الكتب في شتّى العلوم، توفّي في إيران سنة ١٣٧٣ هـ ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن فيها.
انظر: ماضي النجف وحاضرها ٣ : ١٨٢.

صورة أُخرى

ما يقول مولانا حجّة الإسلام... مدّ الله ظلّه العالي على رؤوس الأنام، في المواكب المشجية التي اعتاد الجعفريون اتّخاذها في العشر من المحرّم الحرام، تمثيلاً لفاجعة الطفّ، وإعلاماً لما انتهك فيها من حرمة الرسولﷺ في عترته المجاهدين، بالتمثيل للشهداء وجهادهم وما جرى عليهم، وما جرى على الأطفال من القتل والقسوة، وبإعلانهم الحزن لذلك الفادح بأنواعه: من ندب ونداء، وعويل وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور، وبالسلاسل على الظهور، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر، أم لا؟ أفتونا مأجورين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد وهو المستعان.

«لا ينبغي الريب في رجحان هذه المذكورات، التي هي شعار للمودّة في القربى، وولاء أهل البيت الطاهرين المطهّرين عليهم السلام، ومواساة الإمام المجاهد الشهيد المظلوم، سيّد شباب أهل الجنّة، وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وولده، فهنيئاً لمن أسعده التوفيق في إقامتها والإعانة عليها، مع الإخلاص لله في ذلك، وفّق الله المسلمين وسدّدهم».

الأحقر محمّد جواد البلاغي عفي عنه[1]

(١) الشيخ جواد ـ محمّد جواد ـ ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب البلاغي، ركن الشيعة وعمادها، وعزّ الشريعة وسنادها، صاحب القلم الذي يسبح في بحر العلوم الناهل من موارد المعقول والمنقول. كم من صحيفة حبّرها وألوكة حرّرها، وهو بما حبّر فضح الحاخام والشماس، وبما حرّر ملك رقّ الرهبان الأقساس كان مجاهداً بقلمه طيلة عمره، وقد أوقف حياته في الذبّ عن الدين ودحض شبه الماديين والطبيعيين، فهو جنّة حصينة ودرع رصينة، حضر على أعلام عصره كالشيخ محمّد طه نجف، والشيخ آقا رضا الهمداني، والآخوند الخراساني والميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي، وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء. له عدّة مؤلّفات منها: الرحلة المدرسية، الهدى إلى دين المصطفى، أنوار الهداية، نصائح الهدى، أعاجيب الأكاذيب، أجوبة مسائل كثيرة، آلاء الرحمن في تفسير القرآن. مات رحمه الله في النجف سنة ١٣٥٢ هـ.
انظر: ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦١.

تشبّه الرجال بالنساء المحرّم في الشريعة[1]

وفيه: **أولاً**: أنّ المتبادر من تلك الأخبار ما كان التشبّه بالمرأة من حيث أنّها إمرأة.

وبعبارة أُخرى: يكون الغرض هو التظاهر بالانوثيّة، لا التشبّه بمرأة من حيث خصوصيّتها، من تمثيل واقعة أو تصوير مصيبة ونحو ذلك، فلا يصدق عليه عنوان التشبّه المحرّم.

وثانياً: ما أفاده شيخنا الأعظم آية الله النائيني دام ظلّه من قوله: «إنّ المحرّم من تشبّه الرجل بالمرأة هو ما كان خروجاً عن زيّ الرجال رأساً وأخذاً بزي النساء، دون ما إذا تلبّس بملابسها مقداراً من الزمان بلا تبديل لبسه، كما هو الحال في هذه التشبيهات». انتهى[2].

ويدلّ على ما ذكر من الوجهين الأخبار الواردة في الباب، فمنها ما رواه الشيخ الحرّ العاملي، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام أنّه رأى رجلاً به تأنيث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: «أخرج من مسجد رسول الله يا

---

(١) انظر: رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١٦:٥.

(٢) نقلاً عن العروة الوثقى ٢: ٣٥١، مع تعليقة عدّة من الفقهاء، التعليقه رقم(٢) على المسألة ٤٢ في شرائط لباس المصلّي.

لعنة رسول الله»، ثمّ قال علي: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لعن الله المتشبّهين من الرجال بالنساء، والمتشبّهات من النساء بالرجال»(١).

وكذلك الأخبار الأُخر مساقها ظاهر في حكم التأنيث، فلا تشمل من ألقى على وجهه برقعاً أو جلباباً تظاهراً بواقعة من الوقائع.

وإلى هنا قد فرغنا بحمدالله عن النظر في ما يتمسّك به لإثبات المنع عن بعض مظاهر الحزن في عاشوراء، وبعد ما أثبتنا عدم تماميّته في المقام، فقد بقيت العمومات والإطلاقات المسردة في النظرة الأولى على حالها، ويكون المقتضي بضميمة عدم المانع علّة تامّة للجواز أو الاستحباب.

وليكن هذا آخر كلامنا في هذه العجالة، وقد فرغ عن تسويدها مؤلّفها أضعف عبادالله القوي علي نقي ابن العلاّمة الفقيه السيّد أبو الحسن النقوي اللكهنوي، بأرض الغري المقدّسة في الثاني من شهر رمضان سنه ١٣٤٧ هجرية، وأخرجت إلى البياض مع بعض الزيادات في المحرّم سنة ١٣٤٨ هـ والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة على نبيّه محمّد وآله النجباء.

(١) وسائل الشيعة ١٧: ٢٨٤، حديث ٢٢٥٣٢، نقلاً عن علل الشرائع ٢: ٦٠٢، حديث ٦٣، باب ٣٨٥ (نوادر العلل).

ملحق بالكتاب

لاينفع العوام في الاستناد عندالعمل فتوى أيّ فقيه مهما بلغ في العظمة والاشتهار من الفقهاء الماضين، وإنّما تنفعهم فتاوى الأحياء من المجتهدين أدام الله بقاءهم، وهي مطبقة على تجويز ما ينكر الخصوم من الشعائر الحسينيّة، وهاك أسماؤهم الشريفة، ولتفصيل آرائهم ونقل كلماتهم محل آخر:

حضرة آية الله الميرزا محمّد حسين النائيني النجفي.

آية الله الحاج الشيخ عبدالكريم اليزدي.

آية الله السيّد ميرزا علي أقا الشيرازي.

آية الله السيّد حسن صدرالدين العاملي الكاظمي.

آية الله الشيخ ضياء الدين العراقي النجفي.

حضرة العلامة الحجّة المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي.

حجّة الإسلام الشيخ عبد الله المامقاني.

حجة الإسلام الشيخ محمّد حسين الأصفهاني النجفي.

حجّة الإسلام الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء النجفي.

حجّة الإسلام الشيخ هادي.

حجّة الإسلام الشيخ مرتضى.

حجّة الإسلام الشيخ علي المازندراني.

حجّة الإسلام الشيخ محمّدرضا آل ياسين الكاظمي النجفي.

وأمّا حضرة آية الله مولانا السيّد أبوالحسن الأصفهاني دام ظلّه، فالذي نعلمه منه وجداناً سكوته في خصوص مسألة ضرب القامات، ومنشوره على إجماله صريح في الترغيب والحثّ على إظهار الحزن والجزع والهلع والتظاهر بكلّ ما ينبىء عن عظم المصيبة وجلالة شأن المصاب، بل إنّه أفضل الطاعات، فراجع إذن، فنسبة التصريح بالمنع إليه غير مطابقة للواقع، وقد نسب إليه بعض المؤلفين القول بالجواز، والله أعلم.

(٨)

نصرة المظلوم

تأليف

الشيخ حسن المظفّر

(ت ١٣٨٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله، وله الحمد على جزيل نواله، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وآله.

وبعد، فبي نا أنا واقف موقف الاندهاش والحيرة -أُسوة كثير من أهل الدين - لما وقع في الحرمين الشريفين وما والاهما من المنكرات بهدم المشاهد والمزارات، وذلك في أوّل شهر المحرّم من هذا العام[1]، حيث يقام التذكار الحسيني المحزن، وكفى به جالباً للوجد القلبي، ومثيراً للبكاء المقرح.

إذ انتهى إليّ عدد من جريدة الأوقات العراقية[2] التي تصدر في البصرة، وفي مفتتحها مقالة ينقل صاحبها عن رجل من فضلاء أهل العلم - قطن البصرة

---

(١) أي سنة ١٣٤٥هـ، وهي سنة تأليف هذه الرسالة.

(٢) هو العدد ١٦٦١، كما صرّح به الشيخ محمّد جواد الحجّامي (ت ١٣٧٦ هـ) في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٨٩.

منذ شهور، يدعى السيّد مهدي[١] - أنّه منع من تمثيل تلك الفادحة الكبرى والمصيبة العظمى، ومن خروج مواكب الرجال يضربون صدورهم بأيديهم في الأزقّة والجواد العموميّة[٢].

فقلت: هذه المصيبة الثالثة، وما هي بأهون من الأولیين.

ثمّ تواترت الكتب والرسل من البصرة إلى مراكز العلم في النجف، وهي ما بين عاذل و عاذر[٣]، محبّذ لهذا المنع ومستاء منه، فشممت من ذلك روح الأغراض الشخصيّة بين فئتين، فأعرضت وقلت: فورة لامساس لها بالمذهب سوف تسكن.

ثمّ ما عتمت إلّا وقد أُرسلت بعد أيّام من البصرة مقالة مطبوعة[٤] من مزخرفات ذلك الرجل الفاضل، مزج فيها بين الحقّ والباطل، ونسب الفرقة

(١) هو السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨ هـ) صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:١٦٥.

(٢) الجادّة: معظم الطريق، والجمع جواد، الصحاح ٢: «جدد».

(٣) العَذلُ: اللوم. والعذر: الحجّة التى يعتذر بها. لسان العرب ٩: ١٠٢ «عذر» و١١١ «عذل».

والمقصود هنا: أنّ أهالي البصرة الذين بعثوا بالرسائل إلى مدينة النجف الأشرف، كانوا منقسمين إلى قسمين: مؤيّدين ومعارضين لأقوال السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري.

(٤) هي رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ) (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:١٦٥.

الجعفريّة - في إقامة التذكارات الحسينيّة ببعض مظاهرها - إلى الإبداع والقيام بأفعال وحشيّة همجيّة.

وفي هذا تضليل للسلف الصالح من العلماء الأعلام، والقوّام على الحلال والحرام، ورفع لأعظم شعار مذهبي ما زالت تجتني الشيعة من فوائده ما يحفظ كيانهم ويثبت عقائدهم.

فعلمت من أين جاءت هذه البليّة التي تقضي - إن تمّت - على حياة الشيعة، وتيقّنت أن كيد المموّهين والمنافقين، وخاصّة أفراد «الجمعيّة الأمويّة»[1]، ذلك الكيد الذي لاينطلي إلّا على السذّج والبسطاء، قد أوقع هذا الرجل بأشراكه[2] فأفتى ومنع، وقذف، وضلّل، ولفّق أموراً ليس لها مقيل في ظلّ الحقيقة، بل هي ﴿**كَسَرَاب بِقِيعَة يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ**﴾[3].

---

(١) أطلقت هذه الكلمة «الجمعيّة الأمويّة» على الذين أيّدوا السيّد محمّد مهدي في منعه لبعض الشعائر الحسينيّة، وكذلك على الذين أيّدوا - فيما بعد - السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ) وما جاء في رسالته «التنزيه» التي دعا فيها إلى تنزيه بعض الشعائر الحسينيّة.

يقول الأستاذ جعفر الخليلي (ت ١٤٠٥ هـ) في كتابه «هكذا عرفتهم» ١: ٢٠٨: «وانقسم الناس إلى طائفتين - على ما اصطلح عليه العوام -: «علويّين»، و«أمويّين». وعنى بالأمويّين أتباع السيّد محسن الأمين، وكانوا قلّة قليلة لا يعتدّ بها، وأكثرهم كانوا متسترين خوفاً من الأذى».

(٢) أي الفخّ، في الصحاح ٤: ١٥٩٤ «شرك»: الشرك: حبالة الصائد.

(٣) النور (٢٤): ٣٩.

كنت أجد لي في ما كتبه، وأفتى به علماؤنا الأعلام في هذه الأيام، وطبع ملحقاً برسالة[١] في هذا الشأن لمعاصرنا الفاضل الشيخ محمّد جواد الحجّامي النجفي حفظه الله، المطبوعة في النجف، مندوحة على الخوض في هذه المسألة التي عزّ وعظم على كلّ عارف من الشيعة أن تقع موقع سؤال وتشكيك.

ولكنّي الآن بعد انتشار تلك المقالة[٢]، التي هي قرّة عين المناوئين، لا أجد مساغاً شرعياً للسكوت عمّا خفي على ذلك السيّد الصائل[٣] ومن يطرب على تصديته، عسى أن ينيب إلى الحقّ ويتنبّه إلى ما أغفله به الأغيار المفكّرون، ومن الله أرجو أن تكون رسالتي هذه التي سمّيتها: «**نصرة المظلوم**» سبباً لهداية إخواننا المسلمين إلى اتّباع الحقّ بيقين، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

وها أنا بعون الله وتوفيقه ذاكر في مقدّمة هذه العجالة بحثاً فلسفياً تاريخياً، ينتهي بالمتأمّل فيه إلى العلم بأنّ التذكارات الحسينيّة بجميع أنواعها حافظةً للمذهب الجعفري عن الاندراس والدثور.

وبهذا الاعتبار لايحتاج في شرعيّة بعضها إلى ورود دليل خاصّ به، وأنّه لا يُعتنى بسخرية الساخر، فإنّه في الحقيقة ماكر لاساخر، يريد إطفاء أنوار الأئمّة الأطهار بكيده ومكره ﴿**وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾[٤].

---

(١) هي رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٨٥.

(٢) أي رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:١٦٥.

(٣) السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري، مؤلّف رسالة «الصولة».

(٤) فاطر (٣٥): ٤٣.

فأقول: يتردّد على ألسنة عموم الشيعة نحو قول: «قتل الحسين عليه السلام لإحياء دين جدّه»، ومرادهم بدين جده: الطريقة التي هم عليها من الاعتقاد - مع الشهادتين والمعاد - بإمامة علي وولده إلى المهدي عليهم السلام، وأنّهم معصومون مبرّأون عن كلّ ذنب وعيب، جامعون لكلّ فضيلة في البشر.

وتفصيل إحيائه لهذه الطريقة بتسليم نفسه للقتل عالماً عامداً، تعرفه ممّا نذكره ثمّة.

لا شكّ أنّه ما كان المسلمون في شطر من الصدر الأوّل ينزلون أهل البيت الطاهر بالمنزلة التي تنزلهم بها الجعفريّة اليوم، من كونهم أئمّة حقّ ومعصومين، فضلاً عن اعتقاد كون الإمامة والعصمة في عقب الحسين عليه السلام إلى عدّة خاصّة من أبنائه، فإنّه ممّا لم يذعن به إلّا ممتحن القلب.

اللّهم إلّا في أعوام نزرة مشوبة بفتن وحروب، كثر في خلالها عدد الشيعة وثبتت عقائدهم.

لكن لم تكن مقتضيات الأحوال يومئذ بالغةً إلى حدّ يوجب سيادة هذا الاعتقاد في العالم الإسلامي.

ثمّ ما برح ذلك العدد الجمّ أن عراه النقص، ولبس ثوب الإذلال، وكان ضئيلاً من قبل ذلك، وذلك لأجل الحيف[1] الذي أظهره آل أبي سفيان في المصرَين وما يتبعهما و غيرهما من مراكز الشيعة.

فقد غرسوا بغض علي عليه السلام وولده وسبّهم والبراءة منهم في أعماق قلوب العامّة بأساليب مختلفة، وتتبّعوا شيعتهم على الظنّة والتهمة، حتّى

---

(١) الحَيْفُ: الجور والظلم. الصحاح ٤: ١٣٤٧ «حيف».

كادوا أن يستأصلوا شأفتهم[١]، وبعثوا إلى المشرّدين منهم والمسجونين ضروب الأذى والتنكيل.

ووضعوا الأحاديث النبويّة في فضل بني أميّة، وأعلنت الخطباء في كلّ صقع بأسمائهم مقرونة بالتبجيل والتكريم، وكونهم خلفاء النبيﷺ وذوي رحمه وورّاث حكمه وحكمته.

وأنّ مخالفتهم ضلال، والخروج عليهم خروج عن ربقة الإسلام[٢]، حتّى أتى على ذلك نيف وثلاثون سنة، وبعض هذا في أقلّ من تلك المدّة كاف في اندراس ذكر علي و ولده عليهم السلام واندراس طريقتهم وأحكامهم[٣].

حتّى إذا ولي الأمر يزيد بن معاوية بعد أبيه، وقد توطّدت له الأسباب، تسنّى له أن يبيد كلّ هاشمي من على جديد الأرض[٤]؛ لتهوّره، وشدّة إقدامه، وتجاهره بهتك الحرمات، كما ينبيء عن ذلك -بعد يوم الطف- وقعة الحرّة[٥] ورمي

(١) الشَأفَةُ: قرحة تخرج في أسفل القدم، فتُكوى فتَذهب. يقال في المثل: «استأصل اللّه شَأفَتَهُ» أي أذهبه اللّه كما أذهب تلك القرحة بالكيّ. الصحاح ٤: ١٣٧٩ «شأف».

(٢) الربْقُ، بالكسر: حبل فيه عدّة عُرى، تُشَدّ به البُهُمُ، الواحدة من العُرى: رِبْقَةٌ. وفي الحديث: «خَلَعَ رِبْقة الإسلام من عنقه». الصحاح ٤: ١٤٨٠ «ربق».

(٣) انظر تفصيل هذا في كتاب «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد المعتزلي ٤: ٥٦ فصل (في ما روي من سبّ معاوية وحزبه لعلي).

(٤) الجديد: وجه الأرض. الصحاح ٢: ٤٥٤ «جدد».

(٥) وقعت في أواخر شهر ذي الحجّة سنة ٦٣ هجرية، بعد أن خلع أهل المدينة المنوّرة البيعة ليزيد بن معاوية وتابعوا ابن الزبير، فأمر يزيد مسلم بن عُقبة المرّي بالسير إليهم في جيش كبير، فدخلها مسلم عنوة وأباحها ثلاثة أيام لجيشه، فنُهبت مدينة الرسولﷺ وقتل كثير من أهلها، وانتهكت الأعراض فيها. وأخذ مسلم البيعة من ⇦

الكعبة[1].

فلذلك قام الحسين عليه السلام ضدّ بني أميّة قيام مستاء جدّاً من جراء قسوتهم المخالفة لدين الإسلام، ولاهمّ له إلّا إحياء ما أماتوه من الآثار والمآثر الإسلامية.

و بقتلهم إيّاه – تلك القتلة الشنيعة بأيدي تلك الألوف المتجمهرة عليه، وقتل سبعة عشر رجلاً من بنيه وبني أخيه وعمّه، حتّى الشباب والأطفال الرّضّع منهم، وقتل أنصاره وسبي ذراريه وعياله إلى الكوفة، ومنها إلى الشام حيث مركز الخلافة الأموية، وإشهار رأسه ورؤوس آله في البلدان – سقطت منزلة بني أميّة من القلوب، وعلم الناس نواياهم السيّئة، وأيقنوا أنّهم ليسوا بأئمّة حقّ؛ لأنّ أفعالهم تلك لاتتّفق مع أيّ دين، ولا يرافقها من العدل شبح، بل هي خارجة عن حدود الإنسانية.

⇦

أهل المدينة ليزيد بن معاوية على أنّهم خَوَل له، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء.

انظر: تاريخ الطبري ٥: ٤٨٢، أحداث سنة ٦٣ هجرية.

(١) بعد أن أخذ مسلم بن عقبة المرّيّ من أهل المدينة المنوّرة البيعة ليزيد بن معاوية، سار إلى أهل مكّة إلّا أنّه توفّي في الطريق، فأصبح الحصين بن نمير الكوفي أميراً على الجيش، فقصد مكّة المكرّمة وحاصرها ورمى الكعبة الشريفة بالمنجنيق يوم السبت الثالث من شهر ربيع الأوّل سنة ٦٤ هجرية.

انظر: تاريخ الطبري ٥: ٤٩٦، أحداث سنة ٦٤ هجرية.

وكان في نفوس العامّة في العراق نفور ما منهم من جرّاء القتل الذريع لكبرائهم؛ لتهمة التشيّع وحَيف[(١)] العمال بهم.

وكذلك في الحجاز أيام استخلاف يزيد عليه اللعنة؛ لمعلوميّة فسقه وجوره.

وظهر يومئذ للعالم الإسلامي كلّه أنّ بني أميّة لم تسع في هدم دين الإسلام فقط، بل تسعى عن طريق التعصّب الجاهلي في أن لا تبقي لهاشمي أثراً، وعلى الأخصّ بقايا آل محمّد صلى الله عليه وآله.

ومن هذا الوجه ظهر للعالم أجمع مظلوميّة الحسين عليه السلام، وصار ذلك سبباً للالتفات إلى مظلوميّة أبيه يوم صفين، وأخيه عام الصلح.

لمّا قتل الحسين عليه السلام طال لسان اللوم والإنكار على يزيد (عليه اللعنة) حتى من بني أميّة أنفسهم، ومن بقايا الصحابة في الشام وفي المدينة المنوّرة، على حين أنّه لم يكن بالإمكان ذكر علي عليه السلام والحسين عليه السلام بخير في البلدان القاصية عن مركز خلافة بني أميّة، فضلاً عن إطرائهم بين يدي يزيد ولدى حاشيته وفي داره، حتى روي في العقد الفريد عن المدائني: أنّه لم توجد في دار يزيد سفيانية إلّا وهي متلدّمة[(٢)] تبكي على الحسين عليه السلام[(٣)].

---

(١) الحَيْفُ: الجور والظلم الصحاح ٤: ١٣٤٧ «حيف».

(٢) لدمت المرأة وجهها: ضربته. والتدام النساء: ضربهنّ صدورهن في النياحة الصحاح ٥: ٢٠٢٨ – ٢٠٢٩ «لدم».

(٣) في العقد الفريد ٥: ١٣٢ لابن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ): أبو الحسن المدائني، عن إسحاق، عن إسماعيل بن سفيان، عن أبي موسى، عن الحسن البصري، قال: قتل مع ⇦

وما كان ينفع يزيد عند الناس إسناد قتله إلى ابن مرجانة بغير علم منه، وهم يرون فرحه وسروره -بإشهار رأسه ورؤوس آله، وسوق ذراريهم وعيالهم له كالسبي المجلوب[(١)]، وتزيينه الشام أياماً- استبشاراً بذلك.

لعمري إنّ هذا الإطراء والذكر الجميل، واعتقاد مظلوميّة الحسين عليه السلام وآله عند العامّة في الشام، أوّل مراتب التشيّع ومعرفة آل محمّد صلى الله عليه وآله، والإذعان بفضلهم الذي لاسبب له إلّا قتل الحسين عليه السلام.

في عام قتل الحسين عليه السلام هاج كثير من أهل الكوفة للأخذ بثأره، ومازالوا يستعدّون للثورة عدّتها من جمع سلاح وتوفير عدد نحواً من ثلاث سنين.

وأهل المدينة في خلال تلك المدّة ثائرون عليه مع عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة)، وابن الزبير ناصب بمكّة يدعو إلى نفسه ويعلن الطلب بثار الحسين عليه السلام بدء أمره، حتّى هلك يزيد عليه اللعنة.

⇨

الحسين ستّة عشر من أهل بيته، واللّه ما كان على الأرض يومئذ أهل بيت يشبّهون بهم.
وحمل أهل الشام بنات رسول اللّه صلى الله عليه وآله سبايا على أقتاب الإبل، فلمّا أدخلنَ على يزيد، قالت فاطمة ابنة الحسين: يا يزيد، أبنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا؟

قال: بل حرائر كرام، ادخلي على بنات عمّك تجديهن قد فعلن ما فعلن.

قالت: فاطمة: فدخلت إليهن، فما وجدت فيهنّ سفيانية إلّا متلدّمة تبكي.

وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه:

عيني أبكي بعبرةٍ وعويلِ ... واندُبي إن ندبتِ آلَ الرسولِ
ستّة كلهم لصُلبِ عليٍّ ... قد اُصيبوا وخمسة لعقيلِ

(١) الجليب: الذي يجلب من بلد إلى غيره. الصحاح ١: ١٠ «جلب».

وحينئذ تجمهرت الألوف بالكوفة، لاحافز لها إلّا الطلب بثأر الحسين عليه السلام، وهي تذكر أباه وأخاه وسائر آله بكلّ جميل، وتعلن استحقاق علي عليه السلام وولده الإمامة والخلافة عن الرسول.

ويومئذ ظهر التشيّع الصلب، وامتازت شيعة علي عليه السلام من شيعة بني أميّة، ونتج من ذلك التجمهر والامتياز وقعة عين الوردة[١]، التي قتل بها أكثر التوابين، ووقعة نهر الخازر[٢]، التي هلك فيها من جند بني أميّة سبعون ألفاً فيهم ابن مرجانة.

---

(١) عين الوردة تسمّى أيضاً «رأس عين»: مدينة مشهورة بالجزيرة العربيّة، كانت فيها وقعة للعرب ويوم من أيامهم، وكان أحد رؤسائهم يومئذ رفاعة بن شدّاد بن عبد اللّه ابن قيس.

انظر: معجم البلدان ٤: ١٨٠.

وقد جرت بالقرب من هذه المدينة معركة بين التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، وبين جيش الأمويين بقيادة الحصين بن نمير الذي كان معه ثلاثون ألفاً من المقاتلين، بينما كان مع سليمان ثلاثة آلاف فقط. وكانت نتيجة هذه المعركة التي وقعت في شهر جمادى الأولى سنة ٦٥هـ مقتل الكثير من التوّابين، منهم سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيّب بن نجيبة وعبدالله بن سعد بن نفيل.

انظر: أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثار: ٣٣-٥٤.

(٢) نهر الخازر: قريب من مدينة الموصل بالعراق، التقى عنده جيش التوّابين الذي بعثه المختار بن أبي عبيدة الثقفي بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر الذي كان معه تسعة آلاف مقاتلاً، وجيش الأمويين بقيادة ابن مرجانة عبيد اللّه بن زياد الذي كان معه ثلاثون ألف مقاتل. وكانت نتيجة هذه المعركة قتل الكثير من جيش الأمويين وفي مقدّمتهم قائدهم ابن مرجانة الذي قتله إبراهيم الأشتر.

⇦

وبان ثمّة التشيّع بأجلى مظاهره وانقادت الناس من يومئذ إلى أهل البيتعليهم السلام باقتفاء آثارهم، والاقتباس من علومهم، وأخذ مراسم الدين منهم.

وما برح الثّوار يتتابعون، كزيد بن علي[(١)]، وولده يحيى[(٢)] بن زيد وغيرهما. ويقوي أمر الشيعة ويشتدّ أزرهم، وتظهر كلمتهم، وتثبت عقائدهم ببركة تلك الثورات الناجمة من قتل الحسينعليه السلام.

ولم يمض قرن واحد من لدن قتله حتّى باد بنو أميّة، وأصبحت السلطة الإسلامية لفريق من بني هاشم وهم بنو العبّاس الذين - باسم ثارات الحسينعليه السلام وولده وبني عمومته - لم يبقوا من الأمويين في الأرض نافخ ضَرَمَة[(٣)] إلاّ من لا يُعرف.

من هذه الرموز كلّها تعرف معنى كون الحسينعليه السلام قتل لإحياء دين جدّه، وتذعن أنّه لم يطلب حقّاً هو لغيره، ولم يرد أن يكون جبّاراً في الأرض، وإلّا فلا موقع لإطرائه والطلب بثأره.

⇨

يقول ابن نما: وجعلوا يعدّون القتلى - من جيش الشام - بالقصب، يضعون عند كلّ قتيل قصبة فكانوا سبعين ألفاً.

وكانت تلك المعركة يوم العاشر من المحرّم سنة ٦٧ هـ.

انظر: أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثار: ١٣٨ ـ ١٥٠.

(١) الذي استشهد في الكوفة سنة ١٢٠ هـ وقيل: ١٢١ هـ

(٢) في النسخة المطبوعة «عيسى» لكن المعروف أنّ يحيى بن زيد بن علي، هو الذي استشهد في خراسان سنة ١٢٥.

(٣) الَضرَمة: السَعفَةُ أو الشِيحَة فُي طرفها نار، يقال: مابها نافخ ضَرَمَة، أي أحد. الصحاح ٥: ١٩٧٤ «ضرم».

ولمّا رسخت أقدام العبّاسيّين في الإمرة الإسلامية، ورأوا أنّ المغروس في أعماق قلوب أكثر المسلمين، هو أنّ الرياسة الروحانيّة المقدّسة لعقب الحسين عليه السلام من العلويين، خافوا على ملكهم بادرة الثوار منهم.

وأدرك أولئك أن لا قدرة لهم على الطلب بحقّهم وقد باد بنو أميّة، وتشتّت أفكار العامّة، وأعرست الدنيا بملك بني العبّاس.

وكان الرئيس الروحاني من أولاد الحسين عليه السلام يومئذ، والمشار إليه من بينهم، والمطاع في الناس، هو أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، فآثر العزلة. وكذلك أبناؤه إماماً بعد إمام، وهم في خلال ذلك يلاقون ضروب الأذى والقتل والتنكيل.

ولكنّهم حفظوا ما قتل عليه جدّهم، بأمرهم شيعتهم - بدل الثورة - بالتذكارات الحسينية، بذكر مصائبه، فرادى وجماعات في جميع الأحوال، ونقل ما جرى عليه وعليهم من الفجائع من لدن قتله إلى أيامهم، والبكاء والإبكاء والتباكي لما أصابهم.

وبالغوا في الإطناب بذكر ثواب ذلك إلى حدّ هو فوق التصوّر؛ لأنّهم رأوا أنّ ذلك هو اليد القوية في إحكام الرابطة بين أفراد الشيعة، وتميّزهم عمّن سواهم من الشيع[1].

كما أنّ الثورات الدمويّة أوجبت تميّزهم عن شيعة بني أميّة، وحفظت عقائدهم لذلك الوقت، وعلى ذلك من الشواهد التاريخية ماتضيق عنه الرسالة.

---

(١) أي الفرق والجماعات الأخرى. انظر: الصحاح ٣: ١٢٤٠ «شيع».

ثمّ أنّهم عليهم السلام - بمزيد لطفهم وواسع علمهم - حفظوا تلك المجتمعات، وحافظوا على الأفراد والجماعات من الشيعة، بتشديد الأمر عليهم بالاتّقاء والتستر، حتّى نفوا اسم الدين عن غير المتّقي(١).

وهذه المجتمعات - المأمور بها منهم ببيانات مختلفة والمنعقدة عندهم في منازلهم - هي ما نسمّيها اليوم «المآتم» و«مجالس العزاء».

لا شكّ أنّه لاغرض للأئمّة عليهم السلام - وهم حكماء الأمّة - من الأمر بذلك الاجتماع المحزن، وتذكّر تلك المصيبة المقرحة في أحوال مخصوصة كثيرة، وزيارته التي لم يكفهم الترغيب إليها والمبالغة في ثوابها، حتّى حذّروا من تركها.

وبعبارة جامعة: ليس أمرهم بتلك «الروابط الحسينية» إلاّ حفظ المذهب عن الاندراس، وهو الغاية التي قتل لها الحسين عليه السلام.

وهذه الحِكم، مع أنّها وجدانية قد ألمعوا إليها بعبارات مختلفة وضوحاً وخفاءً، وأمروا بها صريحاً في ما تضمّن الحثّ على إحياء أمرهم، نحو قول الصادق عليه السلام للفضيل بن يسار: «تجلسون وتتحدّثون»؟

قال: نعم جعلت فداك.

قال: «إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا»(٢).

---

(١) روى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لادين لمن لاتقيّة له».

انظر: الكافي ٢: ٢١٧ ـ ٥٢١ باب التقيّة.

(٢) قرب الإسناد: ١٨، تفسير القمّي ٢: ٢٩٢، ثواب الأعمال: ٢٢٣ حديث ١. وعنهما في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١ حديث ٢ باب ٦٦ في أبواب المزار وما يناسبه.

وقولهعليه السلام: «مَن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[(١)].

وقولهعليه السلام: «رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا، فإنّ ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلّا باهى الله بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا، ودعا إلى ذكرنا»[(٢)]، وغير ذلك[(٣)].

فكأنّهمعليهم السلام رأوا أن تلك التذكارات الحسينية هي التي توجب بقاء الناس على مرور الأزمان على الاعتقاد بإمامتهم، ووافر فضلهم وعصمتهم، ومظلوميتهم من الخلفاء في كلّ عصر من أعصارهم، وذلك روح التشيّع.

أنا لا أشكّ أنّ تلك المجالس والمجتمعات نوادي غير دينيّة، ألبستها الأئمّة الأطهارعليهم السلام - بواسع علمهم وبُعد نظرهم للمستقبل - لباساً مذهبياً؛ لأنّها السبب الوحيد لاجتماع كلمة الشيعة ورسوخ عقائدهم وبقاء ذكرهم الجميل بكلّ معانيه للأئمّة فيما بينهم.

---

(١) أمالي الصدوق: ٦٨ حديث ٤، عيون أخبار الرضاعليه السلام ١: ٢٩٤ حديث ٤٨، وعنهما في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٢ حديث ٤ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ١: ٢٢٨. وعنه وسائل الشيعة ١٦: ٣٤٨ حديث ١٠ باب ٢٣ من أبواب فعل المعروف.

(٣) انظر: وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ ـ ٥١٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسينعليه السلام وما أصاب أهل البيتعليهم السلام...».

وتلك نكتة مستورة عن جميع المسلمين، حتّى عن الشيعة أنفسهم، فإنّهم لا يتصوّرون هذه الفائدة من عملهم، بل قصدهم الثواب الأخروي فقط.

لكن بما أنّ كلّ عمل لابدّ أن يظهر له بطبيعته أثر، فهذه المجالس بما يحدث فيها من إظهار مظلوميّة آل محمّد صلى الله عليه وآله تُثمر تلك الثمرات للشيعة من حيث لا يشعرون.

إليك فانظر ماذا يضرّ المتوكّل العبّاسي - في كونه ملكاً وخليفة من ولد العبّاس عمّ النبي صلى الله عليه وآله - من أنّ طائفة من المسلمين تزور قبر الحسين عليه السلام، وهو ابن عمّه، حتّى يمنع عن زيارته ويوجّه إليه الفعلة، يأمرهم بحرثه وإجراء الماء عليه(١).

---

(١) قال الطبري في تاريخه «تاريخ الأمم والملوك» ٩: ١٨٥ في أحداث سنة ٢٣٦ هـ: «وفيها أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن علي، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه. فذكر أنّ عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق. فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحرث ذلك الموضع، وزرع ما حوله».

وقال ابن الأثير في تاريخه «الكامل في التاريخ» ٧: ٥٥ ـ ٥٦ في أحداث سنة ٢٣٦ هـ أيضاً، بعد نقله لعبارة الطبري المتقدّمة:

«وكان المتوكّل شديد البغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولّى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم.

⇦

⇨

وكان من جملة ندمائه عبّادة المخنَّث، وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة، ويكشف رأسه، وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكّل، والمغنّون يغنّون: قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك عليّاً عليه السلام، والمتوكّل يشرب ويضحك.

ففعل ذلك يوماً، والمنتصر حاضرٌ، فأومأ إلى عبادة يتهدّده، فسكت خوفاً منه.

فقال المتوكّل: ما حالك؟

فقام وأخبره.

فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين، إنّ الذي يحكيه هذا الكاتب، ويضحك منه الناس، هو ابن عمّك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكُل أنت لحمه إذا شئتَ، ولا تُطعم هذا الكلب وأمثاله منه!

فقال المتوكّل للمغنّين: غنّوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمّه رأس الفتى في حِرِ أمّه

فكان هذا من الأسباب التي استحلّ بها المنتصر قتل المتوكّل.

وقيل: إن المتوكّل كان يبغض من تقدّمه من الخلفاء: المأمون، والمعتصم، والواثق في محبّة علي وأهل بيته ؛ وإنّما كان يُنادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعليّ، منهم: علي بن الجهم الشاعر الشاميّ من بني شامة ابن لؤي ؛ وعمر بن فرح الرخجيّ، وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أُميّة، وعبد الله بن محمّد بن داود الهاشميّ المعروف بابن أترجّة.

وكانوا يخوّفونه من العلويّين، ويشيرون عليه بإبعادهم، والإعراض عنهم، والإساءة إليهم، ثمّ حسّنوا له الوقيعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علوّ منزلتهم في الدين، ولم يبرحوا به حتّى ظهر منه ما كان، فغطّت هذه السيّئة جميع حسناته، وكان من أحسن الناس سيرةً، ومنع الناس من القول بخلق القرآن إلى غير ذلك من المحاسن».

وما دخل ذلك في الملك والسلطان؟! لولا أنّه قد أدرك أنّ الرابطة الحسينيّة المسبّبة عن اندفاع تلك الجماهير إلى زيارة قبره، مجتمعين عنده، ذاكرين فضله وفضل آبائه و أبنائه ومظلوميّتهم، مجاهرين بالبكاء عليه وعليهم، هي التي توجب ثبوت الاعتقاد بإمامتهم، وذلك هو روح التشيّع.

انظر، لِمَ ينكر الإمام عليه السلام وقد ارتفع البكاء في داره على الحسين عليه السلام، واجتمع الناس على الباب، أن يكون ذلك على جدّه المظلوم ويقول: «مات طفل لنا فبكت عليه النساء»[1]، وقد صدق، فقد ماتت لهم أطفال في كربلاء.

---

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ٨: ٢١٥ ـ ٢١٦ حديث ٢٦٣ بسنده عن سفيان بن مصعب العبدي أنّه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «قولوا لأمّ فروة تجيء فتسمع ما صنع بجدّها».

قال: فجاءت فقعدت خلف الستر.

ثمّ قال: «أنشدنا».

قال: قلت: فرو جودي بدمعك المسكوب.

قال: فصاحت وصحن النساء.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «الباب الباب»، فاجتمع أهل المدينة على الباب، فبعث إليهم أبو عبد الله عليه السلام: «صبيّ لنا غشي عليه فصحن النساء».

أقول: المقصود بأمّ فروة هنا هي إحدى بنات الإمام الصادق عليه السلام بقرينة قول الإمام عليه السلام: «تجيء فتسمع ما صنع بجدّها». علماً بأنّ هذه الكنية ـ أمّ فروة ـ تطلق على أمّ الإمام الصادق عليه السلام. وهي بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، وليست هي المقصودة هنا؛ لأنّها ليست من حفيدات الإمام الحسين عليه السلام.

⇦

باللّه عليك لم يدمج راوي انعقاد المأتم على الحسين عليه السلام يومئذ للبكاء عليه فيقول: «جاء قاصّ يقصّ فبكينا»، ولا يقول: نذكر مصرع الحسين عليه السلام.

وهل هم يبكون على مصيبة يقصّها القاصّ، إلّا مصيبة الحسين عليه السلام، التي يجتمعون لأجلها؟ ولمَ يتخفّ بها لولا أنّها مظهر روح التشيّع.

وأنت إذا تيقّنت قيام تلك الفائدة الجليّة بالمآتم الحسينية، قياماً طبيعيّاً أرشدت إليه الأئمّة الأطهار عليهم السلام بهاتيك الأخبار، لزمك الالتزام بوجوبها كفاية، ووجوب كلّ ما يفيد مفادها كذلك: من تمثيل الفاجعة لحاسّة البصر، أو سير مواكب الرجال في الأزقّة والشوارع مذكّرةً بها.

ولم تحتج بعد تلك الفائدة الملموسة باليد إلى نضد الأدلّة على مشروعيّتها؛ إذ أنّها بهذا البيان الذي يشهد به الوجدان، أجلّ من أن يرتاب مريب في رجحانها، بل وجوبها كفاية.

وأنّ أقربها علاقة وشبهاً بالمآتم (التمثيل)، فإنّ من سبر غوره[1] وتعمّق بالغوص على سرّه، يعلم أنّ فيه من النكت ما ليس في إقامة المآتم المجرّدة عنه.

⇨

وسفيان بن مصعب العبدي، من شعراء القرن الثاني الهجري، من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، وهو الذي طلب الإمام الصادق عليه السلام من أبي عمارة أن ينشده شعراً له قائلاً: «يا أبا عمارة أنشدني للعبدي شعراً في الحسين عليه السلام».

(١) سبَرتُ الجُرْحَ أسبُرُهُ: إذا نظرت ما غورُهُ. وغور كلِّ شيء: قعرُهُ. الصحاح ٢: ٦٧٥ «سبر» و: ٧٧٣ «غور».

اذا كان السرّ في إقامة المآتم والغرض منها ظاهراً إظهار مظلوميّة سيّد الشهداء لدى العموم، وباطناً اتّفاق كلمة الشيعة وحفظ عقائدهم عن الاندراس على مرور الأزمان.

فلا ريب أنّ تمثيل الواقعة لحاسة البصر بما يصدر فيها من حركة وسكون قول وفعل، أبلغ في إظهار مظلوميّة ذلك الشهيد، وأعظم من الأقوال المجرّدة على المنابر وفي المجامع، وأدخل في تثبيت العقائد وإحكام الروابط بين أفراد الجعفريّة.

إذا كانت الفرقة الجعفريّة تذكر في المآتم وعلى المنابرالمصائب التي وردت على الحسين عليه السلام، ونصب أعينها الأحاديث المرغّبة على البكاء عليه والحزن لأجله، فتمثيل تلك المصائب للأنظار له تأثير عظيم في القلوب، لأنّه يجعل العامّ والخاص من الجعفريّة راسخ العقيدة ثابت اليقين.

لاشكّ أنّ الجعفريّة في تمثيلها للفادحة الحسينيّة تصيب من جهة إحياء أمر الأئمّة عليهم السلام، وهذا هو السبب الوحيد لتسليم الحسين عليه السلام نفسه للقتل.

ومن جهة اُخرى يحصل لهم ولغيرهم تحزين الطبائع، وإبكاء النواظر، وإثارة العواطف الرقيقة نحوالمصاب بتلك الفادحة الكبرى، ورفع الستار عن فضائح الظالمين وأتباعهم.

التمثيل وإن لم يكن قديماً عند الشيعة، بل هو حادث منذ عدّة قرون، ولكن ليس كلّ حادث في المذهب لايكون معمولاً به.

الحادث إذا كان مفيداً فائدة القديم المشروع بوجه أتمّ وأبلغ، كان مشروعاً، لاسيما إذا احتمل كون تركه في الزمن الأقدم لعدم إمكان إقامته اتقاءً.

لاشكّ أن إظهار الحزن، ومظلوميّة سيّد الشهداءعليه السلام والإبكاء عليه، وإحياء أمره بسنخه[١]، عبادة في المذهب لا بشخص خاصّ منه، ضرورة أنّه لم ترد في الشريعة كيفيّة خاصة للحزن والإبكاء وإحياء الذكرالمأمور بها، ليقتصر عليها الحزين في حزنه، والمحيي لأمرهم في إحيائه، والمبكي في إبكائه.

وإذا كان سنخ الشيء عبادة ومندوباً إليه، سرت مشروعيّته إلى جميع أفراده من جهة الفرديّة.

ولذلك لم نر أحداً من صلحاء الشيعة وعلمائهم، ولم يؤثر ولم ينقل عن أحد منهم في الأجيال السالفة، من لايعدّ التمثيل مثل قراءة كتاب المقتل في عباديّته وفي كونه مبكياً ومحزناً، فضلاً عن إنكار مشروعيّته.

إنّ الذين أدخلوا التمثيل في التذكارات الحسينية، لاشكّ أنّهم من كبراء رجال أهل الدين المفكّرين، وأرباب السلطة المتّبعة من الشيعة.

ولذلك يظنّ البعض أنّه انتشر في بلدان الشيعة من قبل سياسة السلاطين الصفويّة، الذين هم أوّل سلسلة استولت على السلطنة بقوّة المذهب، ثمّ أيده رؤساء الشيعة الروحانيون شيئاً فشيئاً وأجازوه.

وبما أنّ حكماء الهند أقدم من الصفوية في استعماله، استنبط منه أنّ هؤلاء أخذوه من أولئك وألبسوه لباس المذهب؛ لمّا رأوا من فوائده المذهبيّة.

وحيث أنهيت المقصود من المقدّمة، التي هي في الحقيقة نتيجة المقصد، فإنّي شارع بعون الله تعالى في ذكر جميع التذكارات الحسينيّة على التفصيل، وباحث في كلّ منها عن مشروعيّته وعدمها، وعن حسنه وقبحه.

---

(١) السِنْخُ: الأصل. الصحاح ١: ٤٢٣ «سنخ».

وهناك يكون التعرّض لرد «الصولة»[1] بكمال الأدب والاحترام.

(١) رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨ هـ) (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١٦٥:١.

فمن التذكارات الحسينيّة

المآتم

وهي النوادي الخاصّة المنعقدة للبكاء على ذلك القتيل، الذي بكته السماوات والأرضون ومن فيهن[1]، وعدّ في الأخبار البكاء عليه فيها وفي غيرها صلةً لرسول اللّه صلى الله عليه وآله، وأداء لحقّه ولحقوق الأئمّة، وإسعاداً للزهراء عليها السلام[2].

وليس التكلّم فيها موضع عنايتي، ولا بيان العناوين التي تنطبق على الباكي والمبكي والمتباكي من مقاصدي، ولا موارد ومحالّ البكاء وذكر

---

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ أبا عبد الله عليه السلام لمّا مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ».

انظر: كامل الزيارات: ٨٠.

وفي حديث آخر يسأله الراوي: ما بكاؤها؟ قال عليه السلام: «كانت تطلع حمراء وتغرب حمراء».

انظر: كامل الزيارات: ٩٠.

(٢) انظر: وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١ ـ ٥١٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً يوم عاشوراء واتّخاذه يوم مصيبته».

الثواب عليه ممّا تحيط به ذاكرتي، وإنّما أذكر هذا التذكار استقصاءً للتذكارات التي هذا أهمّها وأعمّها.

وقد عرفتَ في ما تقدّم أنّه لم يشرّع لنيل الثواب الأخروي فقط، بل لنكات أخر غير عباديّة يجمعها إحياء أمر الأئمّة. فلولاها ما امتازت هذه الفرقة عن غيرها، ولا عرفت أئمّتها، ولا أذعنت بالأحكام المأثورة عنهم، ولا صدّقت بفضلهم وتفوّقهم على البشر في كلّ مزّية فاضلة ولا، ولا، ولا.

ومن التذكارات الحسينيّة

التمثيل

المعبّر عنه بلسان العامّة السبايا والشبيه: وهو عبارة عن تجسيم الواقعة لحاسّة البصر، بما صدر فيها من حركة وسكون وقول وفعل.

وهذا بما هو حكاية عن شي ء غابر بشيء حاضر، غير محظور ولا محذور فيه، بل ربّما يرجّح على المآتم؛ لكونه أبلغ في إظهار مظلوميّة سيّد الشهداء من الأقوال المجرّدة على المنابر وفي المجامع، وأشد منها تأثيراً في القلوب.

وقد أسلفنا ثمّة نبذة شافية ممّا يتعلّق به، إذا تأمّلها المنصف يذعن بأنّه لا يحتاج في شرعيّته إلى برهان، لقيام العلّة التي أوجبت أن يسلّم الحسين عليه السلام نفسه للقتل به، قيام الورد بماء الورد لايتخلّص عنه ولا ينفك عنها إلّا بقاسر[1] شبه الإماتة للمذهب.

---

(١) قَسَرهُ على الأمر قَسْراً: أكرهه عليه وقهره. الصحاح ٢: ٧٩١ «قسر».

هذا غير ما ينطبق عليه من العناوين المرغّب فيها، من كونه إبكاءً وتحزيناً وإحياءً لأمر الحسين عليه السلام، لكن السيّد «الصائل» حرّم كلّ تمثيل ومنع منه، قال في الصفحة (١و٢) من مقالته: «التشبيهات التي يمثّلونها يوم عاشوراء، قد صرت منوهاً برفضها ومصرّحاً بما فيها من التحريم، لأنّي أراها مجلبة لسخرية الملل الخارجة، وداعياً من دواعي الاستهزاء»[١]. انتهى.

أقول: إنّ لكلّ أمّة من الأمم مراسم دينية وعوائد[٢] قوميّة تنكرها عليهم الأمم الأخرى، حتى لو كانت طفيفة نحو الاختلاف بالأزياء، وذلك للمنافاة بين العوائد والمراسم والطبائع، الناشيء بعضها من تأثير الإقليم والبيئة التي يعيش بها الإنسان، وربما عدّ البعض مراسم البعض الآخر ضرباً من الجنون والتوحّش.

وهذا لايقتضي رفض الرسم الديني أو المذهبي أو غيرهما بين أهله، لاسيما مثل التمثيل الذي تجتني الشيعة من فوائده مالا تجتنيه في إقامة المآتم المجرّدة عن التمثيل والتشبيه.

ولعمري ما استهزاء الأجانب به إلّا كاستهزاء قريش وسائر مشركي العرب بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله التي لم يعرفوا أسرارها ولم يذوقوا ثمارها، أفهل كان يلزمه أن يتركها وهي من شعائر دينه؟!

---

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢:١٦٨

(٢) في الصحاح ٢: ٥١٤ «عود»: والعادة معروفة، والجمع عادٌ وعادات. تقول منه: عاده واعتاده وتعوّده، أي صار عادة له.

إنّ قريشاً لمّا سمعوا الإعلان بالأذان يوم فتح مكة أنكروه وعدوه فعلاً همجيّاً، وشبّهوه بنهيق الحمار؛ لارتفاعه وعلوّه، وزعموا أن لو كان أخفض من ذلك لكان أقرب إلى الوقار.

إنّ الدين الصحيح يجب أن لايكون خرافيّاً بأساسه أو بأغلب أحكامه، نحو أن يكون شعبذة صرفة، أو لهواً ولعباً، أو صرف رقي وتمائم، أو دقّ طبول وضرب أوتار، وغير ذلك؛ لأنّ ما يكون من الأديان كذلك تنفر عنه النفوس ولا تذعن له العقول.

أمّا إذا كان الدين - حتى بنظر الأجنبي عنه - قويم المباديء متين الأساس، كافلاً لحفظ النظام بقوانينه الوضعية وعباداته الروحية، غير أنّ فيه شعيرة مذهبية لادينيّة يعدّها الأجنبي خرافة وفعلاً همجيّاً وهو لا يعلم أسرارها، فهل يجب رفضها بمجرّد كونه يستهزيء بها؟!

كلاّ، وإلّا لكان الحجّ أوّل مرفوض في الشريعة؛ لأنّ غير العارف بحكمه وأسراره يسخر به، بل يعدّه ضرباً من الجنون والتوحّش، فهل يصلح للعارف أن يمنع عنه؟! كلاّ.

إنّه كان اللازم على صاحب المقالة أن يعرّف أولاً أقسام السخرية والخرافة وأحكامها؛ ليلحق بكلّ موضوع حكمه، ولا يتورّط.

يعلم المسلمون والأجانب جميعاً أنّ جميع التذكارات الحسينيّة ليست من المجعولات بالأصالة في دين الإسلام كسائر قوانينه من صلاة وصيام وصدقة، وإلّا لاشترك فيها جميع المسلمين ولم تختصّ بالشيعة.

وإنّما[١] هي أمور ندب إليها في الجملة بعد أكثر من نحو مائة سنة من وفاة شارع الدين الإسلامي لأغراض مذهبية تمسّ فرق المسلمين، ولا دخل لها بدين الإسلام بما هو دين جامع لجميع الفرق، بل لادخل لها بمذهب الشيعة بذاته من حيث هو مذهبهم، أعني به – طريقة علي عليه السلام وولده – وإنّما هم ومَن سنّها لهم مضطرّون إليها وإلى ما يشبهها، ولا تسأل هنا عن «مضطرّين».

أمّا عقائد الإسلام بما هي توحيد وتنزيه لمرتبة الربّ، وقوانينه الوضعية بما هي شريعة زمنيّة حافظة لحقوق المربوب، ليس في شيء منها ما يوجب السخرية، بل هي حافظة للنواميس الكليّة التي لأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، ومن ثمّة كانت غنيّة من تبشير المبشّرين بها؛ لأنّها داعية بنفسها إلى نفسها ومبشّرة بذاتها إلى ذاتها.

وهذا أمر بيانه خارج عن موضوع مقالتي وإن كان مهمّا جداً في نفسه.

وعلى هذا فلا علينا إذا سخر الأغيار بتمثيلنا، إنّ علينا أن نعرّف الأجانب براءة دين الإسلام بذاته ممّا هو أوقر منه، لا أن نتركه ونمنع عنه.

إنّ التذكارات الحسينيّة جميعاً لم تسن كمبشرة بالمذهب، ليحصل لنا الاستياء بالسخرية منها، بل شرّعت لحفظ عقائد الجعفرية فيما بينهم لإحياء أمر أئمّتهم، وتلك الفائدة حاصلة لهم برغم سخرية الأغيار.

---

(١) من هنا إلى كلمة «مضطرّين» حذفت من الطبعة الثانية لهذه الرسالة.

إنّ الأغيار لايسخرون بالمواكب والتمثيل فقط، بل بالمآتم أيضاً والزيارات ولبس السواد.

وكيف لايسخر العقلاء من اجتماع جماعة من الرجال من أهل الجلد والقوّة، يبكون بكاءً عالياً على رجل منهم أو من غيرهم مات منذ مائة سنة مثلاً؟!

أجل، إنّ بكاء الرجل وحده مستهجن، فكيف باجتماع مائة رجل مثلاً على ذلك؟!

ألستَ - أسوة بجميع العقلاء - تسفّه أحلامهم إذا شهدت مجمعهم، وعلمت أنّه قد أتى على فقيدهم - الذي يندبونه وينتحبون عليه - نحو سنتين وهو رمّة بالية[1]؟

ألستَ تزيد سخرية واستهزاء إذا رأيت أولئك الرجال بعد بكائهم وقوفاً في دار أعدّوها للنياحة، وصرفوا على تنظيمها المبالغ الطائلة من المال، قد جرّدوا عنهم الثياب إلى أوساطهم وحسروا عن رؤوسهم، وهم يضربون صدورهم ضرباً تُدمى به صدور كثير منهم، حزناً على ذلك الفقيد الذي طحنه البلاء وأكله الثرى[2]؟

ألستَ تعدّها من الأفعال الوحشيّة الهمجيّة؟

---

(١) الرّمة بالكَسر: العظام البالية، والجمع رُمَمَ ورِمّامٌ. الصحاح ٥: ١٩٣٧ «رمم».

والبالي: القديم والعتيق.

(٢) الثرى: التراب النديّ. الصحاح ٦: ٢٢٩١ «ثرا».

أفهل يصلح لعارف من الشيعة أن يمنعها جميعاً لذلك؟

ثم إنّه كان بين ظهرانينا – قبل دخول الأمم الأوروبية – عدد جمّ من غير المسلمين في كلّ مكان – وإنّ اختلفوا قلّة وكثرة، وزاد عددهم بأفراد الأمّة الإنكليزية الذين لايهمهم من أمر ديانة العناصر وعوائدهم شيئاً – ولا ينكرون على مراسم عادية ولا عبادية.

ونحن للآن مابلغنا عن أحد منهم الاستخفاف والاستهزاء، ولا شكّ أنّ صاحب المقالة لم يسمع ولم ير من أجنبي قط استهزاء، وإنّما ينقل له ذلك المستاؤون من أعمال الجعفريّة، وهم على الأغلب من أفراد (الجمعيّة الأمويّة)[1] التي تحقّقت أنّ لها فروعاً في بغداد والبصرة وغيرهما من عواصم العراق، وهم الذين يغرون أهل الدين ليقتلوه باسمه من حيث لايشعرون.

إنّ التأثّر بتمثيل المحزن طبيعي، إذ إنّه لازم لذات ذلك التمثيل وإن اختلف شدّة وضعفاً، فكيف – وهم متأثّرون حزناً أقلّ تأثّر – يسخرون ويستهزؤن؟!

اللّهمّ إلّا أن يكون التمثيل غير واقع طبق الأمر الممثل بكلّ قول وفعل، بحيث لا يوجب التحزين وإثارة العواطف، وإلّا فتمثيل فاجعة الطّف محزنة لكلّ مدرك عاقل.

إنّ ذلك التمثيل المقرح للأكباد إذا سخر منه أغرار[2] الأجانب، فإنّ العقلاء المفكّرين ربما يدعوهم ذلك إلى الفحص عمّن تتمثّل فاجعته لدى العموم وتحقيق مصائبه، وأسباب حدوثها، ومن ذا أحدثها، ومن مهّد ذلك؟

---

(١) تقدّم المراد منها في الصفحة: ٣٣١.

(٢) رجل غِرّ – بالكسر ـ وغَرير: أي غير مُجرِّب، والجمع أغرار. الصحاح ٢: ٧٦٨ «غرر».

وتلك نكتة أُخرى لرجحان التمثيل، قد تدعو البعض إلى الفحص عن دين الإسلام أو التمذهب بالمذهب الجعفري، ولهذه النكتة بعينها سرى أمر الشيعة إلى غير المسلمين من الفرق في الهند والصين، وكثر ببركته - في تلك الأماكن الشاسعة[١] عن مراكز الشيعة - مذهب التشيّع والولاء لأهل البيت عليهم السلام.

وقد ذكر فلاسفة التاريخ الحادث والمتعمّقين في أسرار الحوادث من الأجانب، أنّ السبب الوحيد لذلك هو جعل الجعفريّة طريق إقامة العزاء مشابهاً لمراسم إقامة العزاء في الهند، وهو التمثيل والتشبيه.

ومن المضحك المبكي أنّ الأجانب يدركون ويذيعون أسرار إقامة المآتم والتشبيهات المتداولة عند الشيعة، وهي على عرفاء الشيعة حقائق مخفيّة!!

إنّ الأجانب في جميع أنحاء المعمورة يقيمون حفلات التذكار سنوياً لكبار الحوادث، و ينصبون التماثيل والهياكل في المحلاّت العموميّة لكبراء الرجال، تخليداً لذكر الرجل، والتفاتاً للجاهل به إلى معرفته، وما أبداه من اختراع أو بسالة في حرب أو فتح، أو قلب سلطة، أو مظلوميّة متناهية في العظم عندهم، نحو مظلوميّة المسيح أو غير ذلك، فكيف يسخرون من شيء هم فاعلوه؟!

إنّ الهياكل القائمة في جميع معابدهم على مرور الأيّام - نحو تجسيم صورة البتول العذراء مريم، بصور مختلفة، منها صور محزنة، وتمثيل هيكل السيّد المسيح مصلوباً على خشبة، وغير مصلوب، وطفلاً تحمله مريم، وكهلاً غير محمول - هي في الحقيقة تمثيل دائمي لاسنوي.

---

(١) الشاسع: البعيد. الصحاح ٣: ١٢٣٧ «شسع».

أليس غرضهم من ذلك تخليد ذكر المسيح وظهور مظلوميّته، التي هي اليد القوية لاستحكام الروابط المسيحيّة، وعدم اندراسها على مرور الأزمان؟!

أليس غرضهم هذا يرمز إليه تعليق الشارة المسيحيّة (الصليب) وساماً لصدورهم وقلادة لأعناقهم؟ فكيف يسخرون؟

إنّ الروايات التمثيليّة التي تقام في العواصم كلّ ليلة في محال عديدة، لم يؤسسها إلّا أرباب السياسة من الأجانب، إصابة لأغراضهم، وهي ليست إلّا تجسيم خيالي للحوادث الغابرة.

ولو أنّهم ألبسوها لباس التفرّج والانشراح لكانت موقع استهزاء وتهجين، لكنّهم بتفريح الطبائع جذبوا إليها قلوب العامّة.

أفهل يطلب الأجانب من الجعفريّة أن تطرح ذلك الثوب على التمثيل الذي لم تقصد به إلّا تحزين الطبائع، وإبكاء النواظر، وإثارة العواطف الرقيقة نحو المصاب بتلك الفادحة الكبرى؟!

تمثيل النساء

اندفع صاحب المقالة بكلّه وبجميع ماله من حماسة على تشبيه عقائل النبوّة بثلّة من النساء المومسات والمتبرّجات، وأبرق وأرعد على فاعل ذلك في مقالته من صفحة ٤ إلى ٨ [١]، يري كلّ قارئ أنّ التشبيه الذي تفعله الجعفريّة هو هذا القسم من التشبيه الشائن.

غفرانك اللهمّ غفرانك من هذا التهويل، ودفع الحقّ بالأباطيل.

إنّ هذا التشبيه لم يقع في البصرة على طوال السنين إلّا منذ أربعة أعوام [٢]، شهده غير واحد من الصلحاء، وأجلب [٣] على منعه فمنعه من له قوّة المنع من ساعته. وهذا الرجل يري بكلامه كلّ أحد أنّ ذلك التشبيه المستهجن هو من الرسوم العادية حتّى في عامه هذا، و إلّا فما هو معنى المنع عن شيء مضى وما عاد له نظير أبداً، لا في البصرة ولا في غيرها؟!

---

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٧٣-١٧٧.

(٢) أي في سنة ١٣٤١هـ؛ لأنّ تأليف هذه الرسالة كان سنة ١٣٤٥ هـ.

(٣) أي أعان على منعه. انظر: الصحاح ١: ١٠٠ «جلب».

إنّ تشبيه النساء لايستحسن حتى لو كانت الشبيهات من ذوات العفّة والنجابة؛ لأنّ إشهار النساء بنفسه وسوقهن أمام ركاب القوم سبياً مجلوباً[(١)] -كما فعله آل أُميّة- من الأمور المستقبحة، وهذا لايكون تمثيله على الأغلب إلّا مستقبحاً.

لكن الميرزا أبو القاسم القمّي والشيخ مرتضى الأنصاري قدّس سرّهما - وناهيك بهما علماً وورعاً - جوّزا تشبيه الرجال بالنساء، مدّعين أنّ المحرّم هو أن يتأنث الرجل ويعدّ نفسه امرأة. أمّا التشبيه من دون ذلك - كما هو واقع في بعض الأحيان لغرض مخصوص - فليس بمحرّم[(٢)]، وهو خارج عن منصرف الأخبار[(٣)].

ولقد سألتُ بعض المتطرّفين في ما يتعلّق بالحسين عليه السلام من فضلاء أهل العلم عن تشبيه النساء، فقال: إنّه ليس بإشهار للنساء حتى يكون قبيحاً، وظهور المرأة المتسترة للرجل من دون نظر من كلّ منهما للآخر ليس بمحرّم، نعم هو موجب للالتفات إلى قبح ما ارتكبه بنو أُميّة من سبي عقائل الرسالة، ولا قبح

---

(١) الجليب: الذي يجلب من بلد إلى غيره. الصحاح ١: ١٠٠ «جلب».

(٢) انظر: جامع الشتات للميرزا القمّي ٢: ٧٨٨، وسرور العباد للشيخ الأنصاري: ٣٤، وتقدّمت عباراتهما في رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمّد جواد الحجّامي (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٣٠٣-٣٠٥.

(٣) انظر: وسائل الشيعة ٥: ٢٥ باب ١٣ من أبواب أحكام الملابس «باب عدم جواز تشبّه النساء بالرجال، والرجال بالنساء والكهول بالشباب».

فيه، وإن كان فهو على الأمويّين لا على الممثّلين، ولو أنّه ممّا تأباه الغيرة والحميّة لم أمنع منه.

وعلى كلّ حال، فالتشبيه المتداول في بلدان الشيعة، هو تمثيل فاجعة الحسينعليه السلام بما صد ر فيها من أقوال وأفعال، عدا تشبيه النساء وهتكهن، وهو محلّ العناية في الكلام، لا هذا التشبيه المستهجن.

ثمّ إنّه في أثناء الإرعاد على تشبيه النساء، ذكر أمرين قد يشتبه على الناظر في كلامه مراده؛ لإدماجه:

أحدها: في الصفحة ٦ فإنّه قال مخاطباً لعامل الشبيه ما ملخّصه: «لمَ لَمْ تسأل مَن تركن في دينك إليه عن هذه الهيئات السخيفة الموجبة للسخرية بالشريعة؟ فليت شعري هل ورد عن الرسولصلى الله عليه وآله ولو خبر ضعيف في شرعيّتها حتى تصول به على المتشرّعين»[1]؟

فإن كان يريد الإنكار على تشبيه النساء؛ لأنّه ذكره في أثناء إنكار ذلك فهو، وإلّا فإنّ طلب الخبر الضعيف - لولا الجهل بأصول الفن - لا وجه له؛ لأنّ التحريم هو المحتاج إلى الدليل لا الجواز.

---

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٧٦ . ونصّ العبارة هو: «لمَ لَمْ تسأل من تعتمد عليه وتركن في دينك إليه، عن هذه الهيئات السخيفة الموجبة للسخرية بالشريعة الشريفة، زاعمين بأنّها عند المسلمين من أجزاء الديانة؟ فليت شعري هل ورد عن الرسول وآله ولو خبر ضعيف في شرعيّتها، حتى تصول به على المتشرّعين»؟

ومع غضّ النظر عن ذلك، فإنّ في الأخبار العامّة كفاية، كأخبار الإبكاء والتحزين و إحياء أمر الحسين عليه السلام، وذكر مصيبته[١]، فإنّ ذكرها لايلزم أن يكون لسانياً كما أنّ إحياء أمره كذلك.

هذه مضافاً إلى ما أسلفناه من قيام العلّة التي أوجبت شرعيّة المآتم فيه بوجه أتمّ[٢].

و أمّا الخبر الخاصّ بالتمثيل، إن كان يريد به نحو أن يقول القائل: مثّلوا مصيبة الحسين عليه السلام، فمن الجهل طلبه[٣].

---

(١) انظر : وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين عليه السلام، وما أصاب أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً يوم عاشوراء واتّخاذه يوم مصيبة وتحريم التبرّك به».

(٢) تقدّم في الصفحة: ٣٤٢.

(٣) قد يستشهد البعض بجواز تمثيل واقعة الطفّ، بما جرى بمحضر الإمام الصادق عليه السلام، حينما دخل عليه أحد الشعراء، وألقى عليه قصيدة في رثاء جدّه الإمام الحسين عليه السلام.

ففي كتاب أسرار الشهادات للدربندي (ت ١٢٨٥ هـ) ١: ١٨٢، وكذلك كتاب معالي السبطين للشيخ محمّد مهدي الحائري ١: ١٥٣: «روى ثقة الإسلام الكليني في كتاب «الروضة» من «الكافي» ومضمونه ومعناه - على ما في خلدي الآن -:

أنّ الكميت الشاعر دخل على الصادق عليه السلام فقال: يا كميت، «أنشد في جدي الحسين عليه السلام، فلمّا أنشد الكميت أبياتاً في مصيبة الحسين عليه السلام، بكى الإمام بكاءً شديداً، وبكت نسوة الإمام عليه السلام وأهله وحريمه وصحن في حجراتهنّ.

فبينما الإمام في البكاء والنحيب إذ خرجت جارية من خلف الستر من الباب الذي كان في سمت حجرات الحرم، وفي يدها طفل صغير رضيع، فوضعته في حجر الإمام عليه السلام، فاشتدّ حينئذ في غاية الاشتداد بكاء الإمام عليه السلام ونحيبه، وعلا صوته الشريف، وأعلت النسوة الطاهرات والحرم أصواتهن بالبكاء والنحيب من خلف الأستار من الحجرات.

⇦

وإن كان يكتفي بما كان متضمنّاً لوقوع التمثيل فهو كثير، وقد نطق القرآن المجيد بتمثيل غير المسيح به وإلقاء شبهه عليه[1]، فإنّ هذا ليس إراءة وتخييلاً نحو الإراءة الطيفيّة، بل هو حقيقة واقعيّة لابسة ثوب خيال.

وقد ورد في الأخبار تمثيل الملائكة لعلي عليه السلام شخصاً مرئيّاً من لدن إدراكه إلى حين وفاته، وأنّه يوم ضرب بالسيف على رأسه في الدنيا وقع سيف على رأس التمثال فشجّه وسقط في محراب عبادته، فبكت عليه الملائكة ولعنت قاتله[2].

⇨

هذا وأنت خبير بأنّ مقصود النسوة الطاهرات والحرم من إنفاذ ذلك الطفل من ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حضرة الإمام عليه السلام ما كان إلاّ تشبيهاً بعليّ الأصغر الرضيع الشهيد - روحي له الفداء - وذلك لتشتدّ بذلك الرقة في الباكين والباكيات، ويكثر البكاء والنحيب. فتقرير الإمام كقوله وفعله في الحجيّة، فإذا ثبت وورد ذلك في أصل الشرع في الجملة ثبت الجواز، بل الاستحباب في كلّ ما أشرنا إليه لعدم القول بالفصل».

(١) في سورة النساء (٤): ١٥٧ ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾.

(٢) أخرج الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ١٣٢ في الباب السادس والعشرين «في شوق الملائكة والجنّة إلى علي عليه السلام واستغفارهم لمحبّيه» بسنده عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مررت ليلة أسري بي إلى السماء، فإذا أنا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحدق به، فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟

⇦

ولقد سُئل العلاّمة المؤتمن الشيخ محمّد حسن صاحب كتاب (الجواهر) عن مثل ذلك، فأجاب بأخبار تمثيل النبيصلى الله عليه وآله والأئمّة أشباحاً نورانيّة حول العرش قبل خلقهم، وأخبار تمثيل مثال لكلّ مؤمن في السماء بارزاً للملائكة حال إطاعته في الدنيا، مستوراً عنهم حال عصيانه[1]، وليس غرضي الاستدلال بهذا لشرعيّة التمثيل، لأنّي في غنية عنه بما أسلفته وفيه كفاية للمتبصّر.

ثانيهما: إنّه ذكر في الصفحة ٨ مخاطباً لمستعمل الشبيه أيضاً ما ملخّصه:

«حسب الدهر صدمة ما فعله يزيد بعقائل النبوّة، فمالك في كلّ سنة على ما فعلوه تزيد؟! دعهم منفردين بالخزي الذي سوّد وجوههم في الدنيا والعقبى، فما وجه تكريرك مثل ما فعلوه وما لم يفعلوه في كلّ عام، حتى توجب سخرية ذوي

⇨

قال: أدن منه وسلّم عليه، فدنوت منه وسلّمت عليه، فإذا أنا بأخي وابن عمّي علي بن أبي طالب، فقلت: يا جبرئيل سبقني علي إلى السماء الرابعة؟

فقال لي: يا محمّد لا، ولكنّ الملائكة شكت حبّها لعلي، فخلق اللّه تعالى هذا الملك من نور على صورة علي، فالملائكة تزوره في كلّ ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرّة، يسبّحون اللّه ويقدّسونه ويهدون ثوابه لمحبّ علي».

قلت: هذا حديث حسن عال لم نكتبه إلّا من هذا الوجه، تفرّد به يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس، وهو ثقة.

(١) انظر: بحار الأنوار ٥٤: ٣٥٣.

العقول والأوغاد[١] الطغام[٢] بدين الإسلام»[٣]! انتهى.

فإن أراد الإنكار على ظهور النساء مسبيّة مهتوكة، فالإنكار في محلّه.

وإن كان مراده ما عنى به غير واحد من أفراد «الجمعية الأموية»[٤]، وضرب على وتيرته بعض الكتّاب العصريين من قوله: «إنّ يزيد قتل الحسين عليه السلام مرّة والشيعة تقتله في كلّ عام مرّة» فوا سوأتاه.

إنّ أُولئك يلقون تلك الأقاويل بذراً في قلوب العامة بأطوار وأساليب مختلفة، لتثمر لهم ترك التذكارات الحسينيّة جميعاً، حتى ينتهي الأمر بالآخرة إلى إنكار قتل الحسين عليه السلام، فما بال المصلح من الشيعة يتّبع تمويهاتهم غفلة عن حقيقة الحال؟!

إنّ الشيعة لاتقتل الحسين عليه السلام في كلّ عام، وإنّما تحيي ذكره وتذكر فضله في كلّ عام، بل في كلّ يوم. وليس في ذلك حطّ من قدره كما يزعمون ويموهون؛ لأنّ الشيعة بتلك التذكارات لا تنسب إليه سلام الله عليه أمراً قبيحاً، ليكون موجباً للحطّ من مقداره.

---

(١) الوغد: الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه. الصحاح ٢: ٥٥٢ «وغد».

(٢) الطغام: أوغاد الناس، الصحاح ٥: ١٩٧٥ «طغم».

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)٢: ١٧٩. ونصّ العبارة هو: «حسب الدهر صدمة عظيمة مدهشة، وطامة مفجعة موحشة، ومصيبة هائلة تتضائل دونها المصائب وتضمحل إزائها الرزايا، ما فعله يزيد وشيعته بعقائل النبوّة ومحجّبات الرسالة، فما بالك في كلّ سنة على ما فعلوه تزيد؟! دعهم منفردين بالخزي الذي سوّد وجوههم في الدنيا والآخرة. فما وجه تكريرك مثل ما فعلوه وما لم يفعلوه كلّ عام، حتى توجب سخرية ذوي العقول والأوغاد الطغام بدين الإسلام»؟!

(٤) تقدّم المراد منها في الصفحه: ٣٣١.

وقد تضمّن التاريخ وخلّد فظائع متناهية الفظاعة قد وقعت على عظماء الرجال، ولم تعدّ حطّاً من مقامهم. فلم لذلك العضو النبوي يعدّ من أسباب الحطّ من شرفه إقامة تذكاراته، التي تجتني الشيعة منها من لدن قتله للآن ما يحفظ كيانهم، ويربط فيما بينهم بأحكم الروابط بعد الجامعة الإسلامية؟!

ومن التذكارات الحسينيّة

مجامع اللدم

وهي النوادي الخاصّة المنعقدة لأجل اللطم على الصدور بالأيدي.

وهذه كالمآتم لاريب في كونها مظهر الحزن والجزع، وربما يقال بكونها أبلغ في إظهار الحزن من البكاء وحده، وهذه أيضاً لا كلام فيها، وفي كون اللطم بها وبغيرها صلة للرسول صلى الله عليه وآله وإسعاداً للزهراء البتول عليها السلام.

وإذا كانت زيارته سلام الله عليه برّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ باعتبار كونها توقيراً واحتراماً لفلذة كبده - كما في الأخبار[1]- فلا ريب أنّ ذلك النوح الدائم أولى منها.

ولا شكّ أن أولئك الرجال اللاطمون هم من أظهر مصاديق قول الصادق عليه السلام: «إنّ الموجع قلبه لنا»[2].

---

(١) انظر: وسائل الشيعة ١٤ - ٤٩٥ باب ٦٤ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب زيارة الحسين عليه السلام حباً لرسول الله صلى الله عليه وآله».

(٢) كامل الزيارات: ١٠١، وعنه في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٧ حديث ١٦ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه، وفي بحارالأنوار ٤٤: ٢٨٩ حديث ٣١ باب «ثواب البكاء على مصيبته عليه السلام».

وقوله: «الجازع لمصابنا والحزين لحزننا»[(١)].

وأظهر من ينطبق عليه قول النّبيﷺ في الخبر المتضمّن لإخباره ابنته فاطمةعليها السلام بقتل الحسينعليه السلام في أرض غربة إذ قالت له: «فمن يقيم عزاء ولدي الحسين ويبكي عليه؟ قال: رجال من أمّتي يبكون عليه ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة»[(٢)] الحديث.

فإنّ العزاء المتجدّد كلّ سنة، هو ذلك اللطم والشبيه والمواكب التي تكون في عموم بلدان الشيعة سنويّاً لا يومياً مثل المآتم.

إنّ لطم الخدود وشقّ الجيوب ممّا لاريب في مرجوحيّته على غير الحسينعليه السلام، وأمّا عليهعليه السلام - ففضلاً عن جوازه - قد رغّب فيه كثير من الأخبار، كالمروي في التهذيب، عن خالد بن سدير عن الصادقعليه السلام، وفيه: «ولقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميّات على الحسين بن عليعليه السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»[(٣)]

وإذا كان لطم الخدود مندوباً، كان لدم الصدور أولى بالرجحان، وسيأتي في بعض التذكارات الآتية عدّ لطم الصدر في بعض الأخبار من الجزع، وفيه تعرف أنّ الجزع نفسه في مصاب الحسينعليه السلام مرغّب فيه مندوب إليه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) بحارالأنوار ٤٤: ٢٩٢ حديث ٣٧ باب «ثواب البكاء على مصيبته عليه السلام».

(٣) التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث ٢٣.

ومن التذكارات الحسينيّة

المواكب

وهي كثيرة فمنها:

موكب لدم الصدور

تنتظم من الرجال مواكب، وهم حفاة الأقدام، حسر الرؤوس، عراة الصدور والظهور، يضربون صدورهم، وربما ضربوا رؤوسهم بأيديهم، وقد يذروا على رؤوسهم التراب أو التبن، وقد يلطّخ البعض رأسه بالطين.

تقدمهم وتحفّ بهم - وهم على تلك الحال المحزنة - أعلام سود قد كتب عليها بالبياض مثل: «الحسين المظلوم»، أو «العبّاس الشهيد».

ينشدون باللغة الدارجة الأناشيد المحزنة بموادّها وألحانها، يخترقون الأسواق والأزقة والجواد العموميّة، وهم على تلك الحال المشجية، وإذا فعلوا ذلك ليلاً تصحبهم الأنوار الكهربائية أو المشاعل الموقدة بالبترول الأسود.

إنّ هذه المواكب بتلك الهيئات وهاتيك الأحوال أبلغ بلا شبهة في إظهار مظلوميّة سيّد الشهداء، وأشدّ تأثيراً في القلوب من البكاء المجرّد، وأحكم في وصل عرى الجامعة الجعفريّة وجعلها كحلقة واحدة أمام العامّ والخاصّ، وأولى في صدق كون اللطم فيها إسعاداً للزهراء وصلة لسيّد الأنبياء(١)، ومصداقاً لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «يجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة»(٢).

ولفحوى قول الصادق عليه السلام: «على مثله تلطم الخدود»(٣).

ولقول الرضا عليه السلام للريّان بن شبيب: «إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا»(٤).

وقول علي عليه السلام في حديث الأربعمائة: «إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا»(٥) الحديث.

قلت: وقد يراد بالنصرة في هذا الخبر وغيره ما يشمل اللطم باليد والسلاسل ونحوه.

---

(١) انظر: وسائل الشيعة ١٤: ٤٩٥ باب ٦٤ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب زيارة الحسين عليه السلام حبّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله و...».

(٢) بحارالأنوار ٤٤: ٢٩٢ حديث ٣٧ باب «ثواب البكاء على مصيبته عليه السلام».

(٣) التهذيب ٨: ٢٣٥ حديث ٢٣.

(٤) أمالي الصدوق: ١١٢ حديث ٥، عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: ٢٩٩ حديث ٥٨، وعنهما في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٢ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه.

(٥) أمالي الصدوق: ١٣٧.

وإذا كان صاحب «الخصائص الحسينيّة» يعدّ البكاء على الحسينعليه السلام نصرةً له، مدّعياً أنّ النصرة في كلّ وقت بحسبها،[1] فاللطم في الشوارع أولى أن يعدّ نصرةً وبذلاً للنفس في سبيل أئمّة الهدى.

ولا ينبغي الريب أنّ هذا التذكار بحدوده المرموزة ثمّة من مظاهر المودّة في القربى، التي هي أجر الرسالة، قال الله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[2].

ولا يشكّ أحد من عرفاء الجعفريّة أنّ لدم الصدور لمصاب سيّد الشهداءعليه السلام من الشعائر المذهبيّة، وهذا ما لاينكره صاحب المقالة قطعاً. ولا ريب أنّ خروج مواكب الرجال لادمة صدورها، وهي بتلك الهيئات المحزنة أدخل في تعظيم تلك الشعائر من اللطم في المآتم والدور.

وعسى أن يكون صاحب المقالة لاينكر هذا كلّه، وإنّما ينكر على الجعفريّة خروج المواكب لما يترتّب عليه من بعض المحرّمات، قال في الصفحة ٨ ما ملخّصه بإصلاح منّي للتعبير:

«وأمّا لطم الصدور فلم أمنع منه ما يكون في المآتم، وإنّما منعت علناً من خروج مواكب اللطم في الأزقة؛ لما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على

---

(١) الخصائص الحسينية: ٢٤٧.

(٢) الشورى (٤٢): ٢٣.

ذلك، من فتنة وفساد و مضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل إلى غير ذلك»[1].

قلت: أضف إلى هذا اللازم الفاسد بزعمه أموراً: نظر النساء إلى الرجال عراة الصدور، بروز المتبرّجات والمومسات من النساء حاسرات، نظر الرجال إليهنّ وهنّ مكشّفات الوجوه، صياحهنّ عند ذلك المنظر الهائل واستماع الرجال لأصواتهنّ الرقيقة و...

ومع هذه الإضافات نقول: لايجهل أحد من أهل العلم أنّ ترتّب بعض المحرّمات أحياناً على خروج المواكب لايقدح برجحانه البتّة.

إنّ المحرّم المقارن ما لم يكن لازماً لذات الواجب أو عنواناً ثانويّاً يتعنون به ذلك الراجح، لايوجب حرمته ولا مرجوحيّته.

ولو كانت الأعراض المفارقة الاتفاقية في مورد اقترانها بالراجح توجب مرجوحيّته، لحرمت الصلاة في بعض الصور، ومنع الحجّ، ولكان المنع من زيارة ذلك الشهيد الأعظم الكريم على الله تعالى أولى بالمنع، لما فيها من مزاحمة النساء للرجال، وبروزهن في وسط تلك المشاهد الشريفة المقدّسة مكشّفات الوجوه، بل كثيراً ما يحدث فيها تخاصم فئتين متعاديتين جمعتهما

---

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١١٧٩. ونصّ العبارة هو: «وأمّا مسألة لطم الصدور، فما حرّمته وما منعته، بل الذي ناديت علناً من ذلك بين الناس على المنبر وغيره، بأن يصير ذلك في المآتم، وذلك لما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل إلى غير ذلك».

البلدة للزيارة، بحيث يحدث من خصامهم الضرب المؤلم والجروح الدامية، بل إزهاق النفوس البريئة، ولا شكّ أنّ ما يحدث من مضاربة ومقاتلة في الزيارات أكثر ممّا يحدث في المواكب التي تكون مرّة واحدة في السنة.

عجباً! كيف يعدّ هذا الرجل الشخوص من البلدان النائية للزيارة، وبذل الأموال الطائلة في سبيلها، من الشعائر المذهبيّة التي يجب تعظيمها، ويجعلها من مظاهر المودّة في القربى التي ندب إليها الكتاب والسنة، ورفع شأنها إذ جعلها جزاء للنبي الأعظم على تبليغه عن الله جلّ شأنه، ولا يعدّ من ذلك هذه المواكب السائرة، مع اشتراك الجميع في المسنونيّة بالذات وفي ترتّب المحرّمات من غير فرق بينهما أصلاً؟!

لعمري إنّ اختراق تلك المواكب المشجية للشوارع، واجتماع الجماهير من النساء والرجال - مسلمين وغيرهم - للنظر إليها، هو أبلغ في إظهار مظلوميّة سيّد الشهداء التي سنّ البكاء عليه لأجلها؛ لأنّ به تتأثر قلوب جميع الفرق بنفس الأثر الذي تتأثّر به قلوب الجعفريّة فقط من اللدم واللطم في ناد خاصّ بهم.

ويعلم كلّ أحد أنّ المآتم المنعقدة لذكر رزيّة الحسين عليه السلام والبكاء لها، يقع في كلّ منها لا محالة في كلّ يوم غيبة أو نميمة أو مؤآمرة على باطل، أو تساب بين اثنين أو جماعة، أو إيذاء مؤمن، أو هتك حرمة، ونحو ذلك.

فكان يلزم صاحب المقالة - قياماً بوظيفته الروحيّة - أن يمنعها ويسدّ أبوابها ويكسر منابرها، لترتّب هذه المفاسد والمحرّمات عليها، وما هي بأهون

عندالله تعالى ممّا يحدث في المواكب السائرة من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة، كما يقول.

إن قال: إنّ تلك المفاسد ليست بلازمة لذات المآتم، ولا موجبة لتعنونها بكونها اجتماعاً للغيبة والتسابّ مثلاً.

قلنا له بمثل ذلك في الموكب اللاطم سائراً، حرفاً بحرف.

بالله عليك، لو تخاصم رجلان في مجلس العزاء الموقر المحفوظ من كلّ مفسدة، وأدّى تخاصمهما إلى الضرب المؤلم، كما يتّفق ذلك فيها أكثر من اتّفاقه في المواكب، أو أدّى إلى الجروح الدامية من باب الاتّفاق، فهل يصلح لعارف من الشيعة أن يمنعها بتّاً، أو يحكم بأنّ ذلك النادي الذي لم يتعنون بعنوان كونه «نادي المضاربة والمقاتلة» محرّماً لا أجر لصاحبه ولا لأهله عليه، بل عليهم العقاب؟!

من المحتمل أن يريد صاحب المقالة المنع من فرد خارج لم يقع في الخارج أبداً، وهو الذي لاتكون له علّة ولا محرّك على الخروج إلّا المقاتلة، وهو ما تعنيه بأنّه المعنون بالخروج للفساد، نحو خروج جماعة من محلّهم إلى الزنا واللهو أو إلى قتل النفوس.

ويدلّ على ذلك قوله في الصفحة ٩: «نحن نأسف ونحزن إلى الغاية على من يتعب نفسه باللطم لغير الله سبحانه، فإنّه لوكان للّه لما حصل ما ذكر»[١].

---

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٨٠.

وأنت لا يخفى عليك أنّ اتّفاق وقوع المحرّم فيه لايجعله لطماً لغير اللّه، كما أنّ كونه للّه لاينافي حصول ما ذكر بضرب من الاتّفاق، وإنّما الضارّ بالإخلاص كون المحرّم أمراً غير طاعة الله جلّ شأنه.

ثمّ قال في الصحيفة المذكورة: «ناهيك بما يصدر من جدال وضرب وتقاتل بين أهل اللطم وغيرهم من جهلة فرق المسلمين، فتكثر القتلى والجرحى من الفريقين، وجميعها ناشئة من سخافة العقل وشدّة الجهل، ولقد صدر الكثير من هذه الفتن، وحتى في العام الماضي[١] صدر شيء منها في بغداد، فقتل من قتل وحبس من حبس»[٢].

أقول: انظر إلى هذا التهويل والكلام الشعري الخيالي الذي أظهر به هذا الرجل تلك المواكب بمظهر فئات متعادية بينها ثارات أو ألف هنات، قد خرجت لأخذ الثار وإبادة بعضها بعضاً، لاشكّ أنّه عند التقائها تكون الملحمة العظمى التي تكثر بها القتلى والجرحى من الفريقين، الذين هم في الحقيقة (ثوّار)، سمّوا أنفسهم بالمعزّين، وقائمون بأكبر ثورة دمويّة يسمّونها بالعزاء.

غفرانك اللهمّ من عاقبة هذه السفسطة، التي لامقيل لها في ظلّ الحقيقة أبداً.

لا أقول: إنّ المضاربة والمنازعة والجرح لم تحدث في موكب أصلاً، بل ربّما يتّفق بالسنة أو بالأكثر حدوث ذلك مرّة واحدة في بلدة أو بلدتين لا أكثر، وذلك ممّا لا يخلّ بمسنونيّة تلك المواكب المقدّسة.

---

(١) أي في سنة ١٣٤٤ هـ، لأنّ تاريخ تأليفه لهذه الرسالة وطبعها هو سنة ١٣٤٥ هـ.

(٢) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٨٠.

إنّ هذا إلّا كما يعرض للرجل القادم على إقامة صلاة جماعة في معبد أو زيارة في مشهد أن يتخاصم مع غيره من المصلّين والزائرين، جمعه وإياه المكان، وربما كان تخاصمهما على المكان نفسه، فيحدث بينهما - لسخافة العقل وشدّة الجهل - على ما يقول من السباب والقذف والضرب والإهانة ما لاريب في حرمته، وعدم اقتضائه بوجه حرمة الصلاة والزيارة، إلّا أن يكون الخروج لذلك، أو يكون معنوناً بذلك العنوان.

وهذا أمر قد مرّت نظائره ثمّة، لكنّي أعدته ليعرفه الجاهل ويتدبّره الصائل والجائل.

قوله: «وحتّى في العام الماضي صدر شيء منها في بغداد».

فالحكم بين الشيعة وبينه ثقات البغداديين في النجف، فإنّهم أخبروا أنّه بعد طوال السنين لم يصدر في العام الماضي إلّا ضرب رجل من غير الشيعة ضحك مستهزءاً على مجتمعهم المحزن، ولم يكن ضربه في المواكب، بل بعد انقضائه. ولم يحبس بسبب ذلك الضارب نفسه وإنّما حبس غيره لأغراض شخصيّة، وليس ثمّة من أمر مذهبي يكون سبباً للحبس.

والسيّد الناقل في رسالته حاشاه عن الافتراء، لكنّه مموّه عليه من قبل المستائين من أعمال الجعفريّة، الذين يجدّون ليل نهار في إبطال هذه المراسم المذهبيّة؛ لنزعة أمويّة أو وهابيّة، فهم يديفون[1] الصاب[2] بالعسل ويذيقونه غير أهل الأذواق من الجعفريّة.

---

(١) دُفْتُ الدواء وغيره: أي بللته بماء أو بغيره، فهو مدفوفٌ ومُدوفٌ وكذلك مسك مدفوف، أي مبلول. الصحاح ٤: ١٣٦١ «دوف».

(٢) الصاب: عصارةُ شجر مُرٍّ. الصحاح ١: ١٦٦ «صوب».

قوله: «الشريعة المقدّسة والعقل السليم قاضيان بأنّ اللطم محلّه المآتم دون الطرق».

فهو من التلفيقات الفارغة، ونسبة ذلك إلى العقل والشريعة فرية بلا مرية.

ها نحن لو عزلنا أنفسنا عن سلامة العقل، فليأتنا هذا الرجل بما يدلّ من الشريعة على أنّ اللطم محلّه المآتم لا الطرقات، كيف وهؤلاء حملة الشريعة المقدّسة وصلحاء أهل الدين، منذ مئات من السنين يرون ويسمعون اللطم في الطرقات ولا ينكرون؟!

هب أنّ هذا الرجل تأتّى له أن يباهت الجهال بدعوى حكم الشريعة، لكن دعوى حكم العقول السليمة بذلك فرية لا تستر، ولقد كان يكفيه أن ينكر وجود دليل على جواز اللطم في الطرقات، ولا يدّعي وجود الدليل على كونها ليس محلاً له، فيطالب بإثباته، وأنى له بذلك؟!

حقاً أقول: اللطم لا محلّ له أصلاً، لا الطرقات ولا المآتم، لكن رزيّة الحسين عليه السلام يكون كلّ محلّ محلاً لها، لأنّها بنفسها إذا كانت غير محدودة بحدّ، فأيّ برهان يحدّ محلّها ويعيّنه؟! فما ذلك إلّا عن عدم تقديرها حقّها.

إنّ من الأدلّة الجليّة على أنّ اللطم لمصاب الحسين عليه السلام لا يختصّ محلّه بالمآتم، بل يقام في المجامع العموميّة، وأنّها أحسن وأوقع محاله، ما روي عن الصادق عليه السلام من عدّة طرق، أصحّها ما في الكافي عن يونس بن يعقوب، عنه عليه السلام، أنه قال: «قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب يندبنني عشر سنين بمنى أيام منى»[1].

---

(١) الكافي ٥: ١١٧ حديث١، وعنه في وسائل الشيعة ١٧: ١٢٥ حديث١ باب (جواز كسب النائحة بالحقّ لا الباطل).

وفي غيره أنّه أوصى بثمانمائة دينار لنوادب تندبه بمنى عشر سنين أيام منى[١].

إنّ منى في تلك الأيام هي أعظم المجامع لطوائف المسلمين القاصدين إلى مكّة من كلّ فج، فلماذا اختار ندبته فيها؟!

وهلاّ أوصى أن يندب في بيته، أو في ميدان واسع في المدينة، أو في البقيع حيث محلّ قبره؟!

ألست تعتقد أنّه يرمز بذلك إلى تنبيه الناس على فضائله وإظهارها، وليتذكّر أولياؤه والعارفون به ما جرى عليه، ومن مجموع ذلك تثبت عقائدهم ويدوم ذكره الجميل فيما بينهم؟!

قال شيخنا الشهيد الأوّل محمّد بن مكي في كتابه ذكرى الشيعة بعد إيراد الخبر المزبور: «والمراد بذلك تنبيه الناس على فضائله وإظهارها ليقتدى بها، ويعلم الناس ما كان عليه أهل البيت فتقتفى آثارهم»[٢]. انتهى.

فانظر متأمّلاً إلى آخر كلامه هذا الذي يريد به أنّ ندبته بتلك المجامع سبب لظهور التشيّع في الناس؛ لارتفاع الاتّقاء عليه بعد موته سلام اللّه عليه.

ومن هذا تعرف أنّ النوادي الخاصّة محلّ عزاء من لاشرف له كالحسين عليه السلام وأبنائه، ولا فضل له ولا قرب كفضلهم وقربهم، ولا مظلوميّة له كمظلوميّتهم، أمّا هم، فإنّ أوقع المحالّ لندبتهم المجامع العموميّة كمنى وغير منى.

---

(١) الكافي ٣: ٢١٧ حديث ٤، الفقيه ١: ١١٦ حديث ٥٤٦، وعنهما وسائل الشيعة ٣: ٢٣٨ حديث، باب (استحباب وصيّة الميّت لطعام المأتم).

(٢) ذكرى الشيعة ٢: ٥٩.

وفي آخر هذا الفصل طلب الكاتب من اللّه أن يتفضّل على أهل المواكب السائرة برفض ما تعوّدوه في اللطم من المقاتلة، والسير على الهيئات المنكرة من الوثبات[١] والزعقات[٢] الموحشة[٣].

فكأنّه يتمنّى لكلّ فرد من أفراد الجعفريّة، حتى الشبان منهم وأهل المهن الدنيّة والبذيئيين، أن يكون لهم مثل ما هو حاصل لأغلب الشيوخ والصلحاء من الهدوء والسكون والمشي بخشوع ووقار.

وهذا ما لا يكون، ولكن لايلزم أن تكون المواكب على هذه الحال المتمنّاة، فإنّ تلك الوثبات والزعقات الموحشة - على ما يقول - لها من التأثير في بعض القلوب ما لا يؤثّره الوقار والتوئدة «وفي الحميّة معنىً ليس في العنب»[٤].

---

(١) الوثبات، جمع وثبة: و هي الطفرة، ووثب وثباً ووثوباً وثباناً: طفر. الصحاح ١: ٢٣١ «وثب».

(٢) الزعقُ: الصياح، وقد زعقت به زعقا، الصحاح ٤: ١٤٩٠ «زعق».

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل «المطبوعة ضمن هذه المجموعة» ٢: ١٨١، وفيها: «فنسأل اللّه سبحانه التفضّل عليهم برفض ما قد تعوّدوه في اللطم من المحرّمات، وسيرهم على الهيئات المنكرة من الوثبات والزعقات الوحشيّة».

(٤) عجز بيت من قصيدة لأبي الطيّب المتنبي (ت٣٥٤هـ) وجّهها إلى سيف الدولة الحمداني في رثاء أُخت له ماتت سنة ٣٥٢هـ، وأوّل القصيدة:

يا أُختَ خير أخ يا بنتَ خير أبي ... كنايةً بِهما عن أشرفِ النَسبِ

وتمام البيت كما ورد في هذه القصيدة:

⇦

أوهما حقيقة «مثل الفواكه كلّ فيه لذّته»[1].

والناس ليسوا على شاكلة واحدة.

وذكر الوثبات والزعقات على لسان هذا الرجل تهويل آخر، وإعابة لحال المواكب الحسينيّة. والحقيقة لا تنزجر بالتهاويل، والأحكام لا تستند في نفي أو إثبات إليها.

وما تضرّ الوثبات من فئات لم تبن سائر أعمالهم العباديّة والعاديّة على الخشوع والاستكانة؟!

هولاء الزوّار من الأعراب يجتمعون موكباً كبيراً، يتواثبون ويزعقون وينشدون من الشعر الدارج بلغتهم المسمّى عند العامة «هوسة»، وهي بلحنها

⇨

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها ... فإنّ في الخمر معنىً ليس في العنبِ

واستعار الكثير من الشعراء هذا المعنى وضمّنوه قصائدهم، ففي أعيان الشيعة ٤: ١٣ قال السيّد الأمين:

وللشيخ جعفر حفيد الشيخ جعفر الكبير شعر في الشيخ إبراهيم بن صادق بن إبراهيم بن يحيى:

إنّ ابن يحيى وإن فاق الورى كرماً ... وحاز ما حاز من علم ومن أدبِ

لكن إذا قيس بي يوماً تلوتُ له ... وفي الحمية معنىً ليس في العنبِ

انظر: أعيان الشيعة ٤: ١٣٠.

(١) صدر بيت قاله أبو هبة الله محمّد بن سلمان بن نوح الغريبي الكعبي الأهوازي، القزويني، وهو والبيت الذي قبله:

لم يغن عن أحد منكمُ على أحد ... فكُلكم منهُ كلّ الفضل مُنتشرُ

مثلُ الفواكهِ كلّ فيه لذّتهُ ... الماءُ ماءٌ ولمّا يستوي الثمرُ

انظر: أعيان الشيعة ٩: ٣٤٩.

مهيّجة للشعور، متضمّنةً لنحو «يحسين اشرب ماي عيوني» وشبهه، فتطير القلوب لهم فرحاً، ويلقون من كلّ أحد الترحيب بهم والارتياح إلى هيئتهم المنكرة بزعم هذا الرجل؛ لأنّها وثبات وزعقات.

باللّه عليك، أي فرق بين مواكب زائري سيّد الشهداء، الذين يختلط بهم مثل الوحيد البهبهاني ـ أستاذ الكلّ في الكلّ ـ وهو لايعرف ما يقولون بمادّته ولحنه، وبين مواكب اللطم في نفس الوثبات والزعقات، التي أنكر الكاتب عليها؟!

اللّهمّ إنّي لا أجد فرقاً بين وثبات الموكب، وبين الهرولة في السعي إن لم تكن تلك أهون، ولا بين التلبية برفيع الصوت وبين ألحان المواكب.

ومن المواكب:

موكب السلاسل

وهو يتألّف من جماعة من الرجال مكشوفي الظهور والرؤوس فقط، بأيديهم سلاسل الحديد يضربون ظهورهم بها بدل الأيدي. عليهم الثياب السود، وأمامهم وخلفهم الأعلام المسوّدة، يمشون بهدوء وسكون، لا يتواثبون ولا يزعقون، ينشدون – وهم بتلك الحال – أناشيد الحزن، ويخرجون صفوفاً متكاتفة، مخترقين الأزقة والجواد العموميّة.

وهذا لاريب في كونه أجلى من موكب لدم الصدور باليد، في كونه مظهر الحزن والجزع، وكلّما قلنا في ذلك نقوله في هذا، ويأتي في أدلّة الموكب الأخير ما يدلّ على رجحان هذا بالأولويّة القطعيّة.

ومن المواكب:

موكب القامات

وهو موكب يتألّف من جماعة لابسي الأكفان البيض، بأيديهم السيوف والقامات، قد ضربوا المقدّم من رؤوسهم بها، وتناثرت قطرات كثيرة من الدم على تلك الأكفان، وهم يسيرون صفوفاً متكاتفين متلازمين كأنّهم حلقات سلسلة واحدة، كلّ قد أخذ بيده الأخرى حجزة الآخر، يخترقون الشوارع على هذه الهيئة، حفاة الأقدام، حسّر الرؤوس، لا يتواثبون ولا يزعقون، غير أنّهم يهزّون السيوف مؤمين بها إلى رؤوسهم، ومن ذلك تحدث لهم في المشي هيئة خاصّة.

وهؤلاء من جهة يمثّلون للأبصار طائفة قد استسلمت للموت، أقدمت على الحرب في نصرة سليل خير الأنبياء ودفع الأعداء عنه، وقد سالت دماؤها الطاهرة على وجوهها، وضمّخت بها رؤوسها، ولطّخت بها ثيابها المتّخذة أكفاناً يوم الطف.

ومن جهة أخرى يظهرون بمظهر موكب قد ارتفع في مقادير الحزن عن أن يضرب صدره بيده أو بسلسلة حديديّة، بل هو يريد أن يقتل نفسه جزعاً من جرّاء تلك الفادحة التي أصيب بها الإسلام في قتل سبط النبي المرسل.

فهذا الموكب عزاء من جهة، وتمثيل رزيّة من جهة أخرى، وكلّ ما حرّرناه في المآتم آت فيه بالأولويّة، بل هو في كونه نصرة للحسين عليه السلام وبذلاً للنفس في سبيله أظهر وأجلى.

وقد مرّ عليك ما يدلّ على ذلك من قوله عليه السلام: «ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا»[(١)].

لكن صاحب المقالة لا يذعن بذلك إذ قال:

«أمّا الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرّم؛ لما شاهدنا وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة لكثرة نزف الدم. ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجيّ وحشيّ مثل الضرب بسلسلة من حديد، ولم يرد دليل شرعيّ بتجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشيّة ما فيها من ثمرة في التعزية»[(٢)]. انتهى.

قلت: لاريب في أنّ دعوى موت جماعة في كلّ سنة لكثرة نزف الدم فرية بلا مرية، فإنّي منذ أدركت لليوم ما رأيت ولا سمعت أنّ واحداً مات بذلك في أيّ سنة، وأيّ بلدة، فضلاً عن جماعة في كلّ سنة، ولقد سألت كثيراً

---

(١) أمالي الصدوق: ١٣٧.

(٢) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٨١.

ممّن جاوز السبعين والثمانين من سني عمره من ثقات أهل النجف وكربلاء والكاظميّة وغيرهم من علماء البلدان وصلحائهم، وكلّ أنكر أن يكون رأى أو سمع أنّ واحداً من أولئك تألّم ألماً يوجب مراجعة الجرّاح أو المضمّد، فضلاً عن موته.

فعسى أن يكون ذلك طيفاً سوّلته له الأحلام، أو خيالاً جسّمته له الأوهام، أو حقيقةً واقعةً في الجيل الواحد مرّةً واحدةً اتفاقاً، كيف لا وأغلب أفراد موكب السيوف يجرحهم كبراؤهم بسكين دقيقة جروحاً خفيفة يظهر منها الدم بواسطة الضرب على الرأس لابالجرح بمجرّده من دون أن يحصل لهم إيلام مزعج، لأنّ غرضهم صوري وهو البروز بصورة القتيل والجريح، وليس من أغراضهم الإيلام الحقيقي لأنفسهم.

ومع الغضّ عن هذه الحقيقة الواقعيّة لو تنزّلنا وقلنا: إنّ الجرح يكون بالسيف للإيلام لا غيره، فلا شكّ أنّ ذلك إنّما يوجب التحريم إذا كان مقدّمة لإيجاد الموت، نحو أن يضرب رأسه ليقتل نفسه، وأمّا الضرب لا لذلك، بل لأمر آخر، قد يترتّب عليه في بعض الأحيان لبعض الأفراد الموت من دون أن يكون مقصوداً بالأصالة أو بالتبع ولا لازماً عادياً للضرب نفسه، فإنّ قواعد الفنّ لا تقتضي تحريمه البتّة، ومجرّد الإيلام وإخراج مقدار من الدم - لا يضرّ بالصحّة - لا دليل على حرمته.

قوله: «**ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة ــ وهي نزف الدم ــ فهو فعل همجيّ وحشيّ مثل الضرب بسلاسل من الحديد**».

أقول: إذا قطع النظر عن تلك الجهة التي هي علّة التحريم، فكونه فعلاً همجيّاً، لايفي بالحكم المقصود ـ لو يعلم ـ إلّا أن يدلّ البرهان على أنّ كلّ عبث وفعل لا ترتكبه العقلاء لهمجيّته هو محرّم، وأنّى لأحد بإثباته؟!

على أنّ عدّه فعلاً همجيّاً وحشيّاً إنّما هو بنظر من لم يعرف حكمته ولم يطلع على المقصود منه، و إلّا فضرب الصدور بالأيدي في الدور والبيوت يعدّه غير العارف برموزه وأسراره ضرباً من التوحّش والهمجيّة، مع أنّه عند الجميع من الأمور المستحسنة المرضية.

أقول: وأنا استسلف العذر عن حزازة القدح اللساني الظاهري فقط بأعظم شعائر الله وحرماته ـ الحجّ ـ ليس الحجّ إلّا طواف حول بيته، وسعي وهرولة بين رابيتين، ووقوف على جبل، وهبوط في وداي، ورمي أحجار على أحجار، في هيئة مقرحة من كشف الرؤوس لحرّ الشمس، وحلق الشعر، وعري البدن إلّا عن نحو إزار ورداء.

لا شكّ أنّ غير العارف برموزها وحكمها وأسرارها يستهزىء بها ويعدّها ضرباً من الجنون والتوحّش وفعلاً من أظهر أفعال الهمجيّة، أفهل يصلح للعارف برموزه حكمه أن يمنع منه لمجرّد عدّه عند الجاهل همجيّاً؟!

ولقد وقع الاستهزاء جهاراً بتلك المناسك العالية الأسرار، الدقيقة الحكم، والسخريّة بها من قبل الماديّين الأقدمين كعبد الكريم بن أبي العوجاء[1]

(١) في الاحتجاج «للطبرسي» ٢: ٢٠٦: عن عيسى بن يونس، قال كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري، فانحرف عن التوحيد، فقيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت في ما لا أصل له ولا حقيقة؟!

قال: إنّ صاحبي كان مخلطاً، يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه.

فقدم مكّة متمرّداً، وإنكاراً على من يحجّه، وكان تكره العلماء مجالسته لخبث لسانه، وفساد ضميره، فأتى أبا عبد الله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه، فقال:

يا أبا عبد الله، إنّ المجالس بالأمانات، ولابدّ لكلّ من به سعال أن يسعل، أفتأذن لي في الكلام؟

فقال: «تكلم».

فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله كهرولة البعير إذا نفر، إنّ من فكر في هذا وقدّر، علم أنّ هذا فعل أسّسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أُسّه ونظامه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه، استوخم الحقّ ولم يستعذبه وصار الشيطان وليّه، ويورده مناهل الهلكة ثمّ لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته وجعله محلّ أنبيائه وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحقّ من أطيع في ما أمر وانتهى عمّا نهى عنه وزجر، الله المنشىء للأرواح والصور».

⇦

وعبدالله الديصاني وأضرابهما[١]، وخلّدت كتب الحديث إنكارهما على مولانا الصادقعليه السلام، وإنكار المتأخّرين أظهر من ذلك، وناهيك الكتب المؤلفة منهم للاستهزاء بالحجّ بخصوصه.

⇨

فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت الله فأحلت على غائب.

فقال أبو عبد اللهعليه السلام: «ويلك!! كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ويعلم أسرارهم»؟!

فقال ابن أبي العوجاء: فهو في كلّ مكان، أليس إذا كان في السّماء كيف يكون في الأرض، وإذا كان في الأرض كيف يكون في السّماء؟

فقال أبو عبد اللهعليه السلام: «إنّما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان، وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه. فأمّا الله العظيم الشأن، الملك الديّان، فلا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان».

(١) في الاحتجاج للطبرسي ٢: ٣٠٦-٣٠٧.

وعن هشام بن الحكم قال : اجتمع ابن أبي العوجاء وأبو شاكر الديصاني الزنديق وعبدالملك البصري وابن المقفع عند بيت الله الحرام، يستهزئون بالحاج ويطعنون على القرآن .

فقال ابن أبي العوجاء : تعالوا ننقض كل واحد منّا ربع القرآن، وميعادنا من قابل في هذا الموضع، نجتمع فيه وقد نقضنا القرآن كلّه، فإنّ في نقض القرآن إبطال نبوّة محمّد، وفي إبطال نبوّته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك وافترقوا، فلمّا كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام فقال ابن ابي العوجاء:

أمّا أنا فمفكّر منذ افترقنا في هذه الآية : ﴿**فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا**﴾ فما أقدر أن أضمّ إليها في فصاحتها وجمع معانيها شيئاً، فشغلتني هذه الآية عن التفكر فيما سواها .

⇦

وأمّا ثمرتها في التعزية فإنّما ينكرها من يجهل السرّ في إقامة المآتم العزائية، وقد أسلفنا في صدر الرسالة نبذة تتضمّن الأسرار المشار إليها، ومن تأمّلها يجدها حاصلةً في الشبيه وضرب القامات بوجه أتمّ وأنفع.

⇨

فقال عبدالملك : وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآية : ﴿ يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ ضُـرِبَ مَثَـلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُـوا لَـهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُـوبُ﴾ ولـم أقـدر علـى الإتيان بمثلها .

فقال أبو شاكر : وأنا منذ فارقتكم مفكّر في هذه الآيـة: ﴿لَـوْ كَـانَ فِيهِمَـا آلِهَـةٌ إِلَّـا اللَّـهُ لَفَسَدَتَا﴾ لم أقدر على الإتيان بمثلها .

فقال ابن المقفع : يا قوم، إن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فـارقتكم مفكـر في هذه الآيـة : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لـم أبلـغ المعرفـة بهـا، ولـم أقدر على الإتيان بمثلها .

قال هشام بن الحكم : فبينما هم في ذلك . إذ مرّ بهم جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقال : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

فنظر القوم بعضهم إلى بعض وقالوا : لئن كان للإسلام حقيقة لما انتهـت أمـر وصـية محمّـد صلى الله عليه وآله إلّا إلى جعفر بن محمّد، والله ما رأيناه قطّ إلّا هبناه واقشـعرّت جلودنـا لهيبتـه، ثـمّ تفرّقـوا مقـرّين بالعجز .

إنّ أدنى فوائد التذكارات الحسينيّة التي تعملها الجعفريّة اليوم، أن تجعل كلّ فرد منهم راسخ الاعتقاد بمذهبه، شديد اليقين به، وذلك ما رمزنا إليه وصرّحنا به في غير موضع من الرسالة، ولا يلزم أن تكون فائدتها أمراً فوق ذلك.

ومن ثمّة لو كانت قرية مثلاً ليس فيها من غير الجعفريّة أحد أبداً، لكان يلزم عليهم إقامة التذكارات بجميع مظاهرها لذلك خشية أن يضعف اعتقادهم ويزول بمرور الأيام.

كذا لو كانت القرية وما فيها من الجعفريّة إلّا أفراداً معدودة، بل هذه أولى بإقامتها من هذه الجهة، وأخرى أنّ تلك الأعمال ربما تكون داعية للأغيار إلى الفحص عن أسباب تلك التذكارات واستحسانها، حتى تكون بنفسها مبشّراً من المبشّرين بها.

قال بعض مورّخي الأجانب في مقام استشهاده على نحو هذا: رأيت في بندر مارسل[١] في الفندق شخصاً واحداً عربيّاً شيعيّاً من أهل البحرين يقيم المأتم منفرداً، جالساً على الكرسي بيده الكتاب يقرأ ويبكي، وكان قد أعدّ مائدة من الطعام ففرّقها على الفقراء.

فباللّه عليك ماذا الذي صيّر هذا الرجل الغريب في البلدة التي لا مماثل له فيها في العنصر والمذهب أن يكون شديد الاعتقاد بمذهبه إلى تلك الدرجة؟! لولا ما تعوّده في بلده منذ نعومة أظفاره من إقامة المآتم والتذكارات.

---

(١) أي ميناء مارسل الواقع في فرنسا.

أمّا صاحب المقالة فإنّه يطلب للتذكارات فائدة خاصّة، نحو أن تكون الشيعة إذا أقامتها ترتقي في نظر غير الجعفريّة كلّ مرتقى عال في الدنيا والعقبى!!

قوله: «**لم يرد دليل شرعي على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها**».

أقول: هذا ناشىء عن القصور في الفقه والأصول؛ لأنّ التحريم هو المحتاج إلى الدليل، والأصل الإباحة، بما استفاض وتواتر معنىً من الأخبار والآثار من أن «كلّ شيء مطلق حتى يرد فيه نهي»[(١)].

ومع الغضّ عن هذا، فإنّ إباحة الشيء أو استحبابه لايتوقّف على دليل يخصّ مورده، بل تكفي فيه الأدلّة العامّة.

وبما أنّ هذا الموكب من جهة يمثّل موقف الحسينعليه‌السلام وأنصاره بالطف، يكون إحياءً لأمرهم.

ومن جهة يظهر بمظهر مرتفع في مقدار الحزن عن أن يضرب صدره بيده، بل يهمّ بقتل نفسه، يكون حزناً لأجلهم.

وباعتبار الجهتين يكون كلّ فرد من أفراد الموكب متّصفاً بكونه موجع القلب لهم، وباذلاً نفسه فيهم، ومؤدّياً حقّهم، ومعظّماً شعائرهم، وناصراً لهم

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٣١٧ باب «استحباب البكاء من خشية الله تعالى»، وسائل الشيعة ٦: ٢٨٩ باب «جواز القنوت».

بعد وفاتهم، وغير ذلك من العناوين العامّة التي تكثّرت فيها الأخبار الخاصّة عن أئمّة الهدى سلام الله عليهم[١].

إنّ أشدّ الأخبار العامّة مساساً بهذا الموكب وأتمّ اعتلاقاً به، الأخبار الكثيرة المستفيضة الدالّة على أنّ الجزع مكروه ومحظور، ما عدا الجزع على الحسين عليه السلام فإنّه مندوب إليه ومرغب فيه[٢].

ففي رواية معاوية بن وهب ـ التي رواها المفيد والشيخ وابن قولويه ـ عن الصادق عليه السلام: «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين»[٣].

بل في خبر مسمع بن عبدالملك البصري عن الصادق عليه السلام أنّه قال له ـ يعني الصادق ـ «أما تذكر ما صنع به»؟ يعني بالحسين عليه السلام.

قلت: بلى.

قال: «فتجزع»؟

قلت: أي واللّه، واستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فامتنع من الطعام والشراب حتى يستبين ذلك في وجهي.

---

(١) انظر: وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام».

(٢) أمالي الصدوق: ١١١ حديث٢.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ١: ١٦٢، كامل الزيارات: ٢٠٢ حديث ٥، وانظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٥ حديث ١٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام...».

قال: «رحم الله دمعتك، أما إنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والّذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنّا» الحديث[١].

وهذه وما بعدها بنظري عمدة الأدلّة على جواز إدماء الرؤوس بالسيوف، بل واستحبابه، وذلك أنّ كلّ ما يفعله الشيعة من الضرب بسلاسل الحديد وبالقامات وغيرها هو دون الجزع المرغّب فيه.

إنّ الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس هو مظهر من مظاهر الجزع، وليس بجزع حقيقة، فإنّ الجزع أمرٌ معروف في اللغة والعرف، وهو ضدّ الصبر[٢]، نحو أن ينتحر الرجل العاقل أو يلقي نفسه من شاهق لحادثة تحدث تغلب صبره وتورده الهلاك.

وأين هذا من جرح الرأس بسكين أو سيف جرحاً خفيفاً يوجب خروج الدم، ولا يؤلم إلّا بمقدار ما تؤلم الحجامة وغيرها ممّا يرتكب لأغراض عقلانيّة سياسيّة أو طبيّة؟!

ولا يراد من الجزع في الخبر السابق البكاء، لعطفه عليه فيه وفي ما لا أحصيه عدداً من الأخبار[٣]، وذلك آية المغايرة بينهما، ولا ما ذكرناه من بلوغ

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠٣ حديث ٧.

(٢) الجَزَعُ، بالتحريك: نقيض الصبر، الصحاح ٣: ١١٩٦

(٣) منها ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات: ٢٠١ حديث ٢ بسنده عن أبي عبد الله الجاموراني، عن الحسن بن علي ابن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ⇦

الحزن إلى حيث يورد الهلاك، وإن كان هذا لو صدر من أحد في مصاب فكثيراً ما يحدث بغير اختيار، وكلّ ما هو دون هذه المرتبة ممّا يتحمّل عادةً ولا يجرّ إلى الضرر بالنفس، فهو من الجزع المرغب فيه، وله مراتب:

منها: الامتناع من الطعام والشراب مع الحاجة إليهما، كما صدر عن مسمع[(١)] ؛ وذلك للتأثر القلبي الموجب لعدم قبول النفس لهما مع شدّة الجوع والعطش.

وما ورد في بعض أخبارنا من تحديد أشدّ الجزع بالصراخ والويل والعويل، ولطم الوجه والصدور، وجزّ الشعر من النواصي، وإقامة النواحة[(٢)]، فهو في غير شأن الحسين عليه السلام؛ لأنّ أعظم هذه المعدودات: النواحة، وهي عليه راجحة بل واجبة قطعاً، ولطم الخد وقد دلّ على جوازه وجواز شقّ الجيب الخبر الصحيح المروي في التهذيب عن خالد بن سدير عن الصادق عليه السلام وفيه: «على مثله ـ يعني الحسين ـ تلطم الخدود و تشقّ الجيوب»[(٣)].

⇦

سمعته يقول: «إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام، فإنّه فيه مأجور».

(١) كامل الزيارات: ٢٠٣ حديث ٧.

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي ٣: ٢٢٢ حديث١، بسنده عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: ما الجزع؟ قال: «أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعويل، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر من النواصي، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذ في غير طريقه».

(٣) التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث ١٩٩.

ولقد كان شيخنا العلاّمة شيخ الشريعة قدّس سرّه بهذا الاعتبار وبتلك الأخبار يصحّح الخبر المرسل الذي استبعده بعض العظماء، من أنّ عقيلة عليّ الكبرى لمّا لاح لها رأس الحسينعليه السلام وهو على رمح والريح تلعب بكريمته، نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتى سال الدم من تحت قناعها[1].

---

(١) قال العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ١١٤:

رأيت في بعض الكتب المعتبرة: رُوي مرسلاً عن مسلم الجصّاص، قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا أُجصّص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت: مالي أرى الكوفة تضجّ؟

قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد.

فقلت: من هذا الخارجي؟

فقال: الحسين بن عليعليه السلام.

قال: فتركت الخادم حتّى خرج ولطمت وجهي حتّى خشيت على عيني أن تذهب، وغسلت يدي من الجُصّ وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس.

فبينما أنا واقف والناس يتوقّعون وصول السبايا والرؤوس، إذ قد أقبلت نحو أربعين شقّة تحمل على أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة(عليها السلام) وإذا بعليّ ابن الحسينعليه السلام على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دماً، وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمّة السوء لا سقياً لربعكم — يا أمّة لم تراع جدّنا فينا
لو أنّنا ورسول الله يجمعنا — يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيّرونا على الأقتاب عارية — كأنّنا لم نشيّد فيكم دينا
بني أُميّة ما هذا الوقوف على — تلك المصائب لا تلبون داعينا

⇦



تصــفّقون علينــا كفّكــم فرحــاً ... وأنــتم فــي فجــاج الأرض تسـبّونا
ألــيس جــدّي رســول الله ويلكــم ... أهــدى البريّــة مــن سُـبل المضـلّينا
يـا وقعـة الطـفّ قـد أورثتنـي حزنـاً ... والله يهتـــك أســـتار المســـيئينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أمّ كلثوم، وقالت: يا أهل الكوفة، إنّ الصدقة علينا حرام، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض، قال كلّ ذلك والناس يبكون على ما أصابهم.

ثمّ إنّ أمّ كلثوم أطلعت رأسها من المحمل، وقالت لهم: صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء.

فبينما هي تخاطبهنّ إذا بضجّة قد ارتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام، وهو رأس زهريّ قمريّ أشبه الخلق برسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ولحيته كسواد السّبج قد انتصل منها الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع والرّمح تلعب بها يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدّم المحمل، حتّى رأينا الدّم يخرج من تحت قناعها، وأومأت إليه بحرقة وجعلت تقول:

يــا هــلالاً لمّــا اســتتمّ كمــالا ... غالــه خســفه فأبــدا غروبــا
مــا توهّمــت يــا شــقيق فــؤادي ... كــان هــذا مقــدّراً مكتوبــا
يــا أخــي فــاطم الصــغيرة كلّمهــا ... فقــد كــاد قلبهــا أن يــذوبا
يــا أخــي قلبــك الشــفيق علينــا ... مالــه قــد قســى وصــار صــليبا
يـا أخـي لـو تـرى عليّـاً لـدى الأسـر ... مــع اليــتم لا يطيــق وجوبــا
كلّمــا أوجعــوه بالضــرب نــادا ... ك بــذلّ يغــيض دمعــاً سـكوبا
يــا أخــي ضُــمّه إليــك وقرّبــه ... وســكّن فــؤاده المرعوبــا
مــا أذلّ اليتــيم حــين ينــادي ... بأبيــه ولا يــراه مجيبــا

ويقول العلاّمة شيخ الشريعة قدّس سرّه: «إنّه لا استبعاد فيه إلّا من جهة ظهور الجزع منها وإيلام نفسها، والإيلام غير المؤدّي إلى الهلاك لا دليل على عدم جوازه، والجزع مندوب إليه ومرغب فيه في كثير من الأخبار»(١).

قلت: الظاهر من الأخبار جواز الهلع أيضاً، وهو ـ على ما ذكروا ـ أفحش الجزع(٢)، ويظهر من الخبر الصحيح الذي تدلّ مضامينه على صحّته المروي في الكامل عن قدّامة بن زائدة عن السجاد عليه السلام، أنّه قد صدر منه الهلع لو استطاعه(٣).

وروى المجلسي أعلى الله مقامه(٤) والسيّد عبدالله شبر رفع الله درجته في

---

(١) انظر: وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام...»

(٢) قاله الجوهري في الصحاح ٣: ١٣٠٨ «هلع».

(٣) لم أعثر على هذا الحديث في متن «كامل الزيارات» من الطبعة المتوفّرة لدينا، والظاهر أنّ النسخ الخطيّة مختلفة في وجوده في المتن، لذلك أورده محقّق النسخة المتوفّرة لدينا في الهامش ص ٤٤٤ – ٤٤٥ قائلاً: زيادة في النسخ نقلناها كما وجدناها:

للحسين بن أحمد بن المغيرة فيه حديث رواه شيخه أبو القاسم رحمه الله مصنّف هذا الكتاب، ونقل عنه، وهو عن زائدة، عن مولانا علي بن الحسين عليه السلام، ذهب على شيخنا رحمه الله أن يضمّنه كتابه هذا، وهو ممّا يليق بهذا الباب، ويشتمل أيضاً على معان شتى حسن تامّ الألفاظ، أحببت إدخاله، وجعلته أوّل الباب.

(٤) في بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨ – ١٠٩: «وقيل: إنّه – أي الإمام زين العابدين عليه السلام – إنّه بكى حتّى خيف على عينيه، وكان إذا أخذ إناء يشرب ماء بكى حتّى يملأها دمعاً، فقيل له في ذلك فقال: «وكيف لا أبكي؟! وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع ⇦

كتاب جلاء العيون، انّ زين العابدين عليه السلام كان إذا أخذ إناء ليشرب يبكي حتى يملأه دماً[(١)].

وهذا بظاهره من غرائب الأخبار، فإنّ العيون لاتسيل دموعها دماً، ولذلك كنت أحتمل وقوع التحريف فيه، وأنّ الصحيح (دمعاً) بدل (دماً)، لكنّي وجدت المخطوط والمطبوع من الجلاء وغيره كما هو مرويّ فيه.

وعليه فأقرب توجيهاته أن يقال: إنّ العيون وإن لم تبك دماً، لكنها لكثرة البكاء والاحتراق تتقرّح أجفانها، فإذا اشتدّ البكاء تنفجر القروح دماً يمتزج بالدموع، فهو إذا سال في الإناء يسيل كأنّه دم، ويصدق حينئذ أن يقال: يملأ الإناء دماً.

وإذا ساغ للسجاد عليه السلام أن يسيل الدم باختياره من عضو من أعضائه ببكاء الدم أو بتقريح الجفن جزعاً وهلعاً على رزيّة الحسين عليه السلام، فما هو إذاً شأن ما يصدر من الشيعة من ضرب السلاسل والقامات؟!

وهل سيلان دم السجّاد في الإناء أهون من انتشار قطرات من دم رأس الجريح على ثيابه حزناً على تلك الفادحة العظيمة؟!

⇨

والوحوش». وقيل له: إنّك لتبكي دهرك فلو قتلت نفسك، لما زدت على هذا؟ فقال: «نفسي قتلتها وعليها أبكي».

(١) في جلاء العيون ٣: ١٥ عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه قال: «إنّ علي بن الحسين عليه السلام بكى على أبيه عشرين سنة -وفي رواية أربعين سنة- وما وضع بين يديه طعاماً إلّا بكى، وما أوتي بشراب إلّا بكى حتّى يتضاعف ذلك الماء، حتّى قال له مولىً له: جعلت فداك يابن رسول الله، إنّي أخاف أن تكون من الهالكين...».

ثمّ أقول: بهذا الاعتبار أيضاً ـ مضافاً إلى ما سلف من قوله عليه السلام: «على مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»[1] ـ يرفع الاستبعاد عمّا روي في الكتب من أنّ عقيلة آل محمّد صلى الله عليه وآله في موارد عديدة لطمت وجهها وشقّت جيبها وصاحت ودعت بالويل والثبور[2].

---

(١) التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث ١٩٩.

(٢) في وقعة الطفّ لأبي مخنف الغامدي الأسدي: ٢٢٩ - ٢٣٠ - وعنه في تأريخ الطبري ٥: ٤٢٠ :

عن علي بن الحسين بن علي عليه السلام، قال: «إنّي جالس في تلك العشية التي قُتل أبي صبيحتها، وعمّتي زينب عندي تمرّضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده حُويّ مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهر أفّ لك من خليل   كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل   والدّهر لا يقنع بالبديل
وإنّما الأمر إلى الجليل   و كلّ حيّ سالك سبيلي

فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، وعلمت أنّ البلاء قد نزل.

فأمّا عمّتي فإنها سمعت ما سمعت، وهي إمرأة، وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها - وأنّها لحاسرة - حتّى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أُمّي، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمال الباقي.

فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: أُخيّة، لا يذهبن بحلمك الشيطانُ.

قالت: بأبي أنت وأُمّي يا أبا عبد الله، استقتلت؟ نفسي فداك.

⇦

فإنّه لاحامل لها على شقّ الجيب إلّا الجزع في مصاب حقّ أن تشقّ له القلوب لا الجيوب، كما صرّح بذلك سيّدنا العلاّمة السيّد إسماعيل الصدر قدّس سرّه في بعض حواشيه.

وكيف لاتفعل ذلك في مصاب جزع له وبكي إبراهيم خليل الرحمن وموسى كليمه، كما في الخبر[1]؟!

⇨

فردّ غصّته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام!

قالت: يا ويلتي، أتغصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي، ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقّته وخرّت مغشياً عليها.

فقام إليها الحسين عليه السلام فصبّ على وجهها الماء وقال لها:

يا أُخيّة، اتّقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأُمّي خير منّي، وأخي خير منّي ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أُسوة».

وانظر أيضاً: الملهوف على قتلى الطفوف للسيّد ابن طاووس: ١٤٠ – ١٤٢.

وفي وقعة الطفّ لأبي مخنف الغامدي الأسدي: ٢٩٥ –وعنه في تأريخ الطبري ٤٥٥ – ٤٥٦ – :

«قال قرّة بن قيس التميمي: لا أنسى زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين عليه السلام صريعاً، وهي تقول: يا محمّداه! يا محمّداه! صلّى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مرَمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمّداه! وبناتك سبايا، وذريّتك مقتلة تسفي عليها الصبا!

(١) روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ٢: ١٨٧ حديث١ والخصال: ٥٨ حديث٧٩ بسنده عن الفضيل، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم عليه السلام أن

⇦

وفي آخر: إنّ فاطمة عليها السلام لمّا أخبرها النبيﷺ بقتل الحسين جزعت وشقّ عليها(١).

⇨

يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟

فقال: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّدﷺ.

فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟

قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي.

قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟

قال: بل ولده.

قال: فذبح ولده ظلماً على يدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟

قال: يا ربّ، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أُمّة محمّدﷺ ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيمعليه السلام لذلك وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب ؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾».

(١) قال العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢ - ٢٩٣، حديث٣٧، رأيت في بعض تأليفات بعض الثقات من المعاصرين: روي أنّه لما أخبر النبيّﷺ ابنته فاطمة بقتل ولدها ⇦

وفي خبر آخر: إنّها تنظر كلّ يوم إلى مصرع الحسين عليه السلام فتشهق شهقة تضطرب لها الموجودات(١).

⇨

الحسين وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاءً شديداً، وقالت: يا أبت متى يكون ذلك؟

قال: في زمان خال منّي ومنك ومن علي، فاشتدّ بكاؤها، وقالت: يا أبت فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم باقامة العزاء له؟

فقال النبيّ: يا فاطمة، إنّ نساء أُمّتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل، في كلّ سنة، فإذا كان القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرّجال، وكلّ من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنّة.

يا فاطمة، كلّ عين باكية يوم القيامة، إلّا عين بكت على مصاب الحسين فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنّة.

(١) روى الشيخ ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ١٦٩ - ١٧١ حديث ٢٢٠ بسنده عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله أحدّثه، فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً، وضمّه وقبّله وقال: حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممّن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء.

ثمّ بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أُتي إلى أبيهم وإليهم.

يا أبا بصير، إنّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنّم زفرة لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا

⇦

وفي غيره قال: سمعت أبا ذر وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلى الربذة فقال الناس: يا أباذر أبشر فهذا قليل في الله.

فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي قتلاً؟! أو قال: ذبح ذبحاً، وإنّ الله سيسل سيفه على هذه الأمّة لا يغمده أبداً، ويبعث ناقماً من ذريّته فينتقم من الناس، وإنّكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار وسكان الجبال في الفيافي والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم واللّه حتّى تزهق أنفسكم[1].

⇨

تسكن حتّى يسكن صوت فاطمة الزهراء، وأنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلّا بها ملك موكّل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ ثورانها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها، ويدعون الله ويتضرّعون إليه، ويتضرّع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أنّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقطّعت الجبال، وزلزلت الأرض بأهلها.

قلت: جعلت فداك، إنّ هذا الأمر عظيم، قال: غيره أعظم منه مالم تسمعه.

ثمّ قال: يا أبا بصير، أمّا تحبّ أن تكون فيمن يُسعد فاطمةعليها السلام؟

فبكيت حين قالها، فما قدرت على النطق وما قدر على كلامي من البكاء.

ثمّ قام إلى المصلّى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام، وما جاءني النوم، وأصبحت صائماً وجلاً حتّى أتيته، فلمّا رأيته قد سكن سكنت وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة.

(١) روى ابن قولويه في كامل الزيارات: ١٥٣ – ١٥٤ حديث ١٩٠ بسنده عن عروة بن الزبير، قال: سمعت أبا ذر وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلى الرّبذة، فقال له الناس: يا أبا ذر، أبشر فهذا قليل في الله.

⇦

ومن الأدلّة على ذلك ـ مضافاً إلى ما سلف وإن كان فيه غنىً وكفاية ـ ما دلّ على إدماء الله كثيراً من أنبيائه لأجل أن يحصل لهم الفوز بدرجة المواساة للحسين عليه السلام.

فمن ذلك المروي في البحار والأنوار أنّ آدم عليه السلام لمّا انتهى في طوافه في الأرض إلى كربلاء، عثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتّى سال الدم من رجله (١).

⇨

فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي قتلاً، أو قال ذبح ذبحاً، والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه، وإنّ الله سيسل سيفه على هذه الأُمّة لا يغمده أبداً، ويبعث ناقماً [قائماً] من ذرّيته فينتقم من الناس، وإنكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار، وسكّان الجبال في الغياض والآكام، وأهل السماء من قتله، لبكيتم والله حتّى تزهق أنفسكم، وما من سماء يمرّ به روح الحسين عليه السلام إلّا فزع له سبعون ألف ملك، يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة، وما من سحابة تمرّ وترعد وتبرق إلّا لعنت قاتله، وما من يوم إلّا وتعرض روحه على رسول الله فيلتقيان.

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٢ حديث٣٧، الأنوار النعمانية ١: ٢٢٩: وروي مرسلاً: أنّ آدم لمّا هبط إلى الأرض لم يرَ حوّاء، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، حتّى سال الدّم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإنّي طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض.

فأوحى الله إليه: يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً، فسال دمك موافقة لدمه.

فقال آدم: يا ربّ أيكون الحسين نبيّاً؟

⇦

وكذلك إبراهيم عليه السلام لمّا مرّ بها عثر فرسه فسقط وشجّ رأسه وسال دمه[(١)].

وكذلك موسى عليه السلام حين جاء كربلاء انخرق نعله وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجليه وسال دمه[(٢)].

⇨

قال: لا، ولكنّه سبط النبيّ محمّد.

فقال: ومن القاتل له؟

قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض.

فقال آدم: فأيّ شيء أصنع يا جبرئيل؟

فقال: العنه يا آدم، فلعنه أربع مرّات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّاء هناك.

(١) في بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ حديث ٣٩: وروي أنّ إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلا وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار، وقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟

فنزل إليه جبرئيل، وقال: يا إبراهيم، ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه. قال: يا جبرئيل، ومن يكون قاتله؟

قال: لعين أهل السّماوات والأرضين، والقلم جرى على اللّوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنك استحققت الثناء بهذا اللعن.

فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً، وأمّن فرسه بلسان فصيح، فقال إبراهيم لفرسه: أيّ شيء عرفت حتّى تؤمّن على دعائي؟

فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك علي، فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى.

(٢) في بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٤ حديث ٤١: وروي أنّ موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجليه، وسال دمه، فقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟

⇦

وكلّ هؤلاء لمّا ذعروا من ذلك وخشوا أن يكون ذلك لذنب حدث منهم، أوحى اللّه إلى كلّ واحد منهم أن لا ذنب لك، ولكنّ يقتل في هذه الأرض الحسين بن علي عليه السلام، وقد سال دمك موافقة لدمه.

فإنّ في هذا الاعثار والإدماء من الله لا عن ذنب، والتعليل بكونه موافقة لدم الحسين عليه السلام، دلالة جليّة على جواز إدماء الإنسان نفسه مواساة له، لأنّ سيلان دمائهم مع كونه غير مقصود لهم إذا كان محبوباً لمجرّد الموافقة في السيلان، فالمقصود إسالته مواساة لهم أولى بالمحبوبيّة.

إنّ التأسّي بالحسين عليه السلام مندوب إليه، وقد رغّب فيه الغلام الزكي يحيى بن زكريا والصادق الوعد إسماعيل، كما في الخبر عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ إسماعيل الذي قال الله عزّوجلّ في كتابه: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ**...﴾[1] لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبيّاً من الأنبياء بعثه الله عزّوجلّ إلى قومه فاخذوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إنّ الله جلّ جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت.

⇦

فأوحى إليه: أنّ هنا يقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه.

فقال: ربّ ومن الحسين؟

فقيل له: هو سبط محمّد المصطفى، وابن علي المرتضى.

فقال: ومن يكون قاتله؟

فقيل: هو لعين السّمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء.

فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمّن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه.

(١) مريم (١٩): ٥٤.

فقال: لي بما يصنع بالحسين عليه السلام أسوة[(١)].

بل روي أنّ غنمه التي كانت ترعى في شاطي الفرات، لمّا امتنعت من ورود الماء وسألها عن سبب الامتناع، قالت: هذه المشرعة يقتل عليها الحسين عليه السلام، فنحن لانشرب منها مواساة له[(٢)].

وقد روي امتناع بعض الأئمّة من شرب الماء يوم عاشوراء مواساة للحسين عليه السلام[(٣)].

---

(١) روى ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ١٣٧ حديث ١٦١ بسنده عن محمّد بن سنان، عمّن ذكره، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: إنّ إسماعيل الذي قال اللّه تعالى في كتابه: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾ لم يكن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، بل كان نبيّاً من الأنبياء، بعثه اللّه إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك عن اللّه تبارك وتعالى فقال: إنّ اللّه بعثني إليك فمرني بما شئت.

فقال: لي أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام.

(٢) في بحارالأنوار ٤٤: ٢٤٣ ـ ٢٤٤ حديث ٤٠:

وروي أنّ إسماعيل كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات، فأخبره الراعي أنّها لاتشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربّه عن سبب ذلك، فنزل جبرئيل، وقال: يا إسماعيل، سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك.

فقال لها: لمَ. لا تشربين من هذا الماء؟

فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط محمّد يقتل هنا عطشاناً، فنحن لانشرب من هذه المشرعة حزناً عليه.

فسألها عن قاتله فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين.

فقال إسماعيل: اللّهمّ العن قاتل الحسين عليه السلام.

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ١٤١: وكثير منهم لايشرب الماء ليلتذّ موافقه للحسين لأنّه قتل عطشاناً.

وورد في صومه: «لاتجعله صوم يوم كامل، ولكن أفطر بعد الزوال بساعة على شربة ماء، فعندها تجلّت الهيجاء عن آل الرسول»[(١)].

وكان موسى بن جعفر عليه السلام: «إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان يوم مصيبته وحزنه وبكائه»[(٢)].

فهذه الرموز تشير إلى استحباب مواساة الحسين بتحمّل العطش، وبإدماء الرأس، وبكلّ ما يكون مصداقاً لها سوى القتل.

وإنّما خصّ الرأس بالإدماء؛ لأنّ المواساة لاتصدق الآن عرفاً بإدماء غيره.

وربما يستأنس لهذا بما ورد من التوبيخ على ترك زيارته عند الخوف، بناءً على ما يذهب إليه صاحب الخصائص الحسينية من شمول الخوف فيه لما

---

(١) وهي رواية عبدالله بن سنان، أخرجها الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد: ٧٢٤، وعنه في وسائل الشيعة ١٠: ٤٥٨ ـ ٤٥٩ حديث٧، باب٢١ من أبواب الصوم المندوب «عدم جواز صوم التاسع والعاشر من المحرّم على وجه التبرك»، وفيها: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام يوم عاشوراء ودموعه تنحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: ممّ بكاؤك؟

فقال: أفي غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم؟!

فقلت: ما قولك في صومه؟

فقال لي: صمه من غير تبييت وافطره من غير تشميت، ولا تجعله صوم يوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله».

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ١١١ حديث ٢، وعنه في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٤ ـ ٥٠٥ حديث ٨ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «استحباب البكاء لقتل الحسين...».

عدا تلف النفس من الجروح والأضرار البدنيّة حتى مع عدم ظنّ سلامة النفس، مدّعياً أنّ ذلك من خصائصه كالجهاد معه يوم عاشوراء(١).

وبناءً على التعدّي عن موردها إلى غيره ممّا يتعلّق بالحسينعليه السلام؛ لاتّحاد الطريق في الجميع، أو لإفهام التعميم من نحو قولهعليه السلام في بعض تلك الأخبار: «ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف»(٢).

وقوله: «أما تحبّ أن يراك اللّه فينا خائفاً»(٣) ؟

---

(١) الخصائص الحسينية: ٢٧٥.

(٢) روى الشيخ ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ٢٤٤ ـ ٢٤٥ بسنده عن محمّد بن مسلم أنّه قال:

قال لي أبو جعفر محمّد بن علىعليه السلام: «هل تأتي قبر الحسينعليه السلام»؟

قلت: نعم، على خوف ووجل.

فقال: ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه أمّن اللّه روعته يوم القيامة، يوم يقوم الناس لربّ العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلّمت عليه الملائكة وزاره النبيصلى الله عليه وآله ودعا له، وانقلب بنعمة من اللّه وفضل لم يمسسه سوء واتبع رضوان الله.

(٣) روى الشيخ ابن قولويه القميّ في كامل الزيارات: ٢٤٣ حديث ٣٦٠ بسنده عن ابن بكير عن الإمام الصادقعليه السلام، قال: قلت له: إني أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتّى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح.

فقال: «يابن بكير أما تحبّ أن يراك اللّه فينا خائفاً؟ أما تعلم أنّه من خاف لخوفنا أظلّه اللّه في ظلّ عرشه، وكان محدّثه الحسينعليه السلام تحت العرش، وآمنه اللّه من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع وقّرته الملائكة وسكّنت قلبه بالبشارة».

قوله: «وما من سيرة يستند إليها فيها» إلى آخر كلامه.

أقول: إنّ مرجع الضمائر من قوله: «تجويزها» و«فيه» إلى لفظ «جهتها»، مجهول ليس لديّ فقط، بل لدى كلّ عارف بالتعبير العربي، وهذه المجهوليّة هي السبب للتردّد في السيرة التي ينكرها، أهي السيرة على ضرب السيوف والقامات، أو على جميع ما أنكر مشروعيّته حتى خروج المواكب والشبيه الذي نسب الفرقة في علمه –صدر رسالته – إلى الإبداع في المذهب؟

والظاهر إنّه يريد هذا بقرينة قوله: «أفعال وحشيّة»، وقوله: «ولو صرف المال» إلى آخر الكلام؛ لأنّ ضرب السيوف لايكلّف من المصرف مقدار نصف العشر من مصرف مأتم واحد، فكيف بزيادة مأتمين، ولكنّه لمّا كان يعلم وجود السيرة في الجملة، ويعرف أنّ في ارتكاب خلافها تضليل السلف وادّعاء عدم نفوذ الكلمة منهم، أدمج مراده بلا إفصاح.

والذي أراه وأعتقده أنّ السيّد المذكور ينكر قدم السيرة بحيث تتصل بزمن المعصومين، لا أنّه ينكر وجودها وقدمها في الجملة، ولكنّه لا يعلم أنّ ذلك التقدّم ممّا لا حاجة إليه، لما أسلفناه من أنّ ما ليس بقديم بشخصه إذا كان مندرجاً تحت عنوان كلّي راجح كفى في رجحانه انطباق ذلك العنوان عليه وإن كانت مصداقيّته له حادثه.

وهذا ما عبّرنا عنه سابقاً بكونه مأموراً به بسنخه[1]، فإنّ المراد منه ما كان مشروعاً بعنوانه العام في قبال ما كان مشروعاً بخصوصه، وأدنى ما ينطبق على

---

(١) تقدّم في الصفحة: ٣٤٢.

الشبيه والمواكب بأنواعها: ذكر مصاب الحسينعليه السلام، الإبكاء عليه، إحياء أمره، الحزن لأجله، وغير ذلك من العناوين العامّة التي ثبت رجحانها بالأدلّة الخاصة.

إنّ الحزن أمر قلبيّ نفسيّ، وله مظاهر هي المندوب إليها حقيقةً،ولا ريب في أنّه لم ترد له من الشرع كيفيّة خاصة بحيث يقتصر عليها في مقام إظهار الحزن، كما أنّه لاريب أيضاً في أنّ مظاهره تختلف باختلاف أطوار الأمم وعاداتها وباختلاف الأحوال والأزمان.

وكذلك البكاء والإبكاء المندوب إليهما لهما أسباب ووسائل كثيرة لاتقع تحت الحصر، وليس في شيء من أخبارنا شيء يشير إلى قصرها على وسائل خاصة بحيث لا يتعدّى عنها في مقام إرادة البكاء والإبكاء.

وإذا كانت المواكب بجميع أنواعها في زماننا من مظاهر الحزن، والتشبيهات بجميع أفرادها من وسائل الإبكاء، والجميع ذكرى لمصائبهم، وإحياء لأمرهم، وصلة وإسعاداً لهم، وأداء لحقّهم، فبأيّ صنعة أو صيغة علميّة يتجرّأ أحد من الجعفريّة أن يقول: إنّها لا دليل شرعي على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشيّة[(١)]؟!

إن كان صاحب الرسالة يطلب اتّصال السيرة بالصدر الأوّل، لزمه أن يبطل لطم الصدور في الدور؛ لأنّه حادث، وكذا لبس الثياب السود وإلباس الجدران بالسواد، ويبطل النار والرايات والأعلام، وكشف الرؤوس وصرف

---

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٨١.

الأموال وو و؛ لأنّها أمور لم تكن في زمن الأئمّة، ولا حاجة له على هذا في تحريم خروج مواكب اللطم إلى وقوع الفتن فيها، بل يكفي في ذلك حدوثها.

نظرة في التاريخ

أنا الآن أذكر لك نبذة تاريخيّة تعرف منها الزمن الذي ظهرت فيه المآتم بلا اتّقاء وحدثت فيه المواكب والتمثيل بنفوذ ملوك الجعفريّة وعلمائهم.

فبالرغم من حثّ الأئمّة عليهم السلام على التذكارات الحسينيّة، ما كان ينعقد فيها من المآتم إلّا نحو ما كانوا يعقدونه في دورهم، يحضره - لضرب من الاتّفاق - مثل أبي هارون المكفوف[1].

---

(١) روى ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ٢٠٨ حديث ٢٩٧ بسنده عن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا هارون، أنشدني في الحسين عليه السلام».

قال: فأنشدته، فبكى.

فقال: «أنشدني كما تنشدون» يعني بالرقّة.

قال: فأنشدته:

أمرر على جدث الحسين ... فقل لأعظمه الزكيّة

قال: فبكى، ثمّ قال: «زدني».

قال: فأنشدته القصيدة الأخرى.

قال: فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلمّا فرغت قال لي:

«يا أبا هارون، من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشراً كتبت له الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت لهما الجنّة، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على اللّه ولم يرض له بدون الجنّة».

⇦

وأبي عمارة المنشد[1] وجعفر بن عفان[2] وأضرابهم؛ لأنّ بني أُميّة

⇨

وروى أيضاً بسند آخر في كامل الزيارات: ٢١٠ حديث ٣٠١ عن أبي هارون المكفوف، قال: دخلت على أبي عبد اللّه عليه السلام، فقال لي: «أنشدني» فأنشدته.

فقال: «لا كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره».

قال: فأنشدته:

أمــرر علــى جــدث الحســين فقــل لأعظمــه الزكيّــة

قال: فلمّا بكى أمسكت أنا، فقال: «مر»، فمررت، قال: ثمّ قال: «زدني، زدني»، قال: فأنشدته:

يــا مــريم قــومي فانــدبي مــولاك وعلــى الحســين فأسـعدي ببكــاك

قال: فبكى وتهايج النساء، قال: فلمّا أن سكتن قال لي: «يا أبا هارون، من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنّة».

(١) روى ابن قولويه القمّي في كامل الزيارات: ٢٠٨ ـ ٢٠٩ حديث ٢٩٨ بسنده عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال لي: «يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين عليه السلام».

قال: فأنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، ثمّ أنشدته فبكى، قال: فواللّه ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار، فقال لي:

«يا أبا عمارة، من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى خمسين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى أربعين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى واحداً فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنّة».

(٢) في رجال الكشيّ: ٢٨٩ رقم ٥٠٨ بسنده عن زيد الشحّام، قال كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام، ونحن جماعة من الكوفيّين، فدخل جعفر بن عفّان على أبي عبدالله عليه السلام فقرّبه وأدناه، ثمّ قال: «يا جعفر».

⇦

تمنع الشعراء أن ترثي الحسينعليه السلام، بل تمنع أن يُرثى من قتل في سبيل الأخذ بثأره كالتوّابين.

و أمّا آل العبّاس فلم يكونوا أقلّ تشدّداً من بني أميّة في الضغط على العلويين وإيذاء من ينسب إليهم، مدّة خلافتهم، عدا أيّام نزره في الفترة بين الدولتين وفي أيام المأمون العبّاسي حين يجاهر الصولي[١] بقصيدته المستورة التي أوّلها:

⇨

قال: لبيك جعلني اللّه فداك.

قال: «بلغني أنّك تقول الشعر في الحسينعليه السلام وتجيد».

فقال له: نعم جعلني الله فداك.

فقال: «قل».

فأنشده عليه السلام ومن حوله حتى صارت له الدموع على وجهه ولحيته، ثمّ قال: «يا جعفر، والله لقد شهدك ملائكة الله المقرّبون ها هنا يسمعون قولك في الحسينعليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته الجنة بأسرها وغفرالله لك»، فقال: «يا جعفر، ألا أزيدك»!

قال: نعم يا سيّدي.

قال: «ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلّا أوجب الله له الجنة وغفر له».

(١) ذكره أبوالفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ١٠: ٢٧١ ـ ٢٩١ وترجم له ترجمة مفصّلة، وذكر أشعاره، قال: «إبراهيم بن العبّاس بن محمّد بن صول وكان صول، رجلاً من الأتراك، ففتح المهلّب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد».

ثمّ قال: «و أمّا إبراهيم بن العبّاس وأخوه عبداللّه فإنّهما كانا من وجوه الكتّاب، وكان عبد الله أسنّهما وأشدّهما تقدّماً، وكان إبراهيم آدبهما وأحسنهما شعراً».

⇦

أزالـت عـزاء القلـب بعـد التجلّـد   مصـــارع أبنـــاء النبـــي محمّـــد[(١)]

⇨

وذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦: ١١٥، قائلاً: «أصله من خراسان، وكان كاتباً من أشعر الكتاب، وأرقّهم لساناً، وأيدهم قولاً، وله ديوان شعر مشهور». ثمّ قال: وقد روى له إبراهيم بن العبّاس عن علي بن موسى الرضا، وتوفّي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين».

وذكره أيضاً ابن خلكان في وفيات الأعيان ١: ٦٩، قائلاً: «الشاعر المشهور، كان أحد الشعراء المجيدين، وله ديوان شعر كلّه نُخَبٌ وهو صغير». ثمّ قال: «وهو ابن أخت العبّاس بن الأحنف الحنفي الشاعر المشهور» ثمّ قال: «قال دعبل بن علي الخزاعي: لو تكسّب إبراهيم بن العبّاس بالشعر لَتَرَكَنَا في غير شيء».

(١) في الأغاني ١٠: ٢٧٧: «إنّ إبراهيم بن العبّاس الصولي دخل على الرضا لمّا عقد له المأمون ولاية العهد، فأنشده قوله:

أزالت عزاء القلب بعد التجلّد   مصارع أولاد النبيّ محمّد

فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه، فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مهور نسائه، وخلّف بعضهما لكفنه وجهازه إلى قبره.

وفي عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ٢: ١٥٣ ـ ١٥٤ روى الشيخ الصدوق بسنده عن هارون بن عبد اللّه المهلّبي، قال: لمّا وصل إبراهيم بن العبّاس ودعبل بن علي الخزاعي إلى الرضا عليه السلام ـ وقد بويع له بالعهد ـ أنشد دعبل:

مدارس آيات خلت من تلاوة   و منزل وحي مقفر العرصات

و أنشده إبراهيم بن العبّاس:

أزالت عناء القلب بعد التجلّد   مصارع أولاد النبيّ محمّد

فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه، كان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت. قال: فأمّا دعبل فصار بالعشرة آلاف التي حصّته إلى قوم، فباع كلّ درهم بعشرة دراهم، فتخلّصت له مائة ألف درهم، وأمّا ابراهيم فلم تزل عنده بعد أن أهدى بعضهما وفرّق بعضها على أهله إلى أن توفّي رحمه اللّه وكان كفنه وجهازه منها».

ويقوم الخزاعي[١] منشداً بحضرة المأمون قصيدته المشهورة التي منها:

---

(١) هو أبو علي، وقيل: أبوجعفر، دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، وقيل: إنّ دعبلاً لقبه واسمه الحسن، وقيل: عبدالرحمن، وقيل: محمّد.

شاعر مطبوع مفلّق، من أهل الكوفة، ولد فيها سنة ١٤٨ هـ وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلدان كدمشق ومصر وخراسان.

كان متفانياً في حبّ أهل البيت عليهم السلام، وهو الذي يقول ـ كما في الأغاني ٢٠: ١٣٣ ـ : حملت خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحداً يصلبني عليها.

أخذ الشعر عن أستاذه صريع الغواني مسلم بن الوليد واستقى من بحره، وله عدّة مؤلّفات، منها: كتاب الواحدة (في مناقب العرب ومثالبها)، وكتاب طبقات الشعراء، وله ديوان شعر مجموع.

انظر: شذرات الذهب ٢: ١١، تاريخ بغداد ٨: ٣٨٢، وفيات الأعيان ٢: ٢٦٦، لسان الميزان ٢: ٤٣٠، معجم الأدباء ١١: ٩٩، الغدير ٢: ٣٦٣.

وذكر النجاشي في رجاله ١: ٣٧١ عن ابن أخيه أنّه رأى الإمام الكاظم عليه السلام، ولقي الإمام الرضا عليه السلام.

وعدّه ابن شهرآشوب في المعالم: ١٣٩: من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام.

وذكره العلاّمة الحلّي وابن داود في القسم الأوّل من رجاليهما.

الخلاصة: ٧٠، رجال ابن داود: ١٤٧.

أمّا وفاته فقد ورد في المصادر أنّه قتل وهو شيخ كبير في سنة ٢٤٦ هـ بعد أن عاش سبعاً وتسعين سنة وعدّة شهور من السنة الثامنة، وسبب قتله أنّ مالك بن طوق بعث رجلاً ليقتله وأعطاه عشرة آلاف درهم، فلحقه إلى الأهواز وقتله هناك.

⇦

مـدارس آيـات خلَـتْ مـن تـلاوة   و منـزل وحـي مقفـر العرصـات[(١)]

⇨

انظر: ميزان الاعتدال ٢: ٢٧ رقم ٦٧٣، تنقيح المقال ١: ٤١٧، الغدير ٢: ٣٨٥.

(١) جزء من قصيدة شعرية تائية رائعة، قالها دعبل الخزاعي في أهل البيت(عليهم السلام)، وأنشدها أوّل مرّة بحضور الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، بعد أن بويع بولاية العهد في زمن المأمون.

وتعتبر هذه القصيدة من أحسن الشعر وأسنى المدائح المقولة في أهل البيت(عليهم السلام).

وقد ذكر العلاّمة الأميني في الغدير ٢: ٢٤٩ أنّ عدد أبياتها هو مائة وواحد وعشرون بيتاً، والموجود في ديوانه المطبوع: ١٢٤ – ١٢٥ مائة وخمسة عشر بيتاً فقط .

علماً بأنّ كثيراً من المصادر لم تذكر القصيدة كاملة، بل من البيت الثلاثين منها: (مدارس آيات...) ؛ لأنّ دعبل أنشدها الإمام الرضا عليه السلام من هذا البيت، ولم ينشدها من أوّلها، والذي هو في التشبيب والغزل.

قال ابن شهر آشوب في المناقب ٢: ٢٩٤: قيل لدعبل: لم بدأت بـ(مدارس آيات...)؟ قال: استحييت من الإمام أن أنشده التشبيب فأنشدته المناقب.

وقد وصف الكثير من الموسوعات التاريخية والأدبية كيفية إنشادها، وما حصل للإمام عليه السلام حين سماعها، وما جري لدعبل بعد ذلك من أحداث..

قال الأصفهاني في الأغاني ٢٠: ١٦٢ ـ ١٦٣: قال دعبل: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان، فقال لي: «أنشدني شيئاً ممّا أحدثت»، فأنشدته: (مدارس آيات...) حتّى انتهيت إلى قولي:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم   أكفّاً عن الأوتار منقبضات

فبكى الإمام حتّى أغمي عليه، وأومأ إليّ خادم كان على رأسه: أن اسكت. فسكتّ ساعة...

ثمّ قال لي: «أعد». فأعدت حتّى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأولى، وأومأ الخادم إليّ: أن اسكت. فسكت، ومكثت ساعة أخرى...

⇦

⇨

ثمّ قال لي: «أعد». فأعدت حتّى انتهيت إلى آخرها.

فقال لي: «أحسنت» ثلاث مرّات.

ثمّ أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضرب باسمه، ولم تكن دفعت إلى أحد بعد، وأمر لي من في منزله بحليّ كثير أخرجه إليّ الخادم، فقدمت العراق فبعت كلّ درهم منها بعشرة دراهم اشتراها منّي الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم.

قال ابن مهرويه: وحدّثني حذيفة بن محمّد: أنّ دعبلاً قال له: إنّه استوهب من الرضا عليه السلام ثوباً قد لبسه؛ ليجعله في أكفانه، فخلع جبّة كانت عليه فأعطاه إيّاها.

فبلغ أهل قم خبرها، فسألوه أن يبيعهم إيّاها بثلاثين ألف درهم، فلم يفعل، فخرجوا عليه في الطريق فأخذوها منه غصباً، وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلّا فأنت أعلم.

فقال لهم: إنّي والله لا أعطيكم إيّاها طوعاً، ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرضا عليه السلام.

فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين ألف درهم وفرد كمّ من بطانتها، فرضي بذلك، فأعطوه فرد كمّ، فكان في أكفانه.

وكتب قصيدة: (مدارس آيات...) في ما يقال على ثوب وأحرم فيه، وأمر بأن يكون في أكفانه.

وفي مكان آخر من الأغاني ٢٠: ١٥٥، قال: قال دعبل: لمّا هربتُ من الخليفة، بتُّ ليلة بنيسابور وحدي، وعزمتُ على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، فإنّي لفي ذلك سمعتُ - والباب مردود عليّ - : السلام عليكم ورحمة الله، أُنج يرحمك الله.

فاقشعرّ بدني من ذلك ونالني أمر عظيم.

فقال لي: لا تجزع عافاك الله، فإنّي رجل من إخوانك من الجنّ، من ساكني اليمن، طرأ إلينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك: (مدارسُ آيات...) فأحببتُ أن أسمعها منك.

قال: فانشدته إيّاها، فبكى حتّى خرّ.

ثمّ قال: رحمك الله، ألا أُحدّثك حديثاً يزيد في نيّتك ويعينك على التمسّك بمذهبك؟

قلت: بلى.

⇦

⇨
قال: مكثتُ حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمّدعليه السلام، فصرتُ إلى المدينة فسمعته يقول:

«حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، أنّ رسول الله قال: علي وشيعته هم الفائزون».

ثمّ ودّعني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل.

قال: أنا ظبيان بن عامر.

وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١١: ١٠٣ - بعد أن ذكر قريباً ممّا في الأغاني - :

كتب دعبل القصيدة في ثوب وأحرم فيه، وأوصى بأن يكون في أكفانه.

وحكى العلاّمة الأميني في الغدير ٢: ٣٥٢ عن الحافظ ابن عساكر في تاريخه قوله: إنّ المأمون لمّا ثبتت قدمه في الخلافة وضرب الدنانير باسمه، أقبل يجمع الآثار في فضائل آل الرسول، فتناهى إليه - في ما تناهى - من فضائلهم قول دعبل: (مدارسُ آيات...) فما زالت تردّد في صدر المأمون حتّى قدم عليه دعبل، فقال له: أنشدني قصيدتك التائية ولا بأس عليك، ولك الأمان من كلّ شيء فيها، فإنّي أعرفها وقد رويتها، إلّا أنّي أحبّ أن أسمعها من فيك.

قال: فأنشدته حتّى صرتُ إلى هذا الموضع:

ألم تر أنّي مذ ثلاثين حجّة ... أروح وأغدو دائم الحسراتِ

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً ... وأيديهُمُ من فيئهم صفراتِ

فآلَ رسول الله نحف جُسومُهُم ... وآل زياد غُلّظُ القصراتِ

بناتُ زياد في القُصُور مصُونةٌ ... وبنتُ رسول الله في الفلواتِ

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم ... أكفّاً عن الأوتار منقبضاتِ

فلولا الذي أرجُوهُ في يوم أو غدِ ... تقطّع نفسي إثرهم حَسَراتِ

فبكى المأمون حتّى اخضلّت لحيته وجرت دموعه على نحره.

⇦

⇨

وفي عيون أخبار الإمام الرضاعليه السلام ٢: ٢٦٣ عن شيخ الإسلام أبي إسحاق الحموي، عن أحمد بن زياد، عن دعبل، قال: أنشدتُ قصيدة لمولاي علي الرضاعليه السلام (مدارسُ آيات...) فلمّا وصلت إلى:

وقبـــرٌ ببغـــداد لـــنفس زكيّـــة   تَضـــمّنها الـــرحمن فـــي الغُرُفـــاتِ

قال لي الرضاعليه السلام: «أفلا أُلحق بيتين بقصيدتك»؟!

قلت: بلى يابن رسول الله.

فقال:

وقبـــرٌ بطـــوُس يـــا لهـــا مـــن مُصـــيبة   ألحّـــت بهـــا الأحشـــاء بـــالزفراتِ

إلـــى الحشـــر حتّـــى يبعـــثُ الله قائمـــاً   يُفـــرّجُ عنّـــا الهـــمّ والكرُبـــاتِ

قال دعبل: ثمّ قرأت باقي القصيدة، فلمّا انتهيت إلى قولي:

خُـــروُجُ إمـــام لا محالـــة واقـــعٌ   يقـــومُ علـــى اســـم الله بالبركـــاتِ

بكى الرضا بكاءً شديداً، ثمّ قال: «يا دعبل، نطق روح القدس بلسانك، أتعرف من هذا الإمام»؟!

قلت: لا، إلّا أنّي سمعتُ بخروج إمام منكم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

فقال: «إنّ الإمام بعدي محمّد، وبعد محمّد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، وهو المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. أمّا متى يقوم فإخبارٌ عن الوقت، لقد حدّثني أبي عن آبائه عن رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال: مَثَلَهُ كَمَثَل الساعةِ لا تأتَيكُم إلّا بَغْتةً».

ونذكر هنا عدّة أبيات من هذه القصيدة الرائعة، مع ترقيم كلّ بيت حسب التسلسل الوارد في ديوانه:

(١) تجـــاوبنَ بالإرنـــانِ والزّفـــراتِ   نـــوائحُ عُجـــمُ اللّفـــظِ والنَطقـــاتِ

⇦



(٢) يُخبّرن بالأنفاس عن سرّ أنفُس أُسارى هوىً ماضٍ وآخرَ آتِ
(٣) فأسعدنَ أو أسعفنَ حتّى تَقوضت صفوفُ الدُجى بالفجرِ منهزماتِ
(٤) على العرصات الخاليات من المها سلامُ شجٍ صبّ على العرصاتِ
(١٨) رزايا أرتنا خُضرة الأفق حمرةً وردّت أُجاجاً طعم كُلّ فراتِ
(١٩) وما سَهّلت تلك المذاهبُ فيهم على الناس إلّا بيعة الفلتاتِ
(٢٠) وما نالَ أصحابُ السَقيفةِ إمرةً بدعوى تُراث بل بأمرِ تراتِ
(٢١) ولو قلّدوا المُوصى إليه زمامها لزُمّت بمأمون من العثراتِ
(٣٠) مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومُنزلُ وحي مقفرُ العرصاتِ
(٣١) لآلِ رسول الله بالخيفِ من مِنى وبالرّكن والتعريف والجمراتِ
(٣٢) ديارُ علي والحسينَ وجَعفر وحمزةَ والسجّاد ذي الثفناتِ
(٥٣) أفاطُم لو خلتِ الحسينَ مُجدّلاً وقد ماتَ عَطشاناً بشطّ فُراتِ
(٥٤) إذن للطمَتِ الخدَّ فاطمُ عندهُ وأجريتِ دمعَ العين في الوَجناتِ
(٥٥) أفاطمُ قُومي يا بنةَ الخير وأندبي نجومَ سماوات بأرض فلاةِ
(٥٦) قُبورٌ بكوفان وأُخرى بطيبةٍ وأُخرى بفخ نالها صلَواتي
(٥٧) وقبرٌ بأرض الجَوزجان محلّه وقبرٌ بباخمرا لدى الغُبراتِ
(٥٨) وقبرٌ ببغداد لنفس زكية تضمّنها الرحمن في الغُرُفاتِ

ثمّ اشتد الأمر بعده وبلغ غايته في أيام المتوكّل ومن بعده، إلى أن تضاءل ملكهم وضعفت قواهم، وذلك من بعد الغيبة الصغرى بزمن غير قصير، حتّى تولّى عزل الخلفاء ونصبهم أمراء الجند، وهم ـ على الأغلب ـ غلمانهم، وابتدأ من ذلك الوقت حكم ملوك الطوائف ومنهم البويهيّون.

لمّا قامت الدولة البويهيّة في جبال الديلم وثبّتت دعائمها، أسّس معزّ الدولة أحمد بن بويه إقامة العزاء علناً يوم عاشوراء في زمن المستكفي باللّه سنة ٣٥٢ هـ وبنى الدور الخاصة بإقامة المآتم (الحسينيّات)، وبقي ذلك متداولاً في أيامه، وعضده بعده عضد الدولة الحسن بن بويه، وهو الذي بنى القبّة المرتضويّة بعد البناء الهاروني والقبة الحسينية لأوّل مرّة، ودفن في النجف.

وما زال الأمر على ذلك في العراق وفي جبال الديلم مدّة تلك الدولة بفضل اعتقاد ملوكها وتدبير من وزرائها مثل الصاحب بن عبّاد، وأعان على ذلك شدّة وطأة الملوك العلويّة الإسماعيليّة بالمغرب ومصر، الذين جعلوا يوم عاشوراء - في كلّ مكان لهم سلطان عليه ـ يوم حزن تتعطّل فيه الأسواق وتترك فيه الزينة وتقام فيه مآتم العزاء لسيّد الشهداء، في مدّة تزيد على مائتي عام.

وكان البذر الذي ألقته الأئمّة عليهم السلام في قلوب الشيعة ما اخضر نباته إلّا يومئذ، وما زال ينمو غراسه ويتأصّل في القلوب شيئاً فشيئا، حتى في زمن ملوك المغول المتوحّشين، الذين أكثروا من القتل في الأرض نحو هولاكوخان، والسلطان محمّد خدا بنده الذي تمّت مآتم على يده لعلماء الشيعة الذين كانت الحلّة السيفيّة مغرسهم، وذلك في حدود سنة ٧٠٠هـ.

والخلافة العباسية منقرضة يومئذ، وكانت من قبل ذلك في مدّة أربعمائة عام تقريباً اسميّة فقط، وما كانت التذكارات الحسينيّة حينئذ إلّا مآتم يقرأ فيها نحو كتاب المقتل، تأليف أبي مخنف، وهو من أكابر المحدّثين الذين تلقّى منه ابن جرير الطبري وغيره مقتل الحسين، أو كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، أو كتاب اللهوف لابن طاووس، وبضع قصائد انفرد الشعراء من أهل الحلّة خاصة بإنشائها ولم تعرف لغيرهم يومئذ قصيدة قط.

حتى إذا تسنّم عرش الملك (ملوك الصفويّة)، وهم علويّون موسويّون، تفنّنوا بإظهار ضروب الحزن على جدّهم الأعلى الحسين بن علي عليهما السلام فأحدثوا تمثيل فاجعته لعيون الملأ في يوم عاشوراء بأمر وإشارة وبتقرير وإمضاء من العلاّمة الفاضل المجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار أعلى الله درجته، وذلك بعد الألف من الهجرة في أواسط المائة الحادية عشر زمن السلطان الحسين بن سليمان الصفوي.

والتمثيل يومئذ في دور نشأته حتى بلغ إلى ما هو عليه الآن، وقد أتى عليه إلى هذه الأيام نحو ثلاث مائة سنة، وهو يقام في بلدان الشيعة بمرأى علمائهم ومسمع من دون إنكار منهم، فكأنّهم لعدم نفوذهم - ولا أقول لجهلهم - تركوا الإنكار إلى الزمن الذي ينفرد به حضرة السيّد[1] في البصرة والكويت!! فينكر ما جرت عليه سيرة الشيعة وأيّدته علماؤها وانطبقت عليه من العناوين الراجحة التي تضمّنتها أخبار الأئمّة الأطهار ما لا يحصى كثرة.

---

(١) السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨ هـ) صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:١٦٥.

أنا لا أبخس هذا الرجل حقّه من الفضل في بعض النقليات، لكنّه لم يخلق للإفتاء، ولا للخوض في الفنون الدقيقة والأسرار الغامضة، والمرء ميسّر لما خلق له(١)، وهذا عذره عندي في ما ارتبك فيه، وهو عذري عنده فيما ارتكبته في هذه الرسالة.

لقد مرّ زمن – وهو أوائل المائة الثانية عشر ـ والمبرّز بالعلم والفضل والورع في إيران وخاصة بالري وقم الميرزا أبوالقاسم القمّي(٢).

وفي أصفهان وفارس وبلاد الجبل الإمام الشفتي السيّد محمّد باقر الرشتي(٣) صاحب كتاب مطالع الأنوار.

---

(١) قال النبي ﷺ: «كلّ ميسّر لما خلق». صحيح البخاري ٨: ٢١٥ كتاب التوحيد، صحيح مسلم ٨: ٤٨ باب كيفية خلق الآدمي، سنن أبي داود ٢: ٤١٥ باب القدر، سنن الترمذي ٤: ٣٥٢ باب من سورة هود، مسند أحمد بن حنبل ١: ٦.

(٢) الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمّد حسن الشّفتي الجيلاني القمي، اشتهر بالميرزا القمّي لتوطنه بها. كان رحمه الله علماً من أعلام الشيعة الإماميّة وفقهائها، محقّقاً متقناً متّقياً، تقيّاً ورعاً ثقة عدلاً، ويدلّ على فضله وتحقيقه كتابه «القوانين» . حضر على أساتذة عصره، وتخرج من عالي دروسه الكثير من العلماء والفضلاء. له عدّة مؤلّفات – إضافة للقوانين – منها: الغنائم، والمنهاج، ومرشد العوام، والإرث، وأرجوزة في المعاني والبيان. توفّي في قم سنة ١٣٣١هـ.

انظر: معارف الرجال ١: ٤٩.

(٣) السيّد محمّد باقر ابن السيّد محمّد تقي، المشهور بحجّة الاسلام الرشتي الأصفهاني، يرجع نسبه إلى الإمام الكاظم عليه السلام، كان رحمه الله عالماً محقّقاً، وعلماً من أعلام الشيعة، وحصناً من حصون الشريعة، عاملاً بعلمه زعيماً دينياً ثقة ورعاً أميناً، اتّفق له من بسط اليد والنفوذ مالا يتّفق لأحد من العلماء والزعماء من أساتذته العظام، فكان يأمر بالمعروف ⇦

وفي العراق بل وإيران وأكثر البلدان الشيخ جعفر النجفي كاشف الغطاء[١].

⇦
وينهى عن المنكر ويقيم الحدود الشرعية بما أمر الله تعالى شأنه به، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم ولا عاذل، وقد يقيم الحدّ بنفسه من تعزير وشبهه. حضر على فضلاء عصره كالسيّد محمّد باقر البهبهاني، والسيّد علي صاحب الرياض، والسيّد محمّد مهدي بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيّد محسن الأعرجي، والميرزا أبي القاسم القمي. وتخرّج من عالي دروسه جمّ غفير من الفضلاء وخلّف مجموعة من المؤلّفات - إضافة لمطالع الأنوار - منها: كتاب القضاء والشهادات، الزهرة الباهرة في الأصول، وجوابات المسائل، وله رسائل عديدة، توفّي رحمه الله في أصفهان سنة ١٣٦٠هـ .

انظر: معارف الرجال ٢: ١٩٥.

(١) الشيخ الأكبر الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر ابن الشيخ يحيى الجناجي النجفي، شيخ الطائفة في عصره عند الإمامية في الأقطار الإسلامية عامّة والعراق وإيران خاصّة، العلم الذي استظلّ به المسلمون في أمر الدين والدنيا والفتاوى. كان من العلم والتقوى والصلاح والزهد والعبادة والورع بمكان عظيم وله مع ملوك عصره من المسلمين في العراق وإيران مواقف مشهودة. كان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله مواقف مشهورة في إنكار المنكرات ومنع بيع الخمور وعمله. حضر على أساتذة عصره كالشيخ محمّد مهدي الفتّوني العاملي،الشيخ محمّد تقي الدورقي، والسيّد صادق الفحّام والوحيد البهبهاني، وتخرّج من عالي دروسه جماعة كبيرة من العلماء، وخلّف عدّة مؤلفات منها: كشف الغطاء، وكتاب الطهارة، وبغية الطالب، والقواعد الجعفرية، والحقّ المبين، وغاية المأمول في علم الأصول: توفّي رحمه اللّه سنة ١٢٢٧ هـ في مدينة النجف الأشرف ودفن بها.

انظر: معارف الرجال ١: ١٥٠.

وهؤلاء في الاشتهار ونفوذ الكلمة بمنزلة لاتوصف، ومع اجتماعهم في الزمن وشدّة النفوذ منهم كان التمثيل يقع بمرئى منهم ومسمع ولا منكر منهم.

نعم صرّح كاشف الغطاء بأنّ الأولى ترك تشبيه الرؤوس وتشبيه النساء في محافل الرجال فحسب[١].

أترى كاشف الغطاء والسيّد الرشتي المذكور يمضيان ذلك ويمنعه أستاذهما بحر العلوم الطباطبائي أو أستاذه الوحيد البهبهاني أستاذ الكلّ، أو العلاّمة المجلسي؟!

كلاّ ثمّ كلاّ.

إنّ السيّد محمّد باقر المذكور كان ـ لنفوذ كلمته ـ يقتل القاتل، ويقطع يد السارق، ويرجم الزاني ويقيم سائر الحدود. وهو أوّل من أحرز لقب حجّة الاسلام في الشيعة، ومع ذلك لم ينكر ما يصنع في إيران من الأعمال الحسينيّة، وهي في جميع ذلك القطر الواسع تقع بنحو لايكون ما يقع في العراق كلّه إلّا جزء من مائة جزء منه أو أقل.

---

(١) انظر: كشف الغطاء ١: ٥٤.

النجف وعمل الشبيه

تمتاز النجف ـ وهي مغرس علماء الشيعة ـ بعمل الشبيه عن جميع البلدان العراقيّة، وذلك أنّه كان في النجف ميدان واسع طولاً وعرضاً، لو اجتمع فيه أهل البلدة جميعاً يومئذ لوسعهم، قد أكلته العمارة اليوم ولم يبق منه إلّا خطّ طوليّ وهو شارع محدود.

كان هذا الميدان ـ من أزمنة قديمة ـ محلاًّ لإقامة الشبيه في عشرة أيام من شهر المحرّم، ويقوم بتمثيل واقعة الطفّ جماعة كثيرة من أهل المعرفة، فيمثّلون كلّ يوم نبذة ممتعة من تلك الواقعة، إلى اليوم العاشر.

ودام هذا إلى أيام المحقّق الشيخ مرتضى الأنصاري[1]، والسيّد علي

---

(١) الشيخ مرتضى ابن الشيخ محمّد أمين الأنصاري التستري النجفي، كان رحمه الله فقيهاً أصولياً متبحراً في الأصول، لم يسمح الدهر بمثلة، كان أهل زمانه يضربون به المثل في زهده وتقواه وعبادته وقداسته. حضر على أعلام عصره كالسيّد محمّد المجاهد وشريف العلماء والشيخ موسى ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثمّ استقلّ بالتدريس، وأطبقت الشيعة الإمامية على تقليده في شرق الأرض وغربها، ألّف عدّة كتب منها: المكاسب، كتاب الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، الخمس، الفرائد في علم الأصول، أصول الفقه. مات رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٢٨١ هـ.

⇦

آل بحر العلوم[1]، وسائر السلف الصالح من آل كاشف الغطاء وصاحب الجواهر، حتّى أوائل أيام الرئاسة الكبرى للسيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي[2] نزيل سامراء.

ثمّ ترك هذا التمثيل لتعمير الحكومة قسماً كبيراً من ذلك الميدان، ولغير ذلك، وصار التمثيل ما هو الجاري الآن في أيّامنا هذه.

⇨

انظر: معارف الرجال ٢: ٣٩٩.

(١) السيّد علي ابن السيّد رضا ابن السيّد محمّد مهدي آل بحرالعلوم الطباطبائي النجفي، عالم محقّق وفقيه، برع في فقاهته مع غور واسع في علم الأصول، وكان رحمه الله كثير الجدّ والاشتغال في المسائل الفقهية، تلمّذ على فضلاء عصره كالشيخ علي نجل الشيخ الأكبر كاشف الغطاء، والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر، والشيخ ملاّ مقصود علي، وتخرج من عالي دروسه عدد كبير من الفضلاء، وألّف عدّة كتب منها: البرهان القاطع، كتاب الصوم، المكاسب، توفّي في النجف الأشرف سنة ١٢٩٨ ودفن فيها.

انظر: معارف الرجال ٢: ١٠٧.

(٢) السيّد الميرزا محمّد حسن ابن السيّد ميرزا محمود الشيرازي، كان رحمه الله فقيهاً أصولياً، ورعاً زاهداً، حضر درس الشيخ مرتضى الأنصاري، ثمّ استقلّ بالتدريس، وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء والمجتهدين، هاجر إلى سامراء واستقرّ بها مع جمع غفير من تلامذته، وهو صاحب الفتوى المعروفة بتحريم التنباك، توفّي في سامراء سنة ١٣١٢ هـ ودفن في مقبرته الخاصة في صحن أميرالمؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف.

انظر: معارف الرجال ٢: ٢٣٣.

أمّا مواكب السيوف ولطم الصدور في الطرقات فحدّث عنها ولا حرج، كثرة واستدامة، مع أنّ النجف من بين سائر البلدان ما زالت منقسمة بين فئتين متقابلتين بل فئات كثيرة، وكثيراً ما يحدث العراك فيما بينهم، ولكنّه لم يوجب منع العلماء إياهم من إقامة الشعارات، نعم ربما منعتهم الحكومة محافظة على الأمن العام حتى تتكفّل الرؤساء بعدم حدوث شيء من ذلك.

السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي نزيل سامراء، وهو الذي انتهت إليه رئاسة الإماميّة في عصره في جميع العالم، وعدّ مجدّداً للمذهب الجعفري على رأس القرن الثالث عشر - كما أنّ الوحيد البهبهاني محمّد باقر بن محمّد أكمل مجدّده في القرن الثاني عشر - قد كان أنفذ كلمةً على عموم الشيعة، ملوكها وسوقتها من كلّ سابق ولاحق، وقد يوجد اليوم في كلّ بلدة كثير ممّن يعرف اشتهاره ونفوذه، وكان مع علمه بوقوع الشبيه وخروج المواكب وما يحدث فيها من حوادث، وبضرب القامات والسيوف في بلدان الشيعة في العراق وإيران، وعدم وقوع الإنكار منه أصلاً، تقام جميع الأعمال المشار إليها في سامراء محلّ إقامته نصب عينيه بلا إنكار.

قد يظنّ الظانّ لأوّل وهلة أنه قدّس اللّه سرّه لايرى رجحان ذلك بالنظر إلى حال محيطه؛ لأنّ جميع من في البلدة - عدا النزلاء ـ من غير الفرقة الجعفريّة وفيها أخلاط من غير المسلمين، وفي ذلك مجال الاستهزاء والسخرية.

وقد سألت كثيراً ممّن كان يقطن سامراء في أيامه، فكان أقلّهم مبالغة في تعظيمه لشأن المواكب والشبيه، شيخنا المتقن المتفنّن الشيخ محمّد جواد البلاغي النجفي(١) وعنه أنقل ما يلي:

«كان الشبيه يترتّب يوم العاشر في دار الميرزا قدّس سرّه ثمّ يخرج للملأ مرتباً، وكذلك موكب السيوف، كان أهله يضربون رؤوسهم في داره ثمّ يخرجون، وكانت أثمان أكفانهم تؤخذ منه، وما كان أفراد الشبيه سوى الفضلاء من أهل العلم؛ لعدم معرفة غيرهم بنظمه في قول وفعل.

وأمّا المواكب اللاطمة في الطرقات فكانت تتألف من أهل العلم وغيرهم، وكان السيّد مهدي صاحب الصولة يومئذ أحد الطلبة اللاطمين

---

(١) «الشيخ جواد – محمّد جواد ـ ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب البلاغي، ركن الشيعة وعمادها، وعزّ الشريعة وسنادها، صاحب القلم الذي سبح في بحرالعلوم، الناهل من موارد المعقول والمنقول، كم صحيفة حبّرها وألوكة حرّرها، وهو بما حبّر فضح الحاخام والشماس، وبما حرّر ملك رقّ الرهبان والأقساس، كان مجاهداً بقلمه طيلة عمره، وقد أوقف حياته في الذّب عن الدين ودحض شبه الماديين والطبيعيين، فهو جنّة حصينة ودرع رصينة».

حضر على أعلام عصره كالشيخ محمّد طه نجف، والشيخ آقا رضا الهمداني، والآخوند الخراساني، والميرزا الشيخ محمّد تقي الشيرازي. وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء. له عدّة مؤلّفات منها: الرحلة المدرسية، الهدى إلى دين المصطفى، أنوار الهداية، نصائح الهدى، أعاجيب الأكاذيب، أجوبة مسائل كثيرة، آلاء الرحمن في تفسير القرآن. مات رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٥٢هـ.

انظر: ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦١.

جزء المواكب، متجرّداً من ثيابه إلى وسطه، وهو من دون اللادمين مؤتزر فوق ثيابه بإزار أحمر.

ودام هذا كلّه بجميع ما فيه إلى آخر أيّام خلفه الصالح الورع الميرزا محمّد تقي الشيرازي[١] قدّس سرّه، وكان الشبيه يترتّب أيضاً في داره، ومنه تخرج المواكب وإليه تعود، بيد أنّ موكب السيوف لم يتألف غير مرّة؛ لأنّ القائمين به ـ وهم الأتراك لاغيرهم ـ كانوا يومئذ قليلين ولقلّتهم استحقروا موكبهم فتركوه من تلقاء أنفسهم». انتهى كلامه.

وإن بعد عليك عهد الشيخ الأنصاري والسيّد الشيرازي، فهذا بالأمس الأفقه الأورع الشيخ محمّد طه نجف[٢] قدّس سرّه، يرى في النجف، بل العراق جميع الأعمال المشار إليها وهو أقدر على المنع فلا يمنع.

---

(١) الشيخ ا لميرزا محمّد تقي ابن الميرزا محبّ علي الشيرازي الحائري، زعيم الثورة العراقية الكبرى، كان رحمه اللّه عالماً فقيهاً أصولياً، ورعاً زاهداً، حضر على أستاذه السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي وغرف من منهل علمه الجمّ وبحر جوده الفيّاض، كما تتلمذ على الشيخ محمّد حسين الأردكاني والسيّد علي نقي الطباطبائي الحائري. وتخرّج من عالي دروسه عدد من الفضلاء، وله عدّة مؤلّفات منها: حاشية على المكاسب، ورسالة في أحكام الخلل، وأخرى في صلاة الجمعة، وشرح منظومة السيّد صدر الدين العاملي في الرضاع، وله شعر عربي وفارسي. توفّي رحمه الله في كربلاء المقدّسة سنة ١٣٣٨ ودفن فيها.

انظر: معارف الرجال ٢: ٢١٥.

(٢) الشيخ محمّد طه ابن الشيخ مهدي نجف التبريزي الحكم آبادي، هو قطب دائرة الشريعة الذي زهرت في أفق الدهر أيامه، ومنار علم الإمامية الذي خفقت في الآفاق أعلامه، من ⇦

إنّ المواكب جميعاً حتّى موكب القامات تدخل إلى داره – وهي بتلك الهيئات المنكرة على ما يقول –[1] وهو لا يحرّك شفته بحرف من المنع، بيد أنّه يلطم معهم ويبكي وهو واقف مكانه.

وكان الشيخ المذكور يقيم مآتم الحسينعليه السلام في داره عصراً فتغصّ بالعلماء والصلحاء و أهل الدين، وفي يوم معيّن من كلّ سنة يقع في المأتم نفسه تمثيل بعض وقائع الطفّ، ولا منكر منه ولا منهم، وهب أنّه لايستطيع تعميم المنع، لكنّه يستطيع منع أن يصنع ذلك في داره، أو أن تدخل المواكب داره، وهو يعلم أنّه قد يتقاتل ويتضارب أهل المواكب في الطرقات.

⇨

انتهت إليه الزعامة، وأقرّ له المجتهدون أهل التحقيق بالإمامة، درّة إكليل الفضل والشرف، الفقيه الأصولي الرجالي، التقي الورع الزاهد العابد، المرجع الأعلى، من رجع إليه المسلمون في العراق وإيران والسواحل والبنادر وجملة من الأقطار العربية، وتتلمذ على أفاضل عصره كالشيخ محسن خنفر، والسيّد حسين الكوهكمري، وحضر قليلاً على الشيخ مرتضى الأنصاري. وتخرّج من عالي دروسه عدّة من الأفاضل. خلّف مجموعة من المؤلّفات منها: الاتصاف في مسائل الخلاف، كتاب الزكاة، كتاب النكاح، الدعائم في الأصول، إتقان المقال في أحوال الرجال، إحياء الموات في أحوال الرواة، ورسائل كثيرة متنوعة. توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٢٣ هـ ودفن فيها.

معارف الرجال ٢: ٣٠٠.

(١) إشارة لقول السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٨١ ؛ إذ قال فيها: «فنسأل اللّه سبحانه التفضّل عليهم برفض ما قد تعوّدوه في اللطم من المحرّمات، وسيرهم على الهيئات المنكرة من الوثبات والزعقات الوحشية».

وكذا العلاّمة المتقن المتبحّر السيّد محمّد آل بحر العلوم الطباطبائي[١]، تقام في داره أعظم وأفخم مآتم النجف، ويحضره جميع أهل العلم، ويقع فيه التمثيل الذي يقع في دار الشيخ وزيادة.

هذا غير كون الدار المذكورة موئلاً لجميع المواكب، وبها تضرب أرباب السيوف رؤوسها من لدن أيام السيّد علي بحر العلوم[٢]، أو قبله حتّى اليوم، ومنها

---

(١) السيّد محمّد ابن السيّد محمّد تقي ابن السيّد رضا ابن السيّد محمّد مهدي بحرالعلوم الطباطبائي النجفي، كان عالماً محقّقاً، باعه في الفقه طويل، ونظره في أصول الفقه صائب جليل، وتحقيقاته في علم المعقول والكلام مشهورة، نال في أواسط أيامه حفاوة وسعادة وكرامة، وكان شهماً جواداً غيوراً. حضر على أساتذة عصره كالشيخ ملاّ باقر الشكي، والسيّد الكوهكمري، والسيّد علي صاحب البرهان القاطع. له عدّة مؤلّفات منها: بلغة الفقيه، وتعليقة على كتاب الشرائع. توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٢٦ هـ ودفن فيها.

معارف الرجال ٢: ٣٨١.

(٢) السيّد علي ابن السيّد رضا ابن السيّد محمّد مهدي بحرالعلوم الطباطبائي النجفي، عالم محقّق وفقيه، برع في فقاهته مع غور واسع في علم الأصول، وكان كثير الجدّ والاشتغال في المسائل الفقهية، وله اليد الطولى في الأدب والشعر. تتلمذ على فقهاء عصره كالشيخ على ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر، والشيخ علي ملاّ مقصود، وتخرّج من عالي دروسه عدد من الأفاضل.

وله عدّة مؤلّفات منها: البرهان القاطع، وكتاب الصوم. توفّي رحمه في مدينة النجف الأشرف سنة ١٢٨١ هـ ودفن فيها.

معارف الرجال: ٢:٣٨١.

تخرج إلى الشوارع والبيوت والجواد[١] العموميّة وإليها تعود بلا إنكار ولا استيحاش.

وإن بعد عليك هذا العهد القريب أيضاً، فهذا المرحوم خاتمة الفقهاء السيّد محمّد كاظم اليزدي[٢]، الذي كانت له السلطة الروحانيّة الفذّة في عموم الشيعة، كانت التمثيلات تقام نصب عينيه والمواكب تخترق الشوارع بين يديه، ولم يؤثر عنه منع شيء من ذلك وهو بمكان من ثبات الرأي ونفوذ الكلمة.

وإن رمت عهداً أقرب من هذا فليس هو إلّا يومك الذي أنت فيه، انظر إلى علماء الجعفريّة في كلّ مكان تجدهم وهاتيك الأعمال الحسينية كلاً أو بعضاً بمنظر منهم ومشهد، لا ينبسون ببنت شفة من الإنكار مع إمكانه.

---

(١) الجواد، جمع الجادّة، وهي معظم الطريق. الصحاح ٢: ٤٥٢ «جدد».

(٢) السيّد محمّد كاظم ابن السيّد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي النجفي، نال رحمه الله رئاسة واسعة النطاق خصوصاً في أيامه الأخيرة، بل أصبح الفقيه الأعظم والزعيم المطلق الذي لايدانيه أحد، وكان بحراً متلاطماً علماً وتحقيقاً ومتانة. مستحضراً للفروع الفقهيّة ومتون الأخبار. وكان رحمه الله مرجعاً عاماً تأتي إليه الاستفتاءات من جميع الأقطار الإسلامية، وكان ملحوظاً عند السلطة الحاكمة آنذاك، لما له في نفوس المسلمين من الإطاعة والنفوذ. حضر على أساتذة عصره كالشيخ مهدي ابن الشيخ علي نجل كاشف الغطاء والشيخ راضي النجفي والمجدّد السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي، وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من الفضلاء. وله عدّة مؤلّفات منها: حاشيته على مكاسب الشيخ الأنصاري، وكتاب في اجتماع الأمر والنهي، ورسالة عملية كثيرة الفروع أسماها العروة الوثقى، وحاشية على تبصرة العلاّمة ـ توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٣٧ ودفن فيها.

معارف الرجال ٢: ٣٢٦.

وبما أنّ العراقيين منهم ابتلوا بالسؤال عن تلك الأعمال في هذه الأيام، ظهرت فتاواه مطبوعة وغير مطبوعة وهي مفصّلة، ولم يكن من قبلها للإفتاء عين ولا أثر؛ لعدم الحاجة إليه في موضوع ما كان يدور في الخلدان أن يقع موقع سؤال وتشكيك.

ولا شكّ أن الصحف السائرة والمنشورات الدائرة أقرأتك فتوى سيّدنا وملاذنا حجّة الإسلام ومرجع الخاصّ والعام، العالم العامل الرباني السيّد أبوالحسن الأصفهاني(١) دام علاه، المتضمّنة لإمضاء جميع التذكارات الحسينيّة على الإجمال.

واليوم قد تمثّلت أمام عينيك رسالتي هذه، تطالع فيها الفتوى المفصّلة التي جاد وأجاد بها بقيّة السلف من العلماء الأعلام، شيخنا العلاّم آية الله في الأنام الميرزا محمّد حسين الغروي النائيني(٢) أدام الله فضله، وبما أنّ افتاءه

---

(١) السيّد أبوالحسن ابن السيّد محمّد ابن السيّد عبدالحميد الموسوي الأصفهاني، عميد الشيعة في وقته، وحامل لواء الشريعة، الرئيس المطاع، والذي أصبح معاصروه من العلماء والفقهاء العظام لايذكرون في أيّامه بالنظر الأولي عند عموم الناس، وكانت تجبى إليه الأموال من الحقوق الشرعية من جميع الأقطار الشيعية الإمامية، بل من كلّ صقع كالسيل المنحدر من أعلى الجبل. حضر على أساتذة عصره كالميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ الملاّ محمّد كاظم الآخوند الخراساني، وله عدّة مؤلّفات منها: رسالة عملية لمقلّديه اسمها «وسيلة النجاة»، وحاشية على العروة الوثقى، وشرح على كفاية الأصول، وعدّة رسائل، توفّي رحمه الله في الكاظمية المقدّسة سنة ١٣٦٥ هـ ودفن في النجف الأشرف. معارف الرجال ١: ٤٦.

(٢) الشيخ الميرزا حسين – محمّد حسين ـ الأصفهاني النجفي المعروف بالنائيني، عالم جليل مدّقق، صاحب التنقيب والتحقيق، أصولي فقيه، له الأراء السديدة في علمي الأصول ⇦

سلّمه الله موجّه إلى المؤمنين عامة وأهل البصرة خاصة؛ لأنّهم المستفتون، فأنا أنشره بنصّه فيما يلي.

قال دام ظلّه:



والفقه، متين في الحكمة والفلسفة، وله الأدب الواسع في اللغتين العربية والفارسية، وكان مرجعاً للتقليد، يرجع إليه الكثير من الوجوه والتجار والأعيان. حضر على فضلاء عصره كالميرزا السيّد محمّد حسن الشيرازي، والسيّد محمّد الأصفهاني ، والسيّد إسماعيل الصدر، والشيخ الملاّ محمّد كاظم الخراساني. وقد تخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء إذ ربّى جمهرة من العلماء والأفاضل وغذّاهم بعلمه الغزير، وله مؤلّفات عديدة منها: تعليقة على العروة الوثقى، تقريرات في الأصول ورسالة في السياسة. توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٥٥ هـ ودفن فيها.

معارف الرجال ١: ٢٨٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى البصرة وما والاها

بعد السلام على إخواننا الأماجد العظام أهالي القطر البصري ورحمة الله وبركاته.

قد تواردت علينا في الكرادة الشرقيّة ببغداد برقياتكم وكتبكم المتضمّنة للسؤال عن حكم المواكب العزائية وما يتعلّق بها، وإذ رجعنا بحمد الله سبحانه إلى النجف الأشرف سالمين، فها نحن نحرّر الجواب عن تلك السؤالات ببيان مسائل:

الأُولى: خروج المواكب في عشرة عاشوراء ونحوها إلى الطرق والشوارع ممّا لاشبهة في جوازه ورجحانه، وكونه من أظهر مصاديق ما يقام به عزاء المظلوم، وأيسر الوسائل لتبليغ الدعوة الحسينيّة إلى كلّ قريب وبعيد، لكن اللازم تنزيه هذا الشعار العظيم عمّا لايليق بعبادة مثله من غناء أو استعمال آلات اللهو أوالتدافع في التقدّم أو التأخّر بين أهل محلّتين ونحو ذلك، ولو اتّفق شيء من ذلك فذلك الحرام الواقع في البين هو الحرام، ولا تسري حرمته

إلى الموكب العزائي ويكون كالنظر إلى الأجنبية حال الصلاة في عدم بطلانها به.

الثانية: لاإشكال في جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور حدّ الإحمرار والإسوداد، بل يقوى جواز الضرب بالسلاسل أيضاً على الأكتاف والظهور إلى الحدّ المذكور، بل وإن أدّى كلّ من اللطم والضرب إلى خروج دم يسير على الأقوى.

وأمّا إخراج الدم من الناصية بالسيوف والقامات فالأقوى جواز ما كان ضرره مأموناً، وكان من مجرّد إخراج الدم من الناصية بلا صدمة على عظمها، ولا يتعقّب عادة بخروج ما يضرّ خروجه من الدم ونحو ذلك، كما يعرفه المتدرّبون العارفون بكيفية الضرب.

ولو كان عند الضرب مأموناً ضرره بحسب العادة، ولكن اتّفق خروج الدم قدر ما يضرّ خروجه، لم يكن ذلك موجباً لحرمته، ويكون كمن توضّأ أو اغتسل أو صام آمناً من ضرره ثمّ تبيّن تضرّره منه.

لكن الأولى بل الأحوط أن لايقتحمه غير العارفين المتدرّبين، ولا سيما الشبان الذين لايبالون بما يوردونه على أنفسهم لعظم المصيبة وامتلاء قلوبهم من المحبّة الحسينيّة، ثبّتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الثالثة: الظاهر عدم الإشكال في جواز التشبيهات والتمثيلات التي جرت عادة الشيعة الإماميّة باتّخاذها لإقامة العزاء والبكاء والإبكاء منذ قرون وإن تضمّنت لبس الرجال ملابس النساء على الأقوى.

فإنّا وإن كنّا مستشكلين سابقاً في جوازه، وقيّدنا جواز التشبيه في الفتوى الصادرة عنّا قبل أربع سنوات بخلوّه عن ذلك، لكنّا راجعنا المسألة ثانياً، واتّضح عندنا أنّ المحرّم من تشبيه الرجل بالمرأة هو ما كان خروجاً عن زيّ الرجل رأساً وأخذاً بزيّ النساء، دون ما إذا تلبّس بملابسها مقداراً من الزمان بلا تبديل لزيّه، كما هو الحال في هذه التشبيهات، وقد استدركنا ذلك أخيراً في حواشينا على العروة الوثقى، نعم يلزم تنزيهها عن المحرّمات الشرعيّة وإن كانت على فرض وقوعها لاتسري حرمتها إلى التشبيه كما تقدّم.

الرابعة: الدمّام المستعمل في هذه المواكب ممّا لم يتحقّق لنا إلى الآن حقيقته، فإن كان مورد استعماله هو إقامة العزاء، وعند طلب الاجتماع، وتنبيه الركب على الركوب، وفي الهوسات العربيّة، ولا يستعمل في ما يطلب فيه اللهو والسرور - كما هو المعروف عندنا في النجف الأشرف - فالظاهر جوازه والله العالم. انتهى بنصّه حرفيّاً.

أمّا ما يقع في كربلاء أيام شريف العلماء(١) أستاذ العلاّمة الأنصاري، ثمّ

---

(١) الشيخ ملاّ محمّد شريف بن حسن علي المازندراني، المعروف بشريف العلماء الحائري، ولد في الحائر الحسيني ونشأ به، العالم المحقّق والأصولي القدير المدقّق، المدرّس الأوّل في كربلاء، وكان متكلّماً فيلسوفاً بارعاً بأُصول المتأخّرين، كان يحضر مجلس درسه ألف رجل أو يزيد بين عالم وفاضل، وكلُّهم من أهل التحقيق، وجلّهم صاروا مراجع تقليد. تتلمذ على أفاضل عصره كالسيّد علي الطباطبائي صاحب الرياض، وعلى ولده السيّد محمّد المجاهد صاحب المفاتيح، وعلى الشيخ علي كاشف الغطاء صاحب الخيارات، وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء والفضلاء، توفّي رحمه الله في كربلاء المقدّسة سنة ١٢٤٥هـ ودفن فيها.

معارف الرجال ٢: ٢٩٨.

في أيام الفاضل الأردكاني[(١)].

والشيخ زين العابدين المازندراني[(٢)]. وفي الكاظمية أيّام العلاّمة الأورع أبي ذر زمانه الشيخ محمّد حسن آل يس[(٣)]، بل حتى أيام السيّد محسن

---

(١) الشيخ حسن الأردكاني عالم متقن معروف بالفقاهة، وكان كاتباً أديباً، توطّن كربلاء في منتصف القرن الثالث عشر الهجري وكان مدرّساً وحيداً في كربلاء، تجتمع عليه حلقة واسعة من أهل الفضل والتحقيق والكمال، تخرّج عليه علماء أفاضل، منهم: العالم الفاضل الشيخ عبدالله المازندراني والشيخ علي ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عباس الخاقاني النجفي. وألّف حاشية على نجاة العباد لصاحب الجواهر، توفّي رحمه الله سنة ١٣٣٢ هـ.

معارف الرجال ١: ٢٤٦.

(٢) الشيخ زين العابدين ابن الملاّ مسلم المازندراني النجفي الحائري، هاجر إلى العراق، وأقام في مدينة النجف الأشرف أولاً وصار عالماً مجتهداً له الباع الواسع في علمي الأصول والكلام، ثمّ انتقل إلى كربلاء المقدّسة وعقد مجلساً للتدريس فصار يحضر درسه وجوه أهل الفضل والتحقيق وصار مرجعاً للتقليد في كربلاء، رجع إليه في التقليد الكثير من أهلها، تتلمذ على الشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر، والسيّد إبراهيم القزويني، وألّف في الإصول كتاباً مبسوطاً، وفي الفقه كتاب زينة الصاد، وهو شرح لكتاب شرائع الإسلام. توفّي رحمه الله سنة ١٣٠٩ هـ في كربلاء المقدسة ودفن فيها.

معارف الرجال ١: ٢٣١.

(٣) الشيخ محمّد حسن بن ياسين بن محمّد علي الكاظمي، العالم العامل، الفقية المقدّس، العابد الثقة الأمين، والعدل المؤتمن، كان محقّقاً في علم الأصول والحديث والرجال، صار مرجعاً للتقليد في بغداد وضواحيها، ورجع إليه أيضاً البعض من مدن العراق. حضر على أساتذة عصره كالشيخ محمّد حسين صاحب الفصول، وشريف العلماء المازندراني، والشيخ علي صاحب الخيارات، والشيخ حسن صاحب أنوار الفقاهة، ⇦

لأعرجي الكاظمي[1]. وفي الحلّة منذ عهد العلاّمة ـ الذي قلّ أن يأتي له الدهر بنظير ـ السيّد مهدي القزويني[2] إلى الآن، فإنّي لا أطيل بذكره؛ لأنّه يوجب الخروج عن وضع الرسالة.

⇨

والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر. وتتلمذ عليه عدد من الفضلاء. ألّف كتاب الأسرار النجفية في الفقه، ورسالة في حقوق الوالدين، وأخرى في البداء، وثالثة في اختلاف الأفق. توفّي رحمه الله في الكاظمية المقدّسة سنة ١٣٠٨ هـ ودفن في مدينة النجف الأشرف.

معارف الرجال ٢: ٢٣١.

(١) السيّد محسن ابن السيّد حسن ابن السيّد مرتضى الحسيني الأعرجي الكاظمي، كان من العلماء المحقّقين والفقهاء المقدّسين الزاهدين العابدين، وكان أديباً شاعراً له نظم كثير. تتلمذ على الآقا محمّد باقر البهبهاني والسيّد محمّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، والشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي، وتتلمذ عليه عدد من الفضلاء، وألّف كتاب الرسائل في الفقه في عدّة مجلّدات، وكتاب المحصول، والوافي، وشرح مقدّمات الحدائق، والعدّة في الرجال. توفّي في الكاظمية المقدّسة سنة ١٢٢٧ هـ ودفن فيها.

معارف الرجال: ٢: ١٧١.

(٢) السيّد مهدي ابن السيّد حسن ابن السيّد أحمد الحسيني، الشهير بالقزويني النجفي الحلّي، كان عالماً جامعاً ضابطاً، من عيون الفقهاء الأصوليين، شيخ الأدباء والمتكلّمين، ووجهاً من وجوه الكتّاب والمؤلفين، الثقة العدل الأمين الورع. تتلمذ على الشيخ موسى والشيخ علي والشيخ حسن أنجال الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي وعلى عمّه السيّد باقر القزويني، وتتلمذ عليه عدد من الفضلاء. وله مؤلّفات كثيرة منها: القواعد الكلّية الفقهية، ومواهب الأفهام في شرح شرائع الاسلام، وكتاب الطهارة، ونفائس الأحكام وشرح اللمعة الدمشقية، والمهذب في الأصول. توفّي رحمه الله سنة ١٣٠٠ هـ؛ بالقرب من

⇦

والتمثيل وإن لم يقع في الحلّة حتى الآن على ما أظنّ، لكن المواكب اللاطمة في الطرقات ليلاً ونهاراً، مع دوام المقاتلة والمضاربة بين أهل المحلاّت المتنافرة فيها ممّا ليس لأحد إنكارها، ولم يكن السيّد مهدي المذكور ولا أحد من أبنائه المحترمين منكراً لعمل، ومحرّماً خروج موكب حتى اليوم، على أنّ أهل البلدة ومن حولها أطوع لهم من الظلّ لذي الظلّ.

أترى السيّد مهدي القزويني لم يبك ميّتٌ ولم يفرح بمولود(١)



مدينة السماوة العراقيّة بعد عودته من حجّ بيت الله الحرام، ودفن في مدينة النجف الأشرف.

معارف الرجال ٣: ١١٠.

(١) بيت شعر مشهور، يستشهد به الكثير من الأدباء، والشعراء، ورد بصيغ متعدّدة، ذكره السيوطي في «الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار» قائلاً: «قال القالي في أماليه: أنشدني ابن دريد قال: أنشدني الحسن بن خضر قال: أنشدني رجل من أهل البصرة قال: أنشدني أبو هلال:

هـذا الزمـان الـذي كنّـا نُحـاذره فـي مـا يحـدّث كعـب وابـن مسـعودِ
وإن دامَ ذا العـيش لـم يُحـزن علـى أحـد ممّـن يَمـوت ولـم يُفـرح بمولـودِ

وورد بصيغ أُخرى منها:

هـذا الزمـان الـذي كنّـا نُحـاذره فـي مـا يحـدّث كعـب وابـن مسـعودِ
دهـر بـه الحـقُّ مـردود بطالعـهِ والطـالعُ الكُفـر فيـهِ غيـرُ مـردودِ
فإن يمضي هذا الزمان ولم يُحدث له غير لـم يُبـك ميّـت ولـم يُفـرح بمولـود

وورد اسم «عمر» بدل «كعب» في بعض الأبيات.

خاتمة مسكيّة

الأئمّة سلام الله عليهم نورهم واحد وطينتهم واحدة وإن تفاوتوا في الفضل ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ**﴾[1].

ولكن للشيعة علاقة خاصة بالحسين عليه السلام، لاتشبه علاقتهم بمن هو أفضل منه، وتلك من خصوصيّات الحسين عليه السلام التي لا تنافي أفضلية غيره منه، فإنّ للتفاوت في الفضيلة مقام وللخصوصيّة مقام آخر، وقد عوّضه اللّه جلّ شأنه عن شهادته بخصال: منها المحبّة في القلوب، ومنها كونه وسيلة النجاة.

إنّ محبّة الحسين عليه السلام والرقّة عليه فطريّة، حتى من غير الجعفريّة، ولكن لهؤلاء - حتى أبسط البسطاء منهم ـ علاقة خاصة به لم تأت لهم من قبل سماع واطلاع، بل غريزة وارتكاز، فلذلك تجدهم يتفننون في التعلّق به بإيجاد أسباب

---

(١) التوبة (٩): ٣٦.

لم تعرف من قبلهم ولم يدركها أحد سواهم، توصّلاً إلى إحياء ذكره، وتعلّقاً بسبب منه يوجب البركة عليهم في الدنيا والعقبى، وتراهم من صميم قلوبهم يعلّقون آمال نجاتهم من وزر الخطايا به أكثر ممّن هو أشرف منه وأفضل.

وكما أنّ هذا فطري فيهم، فكذلك هم مفطورون على أنّه بمقدار حزنهم على الحسين وسائر الأئمّة عليهم السلام وإظهار مظلوميّتهم، يكون تكفير سيّئاتهم وارتفاع درجاتهم، والمتعمّق في الأسرار المتتبع للأخبار يحصل له -بتتبعه وتعمّقه- الجزم بأنّ ما تفعله الشيعة من ضروب مظاهر الحزن هو دون الحقّ الثابت في مصاب الحسين عليه السلام، وأنّه لو كان فوقه شيء لكان راجحاً في سبيل ذلك المصاب الهائل وإن استهزأ به وسخر الجاهلون.

فلندع الشيعة وما يفعلون في شأن أئمّتهم في حزنهم وفرحهم ما لم يفعلوا في ذلك الشأن العظيم محرّماً، فإنّه علينا حينئذ المنع عن ذلك المحرّم فحسب ونردعهم عنه، ولا نتعرّض لجلّ ما يقومون به من مظاهر الحزن والفرح بشيء، فقد قال الصادق عليه السلام في حقّهم:

«شيعتنا منّا، خُلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمّة ورضينا بهم شيعة، يصيبهم ما أصابنا وتبكيهم أوصابنا، يحزنهم حزننا، ويسرّهم سرورنا. ونحن أيضاً نتألّم لتألّمهم، ونطّلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا، ونحن معهم لانفارقهم».

ثمّ قال: «اللهمّ إنّ شيعتنا منّا، فمن ذكر مصابنا، وبكي لأجلنا استحى اللّه أن يعذبه بالنار»[1].

وعلى هذا الخبر الشريف العالي المضامين أختم رسالتي هذه، وبالختام تتميماً للمقال أذكر أموراً مهمّة:

(١) منتخب الطريحي: ٦٨، وعنه في الخصائص الحسينية للتستري: ١١٦.

الأمر الأوّل

بكلّ صراحة أقول: إنّ علّة تحريم الشبيه وخروج المواكب اللاطمة والضرب بالقامات عند صاحب المقالة ليس هو ما ذكره من السفاسف، كيف والمقاتلة التي هي علّة تحريم اللطم في الطرقات اتفاقية نادرة، وليست بلازمة ولا مقصودة لأهل الموكب غالباً.

وموت الجماعات في كلّ سنة ـ الذي هو علّة تحريم موكب السيوف ـ قد عرفت أنّه فرية صريحة.

والسخرية ـ التي هي علّة تحريم الشبيه ـ كذلك، وعلى فرض تحقّقها فهي لاتوجب الاستهزاء بدين الإسلام المنزّه عن كلّ عائبة.

والأمور التي سطّرها ـ من إنكار الوثبات والزعقات، ومن كون اللطم محلّه المآتم لا الطرقات بحكم العقل والشرع ـ هي من التلفيقات الفارغة، ونسبة ذلك إلى العقل والشريعة فرية أخرى، وهي عليه غير خفيّة.

ومن أكبر الشواهد على أنّ تحريمه لا لذلك ـ مضافاً إلى هذا ـ قوله في الصفحة ١٠ ما ملخّصه:

«بأنّه منذ خمس عشرة سنة كان أهل الكويت يخرجون الشبيه على التفصيل الذي سبق، فمنعتهم وصاروا من يومئذ يلطمون في المآتم ولا يخرجون، وبذلك قطع دابر ما ربما ينجم من المحرّمات والفتن»[1]. انتهى.

فإنّه ليس في الكويت من يومئذ للآن[2] فئات متقابلة، ولا لهم محلاّت كثيرة متعادية تقع بين أهلها المنافرة والمنافسة حتى يحدث من خروجهم القتال فيما بينهم، إن هم إلّا فئة من الأعاجم يشوبهم أخلاط من البحارنة وغيرهم ممّن ليس له قوّة المخاصمة والمنازعة لو كان له منافر ومنافس، كيف والسلطات القاهرة وسلطته الروحيّة هناك تحول بينهم وبين أن تحدث بينهم المقاتلة في مثل ذلك المحلّ الذي هو بالقرى أشبه منه بالبلدان الواسعة.

أمّا سخرية الأجانب فهي هناك معدومة، لقلّة الأجانب يومئذ وعدم سخريتهم؛ لأنّهم من الذين لا يهمّهم من أمر الديانات شيء.

الذي أظنّه ـ وظنّ الألمعي يقين[3] ـ أنّ هذا الرجل يذعن بمسؤوليّة جميع ما سلف كما يومي إلى ذلك ما ذكرته ثمّة، وإنّما يمنع من ظهور الشبيه

---

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٨١-١٨٢، ونصّ العبارة هو: «وقبل مضيي إلى الكويت كان أهلها يخرجون الشبيه على التفصيل الذي سبق، فلمّا علمت بذلك منعتهم منه، فأطاعوني وذلك في سنة الثلاثين، فصاروا يلطمون في المآتم ولايخرجون، وبذلك قطع دابر ما ربّما ينجم من المحرّمات والفتن».

(٢) أي سنة ١٣٤٥ هـ ، وهو تاريخ تأليف هذه الرسالة.

(٣) في الصحاح ٣: ١٢٨١ «لمع»: الألمعيّ: الذكيّ المتوقّد، قال أوس بن حجر:

الألمعيّ الذي يظنّ لك الظنّ ... كأن قد رأى وقد سمعا

⇦

والمواكب للملأ تأليفاً بين الفرق، وأن لا يظهر بعضهم بمظهر المخالف للبعض الآخر.

وقد فاته أن يلتفت إلى أنّ مورد المخالفة ليس جوهريّاً، بعد وحدة الدين والاشتراك بالضروريات من أحكامه وغيرها ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**﴾[1].

إنّ التأليف الذي يقصده ـ بترك التظاهر بتلك المراسم ـ أمر مغروس في ذهنه منذ كان في الكويت، وهو اليوم يعالجه ولا يكاد يحيره، ولأجله يتشبث بالتهاويل ويذعن لتلك التمويهات والمفتريات.

وكأنّ هذا المنع عنده من باب الأمر بترك الراجح لما هو أرجح منه، لا من باب النهي عن المنكر وإن صدّر مقالته بذلك، ولعلّه إلى هذا يرمز صاحب جريدة الأوقات العراقية[2]، إذ يقول نقلاً عن السيّد المذكور: إنّ تلك المواكب عامل من عوامل التفرقة ورمز يشير إليها.

⇨

وفي لسان العرب ١٢: ٣٣٠ «لمع»: الألمعيّ: الذي إذا لمع له أوّل الأمر عرف آخره، يكتفي بظنّه دون يقينه، وهو مأخوذ من اللمع: وهو الإشارة الخفيّة والنظر الخفيّ.

(١) آل عمران (٢٣): ١٩.

(٢) في عددها ١٦٦١، كما صرّح بذلك الشيخ محمّد جواد الحجّامي في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:٢٩٩.

وهذا إن كان من الناقل فهو اختلاس للحقّ، وإن كان من القائل فهو اشتباه؛ وذلك أنّ تلك المواكب وهاتيك الأعمال ليست مفرّقة بين المسلمين، نعم هي مظهر للفرق بين فرقهم، والفارق جليّ بين المفرّق بينهم وبين وجود الفارق. أجل التمثيل فارق، المواكب فارق، المآتم فارق، لبس السواد فارق. فوارق وأيّ فوارق، شابت عليها اللِمَم(١) والمفارق(٢)، واعترف بفوائدها المصاحب والمفارق، فإن تكن هذه رموزاً فهي رموز لامتياز الشيعة عمّن سواهم، فلتكن تصريحات بدل كونها رموزاً، فإنّ الرمز بهذا المعنى سواء أكان هو أحد الأمور المذكورة أم غيرها ممّا لابدّ منه.

إنّ المطلوب من المسلمين إزالة التعصّب المذهبي فيما بينهم، لا ترك الرسوم المذهبيّة عندهم، وشتان بين الأمرين، ومن اختلاطهما وقع الاشتباه، التعصّب المذهبي مظهر وقوع الشقاق بين المسلمين شقاقاً مذهبياً، ويقابله التساهل المذهبي المقتضي لإطلاق الحريّة لكلّ ذي مذهب من المسلمين أن يأتي بمراسم مذهبه بلا استياء ولا منازعة من أرباب المذهب الآخر، لا ترك الرسوم المذهبيّة. وثمرة هذا التساهل علوّ الإسلام باتّجاه كلمة المسلمين. وأين هذا من كون الفوارق المذهبيّة مفرّقة؟!

---

(١) اللِمَم، جمع اللِمَّةُ: وهي الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن. الصحاح ٥: ٢٠٣٢ «لمم».

(٢) المفارقُ، جمع المَفْرقُ، وهو وسط الرأس، الذي يُفرق فيه الشعر. الصحاح ٤: ١٥٤١ «فرق».

نعم، لو كانت تلك الفوارق توجب إخلال الجعفريّة بالواجب عليهم من رفع منار الإسلام، أو أنّها توجب تهجين المراسم المذهبيّة للفرق الأخرى، لكان حقّاً لها أن تتعصّب وتعتصب أمامها، ولكنّها ـ مع كونها همجيّة كما يقولون[١] ـ لا تمسّ كرامة المذاهب بشيء ولا توجب الإخلال بأيّ واجب.

لقد مرّت أزمنة عديدة والجعفريّة فيها يدعون في مآتمهم ومواكبهم إلى توحيد كلمة المسلمين، فما وجه دعواهم هذه ياترى في تلك الحال إذا كانت المواكب هي المفرّقة فيما بينهم؟!

أجل، إنّها فوارق مذهبيّة لا مفرّقة لجماعتهم الملتئمة، فهذه الكلمة[٢] إمّا بذر للتفرقة، أو وهم واشتباه.

وإذا شئت أن أريك التعصّب المذهبي ملموساً باليد، فتأمّل في ما أنقله لك عن المقريزي في خططه في الصفحة ٣٨٥ من الجزء الثاني منه، فإنّه بعد أن ذكر أنّ الملوك العلويين بمصر كانوا يتّخذون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطّل فيه الأسواق، قال: «فلمّا زالت الدولة اتّخذ الملوك من بني أيّوب يوم عاشوراء

---

(١) هذا ردّ على كلام السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل». (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٨١ ونصّ عبارته هو:

«و أمّا الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرّم؛ لما شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة؛ لكثرة نزف الدم. ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجي وحشي مثل الضرب بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعي على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال ما فيها من ثمرة في التعزية».

(٢) أي كلمة جريدة الأوقات العراقية في عددها ١٦٦١ التي نقلت كلام السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني.

يوم سرور، يوسّعون فيه على عيالهم، ويتبسّطون في المطاعم ويصنعون الحلاوات، ويتّخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون، ويدخلون الحمام، جرياً على عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجّاج في أيّام عبدالملك بن مروان، ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، الذين يتّخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي عليه السلام، لأنّه قتل فيه». انتهى.

فيا أيّها الرامز إلى التفرقة في كلامه، والمريد للتأليف حسب الظنّ بمرامه، إن كنت تجد أعمال الجعفريّة مهجّنة للرسوم المذهبيّة لغيرهم من فرق المسلمين فلك الحقّ في الاستياء منها، وإن لم تكن كذلك ـ كما هو الواقع ـ فماذا يضرّك منها، وما هو سبب الاستياء من إقامتها؟!

لو أنّ في طوائف المسلمين من لا يوالي الحسين عليه السلام ولا يقدّر شرفه ولا مظلوميّته ولا قربه من الرسول صلى الله عليه وآله، لكان حقّه أن يستاء من إقامة تذكاراته، لكنّه سلام الله عليه ممّن يشترك في ولائه جميع المسلمين، وعلى جميعهم الحقّ في إظهار مظلوميّته والنوح عليه تقرّباً إلى جدّه صاحب الشفاعة الكبرى صلى الله عليه وآله، فكيف تكون تذكاراته ـ وهو بتلك المنزلة عند جميعهم ـ رمزاً إلى التفرقة بين جماعتهم وعاملاً من عواملها؟!

وقد كثر تحامل الصحف على الجعفريّة في أعمالهم الحسينية، وعسى أن يكون أصحابها هم المعنيّون في كلام صاحب المقالة، بأنّهم يسخرون ويستهزئون، بيد إنّه يسمّيهم الأجانب، وهم في الحقيقة أقارب لا أجانب، قد وشجت بينهم وبين الجعفريّة من عروق الدين الإسلامي نوابضه ورواهشه[1]

(١) الرواهش: عروق باطن الذراع. الصحاح ٣: ١٠٠٨ «رهش».

وشواكل قلبه، واشتبكت أواصر القرابة بينهم في الأعضاء الرئيسيّة من جسم دينهم الأقدس.

وهؤلاء في الحقيقة لا يسخرون بل يستاؤون وتتأثّر قلوبهم، ولو لم يكونوا قد أدركوا النكات الدقيقة العائدة بالنفع المذهبي على الجعفريّة من جميع هذه الأعمال - التي تعملها الشيعة في شهر المحرم في مآتم وموكب وتمثيل ـ لما استاؤوا، ولما جدّوا ليل نهار في رفعها ودرس أثرها.

الأمر الثاني

إنّ بعض أهل التقشف يمنع من ضرب الطبول، ونفخ الأبواق، ودقّ الصنوج في المواكب وغيرها على الكيفيّة المرسومة في العزاء في النجف اليوم، وذلك ـ أي المنع ـ من الزّلات الناشئة عن خفاء هذه الموضوعات لديهم، ولا غرو فهذه موضوعات لايعرفها النسّاك.

الآلات الثلاث تارة يكون استعمالها على الكيفيّة التي يضرب بها اللهو والطرب، كما يستعمله أهله، وهذا لا ريب في حرمته.

وتارة لايكون على تلك الكيفيّة، كالذي يكون في الحرب، وفي العزاء المرسوم، وهذا لو كان محرّماً لكان الضرب العبثي غير المنتظم محرّماً، وذلك ممّا لاينبغي لأحد أن يحتمله، ولم يذهب ذاهب ممّن يعتدّ به من فقهائنا إلى حرمة جميع أنحاء استعمال آلات اللهو، فضلاً عن المشتركة بينه وبين غيره، على أيّ كيفيّة كان الاستعمال وفي أيّ حال وقع.

وما ورد في أخبارنا ـ كالمروي عن النوفلي، عن السكوني، عن الصادقعليه السلام: من نهي النبيّصلى الله عليه وآله عن الزفن[١]، والمزمار، وعن الكوبات[٢]، والكبرات[٣] [٤]، ـ لم يحرز له إطلاق يشمل غير مورد الاستعمال اللهوي، بل الخبر الآتي[٥] وغيره قرينة على أنّ المراد استعمال الآلات المذكورة لأجل اللهو والطرب على الكيفيّة التي يستعملها أهل الملاهي.

وليس المراد باللهو مطلق اللعب ـ كما لعلّه يتوهّمه من لا خبرة له ـ بل ما كان على سبيل البطر وشدّة الفرح، فإنّ اللعب والعبث ـ ولو لغرض عقلاني ـ ممّا لم يقل بحرمته أحد، إلّا أن يكون شاذّاً، وهو مع شذوذه محجوب بالأخبار الكثيرة.

قال شيخنا الإمام المرتضى الأنصاري قدّس سرّه: «الظاهر أنّ حرمة اللعب بآلات اللهو ليس من حيث خصوص الآلة، بل من حيث إنّه لهو».

والمراد باللهو هو ما ذكرناه كما صرّح به قبل ذلك وبعده.

ثمّ استشهد على ذلك بشواهد منها: رواية سماعة عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: «لمّا مات آدم شمت إبليس وقابيل به، فاجتمعا في الأرض،

---

(١) الزفن: الرقص. الصحاح ٥: ٢١٣١ «زفن».

(٢) الكوبة: الطبل المخصّر، معرّب. المصباح المنير: ٥٤٣ «كوب».

(٣) الكبر: الطبل له وجه واحد. المصباح المنير: ٥٢٤ «كبر».

(٤) الكافي ٦: ٤٣٢ حديث ٧، وسائل الشيعة ١٧: ٣١٣ ـ ٣١٤ حديث ٦ باب ١٠٠ من أبواب ما يكتسب به.

(٥) وهو رواية سماعة الآتية.

فجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي شماتةً بآدم، فكلّ ما كان في الأرض من هذا الضرب الذي يتلذّذ به الناس ـ من الزفن والمزمار والكوبات والكبرات ـ فإنّما هو من ذلك»[١].

ثمّ قال: «فإنّ هذا يشير إلى أن المناط هو التلهّي والتلذّذ»[٢].

أقول: وأنت إذا تأملت وجدت دقّ الصنج مثل التصفيق، بل هو تصفيق بآلة لا باليد، ورأيت ضرب الطبل المتعارف في العزاء كضرب الطشت، ولا ريب في أنّ التصفيق والضرب بالطشت بدل الدّف إذا استعملا للّهو والطرب كان استعمالها محرّماً، كما صرّح به الإمام الشيخ المرتضى أيضاً، مع أنّ الطشت ليس من آلات اللهو فضلاً عن التصفيق، ولا بمنصوص عليه في الأدلّة، وما ذلك إلّا لكونه مفيداً فائدة آلات اللهو.

وكذا الحال في الصنج والطبل إذا استعملا على تلك الكيفيّة كان استعمالهما حراماً، و إلّا فلا وجه لحرمته البتّة، ومن هذا القسم ما يستعمل في العزاء والمواكب والشبيه اليوم في النجف، ودعوى أنّ هذا من الملهي المطرب سخيفة جدّاً.

اللهو والطرب أمران يعرفهما الفسّاق لا النسّاك، ولا يقلّد فيهما المجتهد إذا كان المقلّد عالماً بهما والمجتهد محتاطاً؛ لعدم استفراغ وسعه في البحث عن الموضوع.

---

(١) الكافي ٦: ٤٣١ حديث ٣، وسائل الشيعة ١٧: ٣١٣ حديث ٥ باب ١٠٠ من أبواب ما يكتسب به.

(٢) المكاسب ٢: ٤٦.

وهكذا الأمر في معنى الغناء، فإنّي لا أستبعد أنّ أولئك إذا سمعوا صوتاً رخيماً وإن كان غير متقاطع ولا متناسق النغم حسبوه غناءً، وهذا خطأ، وأولى لهم أن يسألوا أهل الفسوق عن ألحانهم فإنّها الغناء لا غيرها.

إنّ من البديهي الوجداني أنّ ضرب الطبل ودقّ الصنج ونفخ البوق على الكيفيّة المرسومة في العزاء اليوم في النجف، مع إنّها لم يقصد بها اللهو والطرب، هي بنفسها لا لهو بها ولا طرب، وإنّما يقصد بها انتظام الموكب والإعلان بمسيره ووقوفه ومشايعة صوته لندبة أهل الموكب، فإنّ انتظامه يختلّ بخفاء أصوات النادبين، ولذلك تجدهم إذا اجتمعوا للّطم في دار أو مأتم لايضربون ولا يدقّون بشيء؛ لاستغنائهم حينئذ عن كلّ شيء.

وقد سمعتُ من غير واحد أنّ الصّنج المتعارف الآن قد أحدثه في العزاء العلاّمة المجلسي أعلى الله مقامه في قرى إيران؛ ليسمع أهل القرى القريبة منهم ويعلموا بإقامتهم العزاء، وكذا في البلدان الكبار لأجل تنبيه أهل المحلاّت جميعاً ؛ لأن الطبل الحربي الذي هو المتعارف في العزاء لا شيوع له في البلدان الإيرانية.

وهذا القدر وإن كان كافياً في إثبات الجواز، لكن نظراً إلى أهميّة تحقّق الحال في استعمال الآلات الثلاث المذكورة، فإنّي أرجع إلى البحث عنها بطور آخر:

الطَبْلُ

المعبّر عنه بلسان العامة (الدمّام)، وهو موضوع العناية من الكلام، أمّا غيره ممّا قد يستعمل في بعض البلدان كالمسمّى عندهم (نقّارة) فلا ريب في حرمته.

ذكر العلاّمة في التذكرة[١] والمحقّق الثاني في جامع المقاصد[٢] أقسام الطبول، وعدّا منها: «طبل الحرب الذي يُضرب به للتهويل، وطبل القافلة الذي يضرب به للإعلام بالنزول والارتحال، وطبل العطّارين: وهو سفط لهم، وطبل اللهو وفسّر بالكوبة».

ولكن نظراً إلى اشتراك الكوبة بين معان، بعضها ليس من أقسام الطبول، وبعضها الآخر طبل لهو كما ستعرفه، مثّل له العلاّمة بما «يضرب به المخنثون من طبل وسطه ضيّق وطرفاه واسعان» وقد صرّحوا بجواز استعمال ما عدا الأخير منها وبيعها وشرائها والوصيّة بها، وادّعى في التذكرة الإجماع على ذلك.

---

(١) تذكرة الفقهاء «الطبعة الحجرية» ٢: ٤٨٣ كتاب الوصايا.

(٢) جامع المقاصد ١٠: ١٠٧.

ولا ريب أنّ هذه الطبول جميعاً يمكن أن يضرب بها ضرباً لهوياً كما يستعمله أهل الطرب، فلم جوّزوا استعمالها؟

أليس لأنّها ما أعدّت ولا هيّئت لذلك ؟

أليس لكون الضرب العادي بها ليس ملهيّاً ولا مطرباً؟ بل هو ضرب إعلام وتنبيه، كما هو الشأن في الطبل المستعمل في العزاء.

الطبل العزائي لو كان من الآلات المشتركة بين اللهو وغيره، فلا ريب أنّ استعماله ليس لأجل الطرب ولا على الكيفيّة المطربة، ولهذا عدّ كاشف الغطاء في عداد ما كان راجحاً لعنوان راجح ينطبق عليه أكثر ما يقام في العزاء من «دقّ طبول وضرب نحاس وتشابيه صور»[(١)].

قد رأينا طبل الحرب أيام الحرب العامّة عند أعراب نجد في النجف، وطبل القافلة عندهم منذ كان الحاج العراقي يسير برّاً على طريق جبلي طي، وهما عين الدمّام المتعارف استعماله اليوم في المواكب العزائية في النجف.

إنّ طبل الحرب والقافلة وطبل العزاء في الشكل والحجم سواء، وفي كون الضرب عليها بآلة لا باليد سواء، وفي كون الضرب منتظماً انتظاماً خاصاً سواء، وفي كون الغرض من ضربها التنبيه والإعلام سواء، فما هو الفارق بينهما إذاً؟!

---

(١) تأتي في رسالة «المواكب الحسينيّة» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ١٥٩:٣.

إنّ طبل اللهو يفارق هذه الطبول في جميع هذه الخواص عدا الانتظام، بيد أنّه في طبل اللهو على كيفيّة خاصة يعرفها أهل الملاهي، ولا يجهلها كلّ أحد، وتلك الكيفيّة غير حاصلة في ضرب الدمّام.

ومع قطع النظر عن جميع ما أسلفته، أوقفك على أمر يكفيك في الحكم بجواز الدمّام، وهو أنّه لم يقع لفظ الطبل في شيء من الأدلّة موضعاً للحكم ليؤخذ باطلاقه، وليدفع الاطلاق بكون المراد طبل اللهو، أو يراد بضربه الضرب الملهي، وإنّما الموجود في الأدلّة الكبرات والكوبات.

والكَبَرُ ـ بفتحتين ـ الطبل ذوالوجه الواحد، وهذا ليس إلّا طبل اللهو، فإنّ ما عداه بوجهين.

والكُوبَةُ ـ بالضمّ ـ البربط: وهو العود أو النرد أو الشطرنج أو طبل صغير.

وفي الصحاح: طبل صغير مخصّر[1].

وهذا أيضاً ليس سوى طبل اللهو؛ لأنّه الصغير، ولو كان غيره كوبة ـ أي طبلاً صغيراً ـ لم يبق للطبل الصغير مصداق أبداً.

وإذا كان لفظ الطبل لم يقع موضوعاً للحكم، فلا مساغ للمنع عنه إلّا بدعوى أنّ كلّ طبل آلة لهو، وأنّ كلّ آلة لهو يحرم جميع أنحاء الاستعمال بها على جميع الكيفيات، وهذا ما لا أظنّ بأحد أن يقول به.

---

(١) الصحاح ١: ٢١٥ «كوب»

ومع هذا كلّه فالاحتياط بترك الطبل كلّه؛ لأنّ تذكارات سيّد الشهداء من أهم الأعمال التي يعتبر فيها الإخلاص لله في إقامتها، وتعريتها عن كلّ ما يحتمل تحريمه، فضلاً عن معلوم الحرمة.

البُوق

المعبّر عنه في لسان العامة (البوري)، لم يعهد استعماله قديماً وحديثاً لأهل الطرب والملاهي كالعود والأوتار والمزامير، وانّما يستعمل في الحرب للتنبيه ولحشر الجنود وتسيير المواكب لحرب أو لغيرها، فهو في الحقيقة آلة تنبيه وإعلام، لا آلة طرب، نحو الآلة الصغيرة الصافرة التي يستعملها الشرط والحرس اليوم، للتنبيه ليلاً نهاراً.

ومن عرف الخاصيّة الطبيعيّة لهيئته الوضعيّة يعرف بأنّه يستحيل أن يخرج بالنفخ فيه صوت مطرب، ولذلك يحصل الجزم لكلّ عارف به أنّه ليس من المزامير المعدودة من آلات اللهو.

ابتدع الشكل الطبيعي للبوق لأجل خروج صوت عال مرتفع مستهجن، يبلغ بارتفاعه وهجنته مالا يبلغه أرفع صوت مجرّد، وهو كلما دقّ موضع النفخ منه واتسعت فوهته العليا زاد صوته ارتفاعاً وهجنة.

فلارتفاعه استعمل لتنبيه الجند، ولهجنته جعل جزء من «الجوق الموسيقي» للتأليف بين نحو عشرين صوتاً من الأصوات المختلفة في نفخة

واحدة؛ لحصول الطرب بالمجموع، ولكنّه لو أنفرد لايكون ولا يصلح لذلك، ولذلك لاينبغي عدّه من الآلات المشتركة بين اللهو وغيره.

وإذا لم يكن من المزامير ولا من آلات اللهو، فما هو البرهان على تحريمه؟! لم يوجد في الأدلّة ما يتضمّن النهي عن استعماله بخصوصه في ما حضرني من كتب الاستدلال من غير فحص كامل.

الصّنج

وهو مفرد صنوج، المعبّر عنها بلسان العامة اليوم (طوس)، المنهي عنه في المروي في المجمع[1]، فهو بظاهر الأمر مردّد بين معان ثلاثة، لا يعلم أيها المقصود بالنهي، ولا أنّ النهي نهي تنزيه أو تحريم، فقد ذكروا أنّه آلة بأوتار، ونحاس صغار مدوّر يجعل في إطار الدف، وآلة تتخذ من صفر يضرب إحداها بالأخرى[2].

وهذا المعنى الأخير ينطبق على ما هو المستعمل اليوم في العزاء الحسيني، لكن من المعلوم أنّ استعمال هذا بالنحو المتعارف الآن في النجف لايمكن قصد التلهّي به والطرب؛ لأنّه بذاته لا لهو فيه ولا طرب، فكيف يعدّ من آلات اللهو أو المشتركة بينه وبين غيره؟

---

(١) في مجمع البحرين ٢: ٣١٣ «صنج»: «إياك والضرب بالصوانيج، فإنّ الشيطان يركض، معك والملائكة تنفر عنك».

(٢) في الصحاح ١: ٣٢٥ «صنج»: الصّنج الذي تعرفة العرب: وهو الذي يتّخذ من صفر، يضرب أحدهما بالآخر. وأمّا الصّنج ذوالأوتار فيختصّ به العجم، وهما معرّبان.

وفي القاموس المحيط ١: ٢٠٤ «صنج»، الصّنج: شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر، وآلة بأوتار يضرب بها، معرّب.

وقريب منهما ورد في مجمع البحرين ٢: ٣١٣، «صنج».

إنّ دقّ الصّنج المتعارف في المواكب يوجب الضجر لا الطرب، وما هو إلّا كدقّ الصفّارين بمطارقهم الحديدية على قطعات الصفر دقاً منتظماً، ولا يبعد أن يكون هذا كان مستعملاً في الحرب مع الطبل - إن كان قديماً - وإنّ الصّنج المعدود من آلات الملاهي ليس هو هذا الصّنج، ولا صنج الموسيقى، بل ما يتّخذ من صفر قطعاً، نحو ما يجعل في إطار الدف، يضع الزافن ـ الراقص ـ كلّ اثنتين منها في إصبعين من أصابع يديه، إحداهما في الإبهام والأخرى في السبابة أو الوسطى، يضرب بأحدهما الأخرى فترنّ رنيناً خفيفاً هو أرقّ من التصفيق صدى وأقرب منه إلى الإطراب، وهذا هو ما يسمّيه الفرس بلغتهم: «زنك».

وقد اتّفق اللغويون على أنّ لفظ «صنج» فارسي معرّب، وإذا كان فارسيّاً هو تلك الآلة، كان النهي مختصّاً باستعمالها لا محالة، وعسى أن تكون تسمية غيره باسمه للمشابهة.

ثمّ إذا كان الصّنج لغةً مردّداً بين المعاني الثلاثة، وكانت الآلة ذات الأوتار وما يجعل في إطار الدفّ قدراً متيقّناً ممّا جعل موضوع الحكم، وما عدا ذلك مشكوك الفرديّة له، كان مقتضى أصول الفنّ ـ لمن لايوجب الاحتياط في الشبهة المفهوميّة ـ أن يقول بجوازه لاحرمته.

وكم من فرق بين هذا وبين كاشف الغطاء - واللغة بمرئى منه ـ يعدّ من الأمور الراجحة «دقّ طبل إعلام وضرب نحاس» وظنّي أنّه حمل الصّنج المنهي عنه على خصوص المطرب منه، ملاحظة للمناسبة بين الحكم وموضوعه.

على أنّ حمل ذلك النهي على التحريم لاقرينة عليه، ولا إجماع بالفرض، لاسيما والنهي الوارد بلفظ التحذير لابهيئة النهي ولا بمادّته.

الأمر الثالث

رأيت كلاماً لصاحب الرسالة[1] يلوّح به إلى المنع عن التذكارات التي تقع فيها المحرّمات بحجّة أنّه «لا يطاع الله من حيث يعصى»[2] فدعاني ذلك إلى شرح هذه الكلمة مهذّباً:

لا يراد بهذه الكلمة أنّ الطاعة إذا وقع في أثنائها فعل محرّم مباين لها ـ وجوداً منفكاً عنها خارجاً ـ تكون محرّمة، كما هو الحال في التذكارات المقترنة بالمحرّمات؛ لأنّ هذا ممّا قام البرهان على فساده، وإلّا لبطلت أكثر العبادات، ومع ذلك فالأدلّة النقليّة – مضافا إلى حكم العقل به ـ كثيرة، ويكفي منها الخبر المتضمّن لخروج الصادق عليه السلام في تشييع جنازة رجع بعض

---

(١) أي السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني، إذ قال في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:١٧٩ «و أمّا مسألة لطم الصدور، فما حرّمته وما منعته، بل الذي ناديت علناً في ذلك بين الناس على المنبر وغيره، بأن يصير ذلك في المآتم؛ وذلك لما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل».

(٢) في وقاية الأذهان: ٣٩٤ قال: مروي عنهم عليهم السلام، وفي الجواهر ٢٢: ٤٦، والقواعد الفقهية ١: ٢٦ إنّه قول وليس حديثاً.

المشيعين عنه لمكان صراخ صارخة، ولم يرجع هو عليه السلام، بل قال لزرارة: «امض بنا، فلو أنّا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحقّ تركنا له الحقّ لم نقض حقّ مسلم»(١).

بل يراد بهذه الكلمة الإعلام بأنّ المعصية الحقيقيّة لاتكون طاعة، كصدقة الزانية من كسب فجورها، وإدخالها بذلك السرور على مسلم.

وبهذه الكلمة على مثل هذا المعنى استشهد السجّاد أو الصادق عليهما السلام في الخبر المروي عنه، المتضمّن لبطلان عمل الناسك السارق للرمّان المتصدّق بواحدة منه؛ محتجّاً بقوله تعالى: ﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾(٢).

ويمكن أن يراد بها مع ذلك أنّ ما هو طاعة حقيقيّة يلزم أن لا يكون متّحداً مع المعصية خارجاً بفعل يكون مجمع العنوانين، كالصلاة في الأرض المغصوبة، وهذا المعنى وسابقه أجنبي عن التذكارات التي تقع فيها المحرّمات بزعمه.

تمّت في شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٥هـ، في المطبعة العلويّة في النجف الأشرف.

---

(١) الكافي ٣: ١٧١ ـ ١٧٢ حديث ٣ باب «من يتبع جنازة ثمّ يرجع».

(٢) الأنعام (٦): ١٦٠.

والرواية في الاحتجاج: ٢٠٠، وعنه في بحار الأنوار ٤٧: ٢٣٨ - ٢٣٩ حديث ٣٣.

الفهرس

دليل الكتاب ٥

تكملة قراءة في رسائل الشعائر الحسينيّة... ٧

حمام الهُدى«حمام الرسائل» ٩

معجزة فتح باب الصحن العلوي.. ١٣

قصة الكرامة ١٧

جواز الهلع على الحسينعليه السلام ٢٦

تاريخ تمثيل واقعة الطفّ وحكمه الشرعيّ ٤١

مسرح عاشوراء(التشابيه)وفلسفته الدينيّة وخصائصه الفولكلوريّة.................. ٤٣

أقوال الأعلام في هذه المجموعة من الرسائل.. ٥٦

فوائد تمثيل واقعة الطفّ... ٧٦

محمل النبيّصلى الله عليه وآله وهودج عائشة ٨٢

حادثة البصرة... ٩٨

تاريخ خروج المواكب العزائيّة في الشوارع والأزقّة................................ ١٠٩

السيّد الطباطبائي مؤسّس موكب العطّارين في كربلاء المقدّسة.................. ١٢٨

كلام الدكتور جوزف الفرنسي والمسيو ماربين الألماني ١٣١

شهداء الوطن، وجان دَرْك ١٤٠

اعتراض ابن باشى العسكر على المواكب العزائيّة.................................. ١٤٣

استعمال الآلات الموسيقيّة في مواكب العزاء... ١٤٤
الطَبْلُ.. ١٤٤
البُوق ١٤٧
الصّنج.. ١٤٨
العلاّمة المجلسي أحدث استعمال الصّنج (الطوس) في إيران........................ ١٥١
(٢) جريدة الأوقات العراقية.. ١٥٣
العبارة الأولى ١٥٦
العبارة الثانية... ١٥٧
العبارة الثالثة... ١٥٨
العبارة الرابعة.. ١٥٩
(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل. ١٦١
وجوب إظهار العالم علمه عند حصول البدع... ١٦٣
تأكيد المؤلّف على خدمته لبعض الشعائر الحسينيّة منذ دخوله للبصرة............ ١٦٤
تصريح المؤلّف بلقائه مع ممثل جريدة «الأوقات العراقية»......................... ١٦٥
تسليط الضوء على جريدة «الأوقات العراقيّة» في هامش هذه الرسالة.......... ١٦٥
قول المؤلّف بأنّه لم يكن يعلم بأنّ مراسل الجريدة سوف ينشر كلامه في الجريدة.. ١٦٧
ادّعاء المؤلّف بأنّ السيّد «أبو الحسن الأصفهاني» كان مؤيّداً لآرائه.............. ١٦٨
تصريح المؤلّف بأنّه ألّف هذه الرسالة تلبية لطلب بعض المؤمنين................ ١٦٩
اعتراض المؤلّف على تشبيه واقعة الطفّ... ١٧٠
أجر وثواب البكاء على الحسين عليه السلام.. ١٧٣
تأكيد المؤلّف على ضرورة كون مواكب اللطم في الحسينيّات.................... ١٧٥

تحريم المؤلّف للتطبير........ ١٧٦
ادّعاء المؤلّف موت جماعة كلّ سنة من المتطبرّين........ ١٧٦
وصف المؤلّف للتطبير بأنّه: فعل وحشي همجي........ ١٧٧
ذكر المؤلّف لهدم القبور في البقيع........ ١٨٠
حديث الثقلين........ ١٨١
استحباب زيارة قبور المؤمنين........ ١٨٢
وقعة نهر اليهودي........ ١٨٣
(٤) رسالة في حكم إقامة الشبيه ١٨٧
نصّ السؤال الموجّه للمؤلّف عن حكم إقامة تمثيل واقعة الطفّ........ ١٨٩
تأكيد المؤلّف على ظهور البدع في زمانه........ ١٩٠
حكم المؤلّف على كون تمثيل واقعة الطفّ من البدع المنهي عنها........ ١٩٠
أدلّة المؤلّف على كون تمثيل واقعة الطفّ من البدع........ ١٩١
درجات الإيمان........ ١٩٤
حرمة اختلاط الرجال بالنساء في العزاء........ ١٩٥
ما هو الدين الإسلامي........ ١٩٦
(٥) المواكب الحسينيّة ٢٠١
نصّ السؤال الموجّه للمؤلّف عن حكم بعض الشعائر الحسينيّة........ ٢٠٣
الجواب الإجمالي للمؤلّف بجواز الشعائر الحسينيّة........ ٢٠٤
الأدلّة على جواز الشعائر الحسينيّة........ ٢٠٤
العلاّمة المجلسي هو الذي أسّس تشبيه واقعة الطفّ........ ٢٠٥
أدلّة جواز تمثيل واقعة الطفّ........ ٢٠٦

أدّلة جواز البكاء على الإمام الحسين عليه السلام...٢٠٨
فوائد تشبيه واقعة الطفّ...٢١٢
اعتراض ابن باشي العسكر سنة ١٣١٥هـ على المواكب العزائيّة....................٢١٢
الردّ على أدّلة المانعين من تشبيه واقعة الطفّ..٢١٣
شعر الشافعي في أهل البيت عليهم السلام..٢٢٦
هودج النبّي صلى الله عليه وآله وهودج عائشة...٢٢٩
الاستيناس لإدماء الرأس بالسيف بضرب زينب عليها السلام جبينها بالمحمل...........٢٣٦
(٦) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء ٢٣٩
أبيات شعر للمؤلّف..٢٤١
تعجّب المؤلّف من الاستشكال على الشعائر الحسينيّة...................................٢٤١
الهدف من تأليف هذه الرسالة...٢٤٦
الإشارة إلى هدم القبور البقيع..٢٤٧
بيان الإشكالات على الشعائر الحسينيّة...٢٤٩
كلام الدكتور جوزف الفرنسي...٢٤٩
كلام المسيو ماربين الألماني...٢٥٤
ردّ الشبهات الواردة على تمثيل واقعة الطفّ...٢٥٦
محمل النبي صلى الله عليه وآله...٢٥٧
هودج عائشة...٢٦١
ردّ الشبهات الواردة على التطبير...٢٦٥
نقل عبارات بعض الأعلام..٢٦٧
حصر المؤلّف الإشكالات الواردة على الشعائر الحسينيّة في أربع موارد.......٢٦٩

(٧) كلمة حول التذكار الحسيني ٢٧٥
مقدّمة الرسالة ٢٧٧
اطلاع المؤلّف على جريدة الأوقات العراقيّة ٢٧٩
عبارة جريدة الأوقات العراقيّة، واستشكالها على بعض الشعائر ٢٨٠
ردّ المؤلّف هذه الإشكالات ٢٨١
إقامة العزاء والبكاء على الإمام الحسين عليه السلام ٢٨١
تمثيل واقعة الطفّ ٢٨٥
خروج مواكب العزاء في الشوارع والأزّقة ٢٨٧
كلمة لحضرة السيّد العلاّمة جعفر الفضل من آل بحر العلوم ٢٩٢
كلمة للشيخ العلاّمة العلم الهادي من آل كاشف الغطاء ٢٩٧
صورة السؤال المرفوع لحجج الإسلام حول التذكار الحسينيّ ٣٠٢
جواب الإعلام عن السؤال عن الشعائر الحسينية ٣٠٣
السيّد محمد اليزدي الفيروز آبادي ٣٠٣
الشيخ عبدالله المامقاني ٣٠٤
الشيخ مرتضى كاشف الغطاء ٣٠٥
الشيخ هادي كاشف الغطاء ٣٠٦
الشيخ محمّدحسين كاشف الغطاء ٣٠٧
الشيخ محمّد جواد البلاغي ٣١١
تشبّه الرجال بالنساء المحرّم في الشريعة ٣١٢
ملحق الكتاب: وفيه ذكر أسماء الأعلام المؤيدين للشعائر الحسينيّة ٣١٤
رأي المرجع السيّد أبوالحسن الأصفهاني في الشعائر الحسينيّة ٣١٥

(٨) نصرة المظلوم...٣١٧
هدم قبور البقيع...٣١٩
اطلاع المؤلّف على جريدة الأوقات العراقيّة..٣١٩
اطلاع المؤلّف على رسالة صولة الحقّ على جولة الباطل........................٣٢٠
تسمية المخالفين لبعض الشعائر الحسينيّة بالجميعة الأمويّة.........................٣٢١
بحث فلسفيّ علميّ يدلّ على أنّ التذكارات الحسينيّة حافظة للمذهب..............٣٢٣
من التذكارات الحسينيّة المآتم...٣٣٠
من التذكارات الحسينيّة التمثيل ٣٤٢
تمثيل النساء ٣٥٠
حادثه البصرة، مشاركة امرأة ساقطة في تمثيل واقعة الطفّ.......................٣٥٠
مجامع اللدم ٣٥٨
موكب السلاسل..٣٧٣
موكب القامات ٣٧٤
نظرة في التاريخ: زمن ظهور المآتم ٤٠٤
النجف وعمل الشبيه ٤١٩
فتوى الميرزا محمّد حسين النائيني في الشعائر الحسينيّة..............................٤٢٩
خاتمة مسكيّة: علاقة الشيعة بالإمام الحسين عليه السلام..................................٤٣٥
الأمر الأوّل: علّة تحريم تشبيه واقعة الطفّ ٤٣٨
الأمر الثاني: علّة منع استعمال بعض الآلات الموسيقيّة ٤٤٥
الطَبْلُ..٤٤٩
البُوق...٤٥٣
الصّنج..٤٥٥

الأمر الثالث: علّة المنع عن التذكارات الحسينيّة ٤٥٨
الفهرس ٤٦١